

أدلة الإمامة

في ضوء الكتاب والسنة

هيسون بزاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد وآله الطاهرين الذين أذهب الله عنهم

الرجس و طهرهم تطهيراً

الاعتقاد بإمامة اثني عشر إماماً من آل بيت الرسول ﷺ هو من الأصول الأساسية و الهامة في عقيدة الشيعة، و هذا الاعتقاد مستوحى من كتاب الله الكريم و السنة المتواترة المنقولة عن نبي الرحمة محمد ﷺ. و قد قامت المؤنة المحترمة السيّدة ميسون البرّاز باستخراج أدلة هذا الموضوع من المصادر المعتمدة لدى اهل السنة و تناولتها بالبحث و التحليل و أثبتت دلالتها على عقيدة الشيعة الإمامية، كما أجابت عن الشبهات التي طُرحت حولها. و يتقدّم الناشر بالشكر الجزيل للسيّدة المؤلّفة راجين من الله العليّ القدير أن يوفّقها لخدمة مدرسة أهل البيت ﷺ و أن يكون هذا الأثر الجليل نبراساً يهدي إلى الحقّ المبين.

إنّه ولي التوفيق

مقدمة المؤلف

نحمدك اللهم ونستجير بك من ظلم الظلمة ونسترشدك ونستهديك في الثبات على الصراط المستقيم ونصلي ونسلم على البشير النذير سيدنا ونبينا وهادينا خير البشر محمد بن عبد الله وعلى آله الميامين الطيبين الأطهار.

إنّ قضية طرح الشبهات العقائدية ومنذ زمن طويل، بدأت تطرح نفسها على الساحة من قبل المخالفين لمذهب التشيع لأغراض مختلفة، تارة تكون سياسية وتارة ناشئة من التعصبات الدينية وغير ذلك، والأجوبة عليها كثيرة، ولكنها تكون أحياناً موسّعة ولا تفيد العموم من القراء، وأحياناً لا تحتوي على النصوص من الكتب، وقد اكتفى مؤلفوها بذكر عنوان المصادر وأرقام الصفحات؛ لذلك شعرت بأننا بحاجة الى مجموعة منظمة من الروايات الواردة في المصادر المختلفة من كتب أهل السنة حول بعض المواضيع والمسائل الخلافية المطروحة بين الفرق الإسلامية، والتي تحتوي على نصوص أحاديث وأقوال الرسول الأكرم ﷺ، وكذلك الآيات المذكورة في القرآن الكريم وما يدور حولها في كتب التفسير، والتي نستطيع الاستدلال بها إلى جانب تلك الأحاديث.

ولهذا السبب تقدمت أنا الفقيرة إلى الله بكتابة هذه المجموعة المكثفة والمختصرة لأستفيد منها بنفسي أولاً ومن ثم أرجو أن يستفيد منها إخواننا الباحثون عن الحقيقة وأصحاب البحوث والدراسات.

لقد سعت جاهدة لأن أذكر مصادر هذه الأحاديث والروايات من كتب أهل السنة قدر المستطاع، وكرست كل جهودي في الاستفادة مما اتفق عليه كل من الفريقين، حتى يستطيع الداعي إلى المذهب الحق، وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام الشامخ، أن يستدل لهم من مصادرهم لكي يكون أقرب لهم للقبول ولكي يعلموا أن اعتقادنا يلتقي معهم في كثير من الروايات وكذلك لكي تطمئن قلوبهم بأن ما لدينا من أدلة هي مشتركة بيننا وبينهم لأن ربنا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم واحد وسنتنا واحدة.

كذلك حاولت ذكر المصادر حسب الأولوية لأهل السنة قدر المستطاع وحسب ما تستدعي الحاجة مبتدئة بالصحاح والمسانيد ومن ثم لعدم وجود بعض الأدلة في الصحاح، استخدمت المصادر الأخرى من حيث الأهمية، معتمدة بذلك على القول المنقول عن البخاري، حيث قال: «... وما تركت من الصحيح أكثر، قال الإسماعيلي: لأنه لو أخرج كل صحيح عنده لجمع في الباب الواحد حديث جماعة من الصحابة، ولذكر طريق كل واحد منهم إذا صحت، فيصير كتاباً كبيراً جداً»^١ وكذلك ما نقل عنه أنه قال: «ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح، وتركت من الصحيح حتى لا يطول الكتاب»^٢ وقد قمت أيضاً بنقل عنوان بعض المصادر الأخرى في الهامش.

إنّ هدي الرئيس في هذا البحث هو عرض النصوص كما هي في مصادرهما، لكي يستطيع القارئ المحترم أن يستفيد منها ويتعرف على الحقائق بعيداً عن النقل، ويطمئن ضمير الإنسان المسلم المعتقد بأن ما عنده من اعتقاد هو قرين لما جاءنا في القرآن الكريم وسنة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، عن طريق الأحاديث المنقولة عنهم، لهذا لم أستخدم أسلوباً الخاص في الكتابة إلا في مواضع الضرورة لتبيين بعض المطالب واستخراج المضامين من النصوص، وكذلك لم أذكر جميع النصوص الواردة في المصادر

١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، فصل ١، ص ١٦؛ سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٤٧١؛ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج ١، ص ١٣٤.

٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، فصل ١، ص ١٦؛ سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٤٠٢.

المختلفة و اكتفيت ببعضٍ منها، بما ظننت أنه يكفي للدخول في الأبحاث العقائدية، وأترك لمن أحبّ التعمق في هذه الأمور مراجعة بقيّة النصوص والتي يمكن أن تبلغ عشرات الأضعاف أو أكثر مما ذكرت في هذا الكتاب.

أتقدّم بإهداء هذا القليل في الحجم ولكن الكبير في المعنى والذي تمّ بتوفيق من الله سبحانه وتعالى وإفاضات أهل بيت العصمة والطهارة إلى الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، راجية من الله تعالى أن يجعله ذخيرة لنا وأن يسدّد به خطانا ويجعلنا به من الدعاة الى طاعته، وأن يكرم به والديّ أيضا.

و أستمح القراء الكرام عذراً، وأرجوا أن يسامحوني على وجود الأخطاء المحتملة في هذا الكتاب.

الفصل الأول:

الخلافة و الإمامة

الدِّينَ الإسلامي هو الدِّينَ الإلهي الكامل الذي يحتوي على كل ما يحتاجه الإنسان في حياته، وهو الدِّينَ المقبول عند الله ﷻ كما جاء في الآية المباركة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^١، و القرآن الكريم هو الرِّسالة السَّماويَّة التي نزل بها جبرئيل الأمين على نبيِّنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء، وقد فرض الله ﷻ علينا اتِّباع القرآن الكريم والإيمان بكل ما جاء فيه وحدِّرنا من الكفر به وبعضه كما جاء في الآية المباركة: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^٢

وهذا الدِّينَ الذي هو بمثابة حلقة الوصل بين أبناء المجتمع بعضهم مع بعض من ناحية، وبينهم وبين الخالق من ناحية أخرى، ينبغي أن يكون قائماً على أصول وقواعد وثيقة، أحدها الإمامة.

فالإمامة وبالأخص إمامة الأئمة المعصومين من أهل البيت ﷺ، تحتل مكانة هامة جداً عند الشيعة، ولكنَّ في المقابل لا نراها تحتل نفس تلك المكانة عند الفرق الإسلامية الأخرى؛ والسبب في ذلك هو اختلاف اعتقاد المسلمين في أصل الإمامة، فالمسلمون يعتقدون بالإمامة بشكل عام ولكن اعتقاد الشيعة بها هو اعتقاد خاص ينبعث من مكانتها وأهميتها في الحياة البشرية من جميع جوانبها، ولهذا أصبحت أصلاً من أصول المذهب عند الشيعة، وهي أهمَّ أصل يميِّز الشيعة عن باقي الفرق الإسلامية. والإمامة التي تؤمن بها الشيعة، هي تبعٌ

١. سورة آل عمران: آية ١٩.

٢. سورة البقرة: آية ٨٥.

لنبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام ومبدؤها القرآن الكريم، و من كان عارفاً بها ولكن جاحداً لها أو كان لا يؤمن بها مقصراً لا قاصراً فهو لا يؤمن ببعض القرآن، ونتيجة عمله أنه يردّ الى أشدّ العذاب بتعبير القرآن في الآية المذكورة آنفاً.

الفرق بين الإمامة والخلافة

الإمامة هي: رئاسة عامّة في أمور الحياة الدنيويّة والدينيّة لشخص من الأشخاص نيابة عن الرسول ﷺ بأمر من الله ﷻ، وهي استمرار لوظائف النبوة بأن يكون للإمام كلّ ما كان للرسول ﷺ من المنازل والحالات والصفات إلاّ النبوة، وهذا المنصب يطلق عليه اسم: «الإمامة الكبرى» تمييزاً له عن «الإمامة الصغرى» التي هي وظيفة من يؤمّ الناس في إمامة الصلاة.

والخليفة: هو من يُستخلف من جانب الشخص الذي يكون قبله، فهو كائن بدل غيره ليقوم بالامر مقامه ويسد مسده، لذا أُطلق لفظ «الخليفة» على الإمام أيضاً باعتبار كون الخليفة قد خلف النبيّ الأعظم ﷺ في منصب الإمامة الكبرى، ولهذا تصبح الإمامة الصغرى من المهام الاساسيّة في سلطته.

ومن حيث إنّ مسؤولية الإمام هي القيادة والمرجعيّة الدينيّة والعلميّة للناس وهداية المجتمع للوصول الى السعادة في الدنيا والآخرة، وأنّ تبيين وتفسير الكتاب الكريم والسنة النبويّة الشريفة والأحكام الإلهيّة هي من المسؤوليات التي تقع على عاتق الإمام، لذا تصبح الإمامة مختلفةً عن الخلافة وتفوقها رتبةً.

اعتقاد أهل السنة بالإمامة

يشارك أهل السنة مع الشيعة في أنّ الإمامة هي زعامة عامة للمجتمع، ولكنهم يعتقدون أنّ هذه الزعامة تختص بالأمر الدينيّة فقط لا الدنيويّة، وبذلك تصبح عندهم فرع من فروع الدين؛ و بناءً على ذلك يعتقد أهل السنة أنّ الرسول ﷺ لم يعيّن خليفة له من بعده يقوم

مقامه ليكون إماماً للأمة، وقد ترك هذا الأمر ليكون شورى بين المسلمين، وبذلك فُرض على الأمة الإسلامية أن تنتخب إمامها بنفسها ليكون الخليفة من بعد رسول الله ﷺ، فالخلافة التي تحل محل الإمامة عندهم، هي شأن بشري.

ولكن في مقابل ذلك فإن الشيعة الإمامية يعتقدون بكون الإمام مقاماً تنصيبياً وجعلاً من الله ﷻ بناءً على قاعدتين، الأولى: قاعدة اللطف الإلهي التي تستوجب تعيين الإمام بلطف من الله تعالى للعباد، والذي به يجتمع شمل الأمة وبعدمه تضطرب أحوال المجتمع ويعم فيه الفساد؛ وقد دلّ العقل على أن الله ﷻ لا يفعل إلاّ الأصلح وأن وجود الإمام أصلح للمجتمع، وتعيين الأصلح واجب على الله تعالى. والثانية: قاعدة الاضطرار الى بعث الأنبياء للناس على مر العصور والتسليم لكل ما جاؤوا به وتحذير كل من يرفض الإيثار بهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^١ و﴿لَمَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^٢، وتعتقد الإمامية أيضاً أن هذه القاعدة تكون جارية في أوصيائهم من بعدهم. وعلى هذا فإن العقل البشري لا يقبل أن الرسول ﷺ قد ترك هذا الأمر للأمة ولم يعينه بوحي من الله ﷻ.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد بين الله ﷻ الغرض من الخلق وهو العبادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^٣، فعلى هذا ومن أجل أن يعرف الإنسان ربه ليعبده، يوجب على الله إرسال الرسل ومن بعد ذلك تعيين من ينوب عنهم من أجل حفظ قوانين الشرع من التغيير والزيادة والنقصان، وترك هذا الأمر من قبله ﷻ يؤدي الى نقض الغرض.

والجواب الذي تقول به الشيعة الإمامية ليس الوجوب التكليفي على الله ﷻ وإنما هو اللزوم والثبوت، كحكم العقل بوجوب عدالة الله ﷻ أو وجوب فعل الأصلح للعباد.

١. سورة الإسراء، آية ١٥.

٢. سورة النساء، آية ١٦٥.

٣. سورة الذاريات، آية ٥٦.

شروط الإمام

يجب أن يتم تنصيب الإمام من قبل الله ﷻ، ويجب أن يتمتع بشروط خاصة، وهي:
العصمة من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سنّ الطفولة الى الموت،
سواء كان عن عمد أو عن سهو، صغيرة كانت أم كبيرة.

الأفضليّة على جميع أهل زمانه.

كمال العقل والذكاء والفتنة.

العلم بما تحتاجه الأمة لدينهم ودنياهم.

التنزه عما تنفر منه الطباع الإنسانيّة.

أن لا يكون أباه كفّاراً.

«العصمة» و «الأعلميّة» هما الأساس لهذه الشروط. و أما شروط انتخاب الإمام بعد

النبيّ ﷺ، والذي ينطبق عليه مصداق الخليفة، فهي:

العصمة.

الأفضلية في العلم والعمل.

أن يكون منصوباً من قبل الله ﷻ بواسطة النبيّ ﷺ أو الإمام المنصوص عليه من جانبه ﷺ

و ليس للناس خيارٌ في تنصيبه.

الوراثة من النبيّ ﷺ.

القرابة للنبيّ ﷺ.

أن يكون هاشمياً، من نسل علي وفاطمة عليهما السلام.

والعصمة التي تعتقد بها الشيعة الإمامية لا تعني أنّ الأئمة المعصومين لديهم عصمة

كعصمة الملائكة بحيث لا تنازعهم أنفسهم من أجل ارتكاب المعاصي، وإنّما هي لطف من

الله ﷻ لعلمه بتوفر الشروط اللازمة فيهم لقبول العصمة و امتناعهم من ارتكاب المآثم لقدرة

عقلهم و كثرة علمهم و استمرارهم بالاتصال بالله ﷻ.

أقسام الإمامة

تنقسم الإمامة الى إمامة عامّة وإمامة خاصّة؛ فالإمامة العامّة هي ملاحظة الإمامة وبحثها بغض النظر عن مصاديقها. قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^١ وأما الإمامة الخاصّة فهي التي تختصّ بإمامة شخص معيّن، كإمامة إبراهيم عليه السلام وإمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإمامة الأئمة من ولده عليهم السلام.

و الإمامة تختصّ بقيادة المجتمع بشكل عامّ و من كل الجوانب، و بعبارة أخرى هي خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله و الزعامة الكبرى في أمور الدّين و الدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حفظ الشريعة و رفع الفساد و إقامة الحدود و نشر الأحكام و الانتصاف للمظلوم من الظالم و غير ذلك من فوائدها اللازمة على الوجه الشرعي و القانون الإلهي، و تترادف «الإمامة العامّة» مع «الخلافة الكبرى» و «الولاية المطلقة»، و تعتبر الحكومة شأنًا من شؤون الإمام.

الأدلة على وجوب الإمامة

نستدلّ على وجوب الأمامة بشكل عام بالأدلة العقلية و النقلية، و نستفيد في نقل الأدلة العقلية ممّا ذكره علماء الكلام و التفسير، بأنّ نصب الإمام واجب على الله عقلاً (لأنّ الله لا يفعل إلّا الأصلح للعباد)، وأنّ الدّين الإسلامي هو الدّين الكامل الذي يشمل كل الأمم على مرّ العصور، وأنّ الرسول صلى الله عليه وآله بذل كل ما بوسعه من أجل إعلاء كلمة الحقّ، و قدّم نفسه كخبرة فداءً لهذا الدّين، و فعل الرسول صلى الله عليه وآله هو خير دليل على وجوب الإمامة إذ أنّه كان يخلف من ينوبه في المدينة في جميع غزواته، حيث يستطيع الباحث الكريم أن يحصل على أسماء أولئك الأشخاص الذين كان يستنيبهم الرسول صلى الله عليه وآله من كتب التاريخ و غيرها. و في وجوب الإمامة يتبادر لنا سؤال، و هو: هل استطاع الرسول صلى الله عليه وآله بنفسه أن يعلمّ كل الدّين في فترة

١. سورة السجدة، آية ٢٤.

الثلاثة والعشرين سنة من بعد البعثة بالتنام والكمال لجميع الناس في المجتمع الإسلامي و المجتمعات الاخرى؟ نحن نلاحظ عند مطالعة التاريخ أنّ النبي ﷺ كان في معظم الوقت منشغلاً بالدفاع عن الاسلام و منشغلاً بالحروب ضد المشركين و مواجهة المعاندين و المغرضين وذوي القلوب المريضة في داخل الجزيرة العربية، و بالرغم من أنّه ﷺ قام بتعليم التعاليم الدينية للصحابة ولم يكن يضيع أدنى فرصة لتعليم الدين الإسلامي للناس، لكنّ هذه الفترة القصيرة لم تكن كافية لأن يقوم بتعليم التعاليم الدينية بنفسه لجميع ابناء المجتمع، بسبب انتشار البشر في بقاع متباعدة من الارض، و لهذا فقد قام ﷺ بتحميل الصحابة مسؤولية نقل هذه التعاليم الى الآخرين ممن لم يشهد الرسول ﷺ. هذا من ناحية، و من ناحية أخرى و من أجل استمرار بقاء الدين الإسلامي و إستقامته و من أجل حفظ كيان الدولة الإسلامية اقتضت الحاجة أن يقوم بعض هؤلاء الصحابة الذين قام الرسول ﷺ بتعليمهم وتربيتهم بالشكل الكامل بنقل التعاليم الاسلامية إلى باقي المسلمين بدون خطأ أو زيادة أو نقصان، فالرسول ﷺ ينطق عن الوحي وهؤلاء ينطقون عن الرسول ﷺ، لذا وجب أن تكون عند هؤلاء الأشخاص صفات مماثلة للرسول ﷺ إلا النبوة، وإحدى تلك الصفات اللازمة هي العصمة والتي ثبتت لعلي عليه السلام و باقي الأئمة من ولده عليه السلام، وبذلك يكون قد شملهم مقام الإمامة.

إذن فوجود الإمام بهذه الصفات واجب لتبليغ ونشر الإسلام بالشكل الصحيح لأنّ الإسلام لم يكن آنذاك قد انتشر في كل العالم بعد وفاة الرسول ﷺ وكان مهدداً من خارج الجزيرة العربية من قبل سلطات قويّة كالروم والفرس وفي الداخل من قبل المنافقين والنفوس الضعيفة في الإيماّن الموجودة بين المسلمين كما ذكر لنا القرآن الكريم في قوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^١. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ تغيير ظروف الحياة و حدوث بعض المستجدات مع مرور الزمان تجعل الأمة الإسلامية تحتاج إلى شخص يقودها من الناحية الدينية وأنّ هذا الشخص لا بد

وأن يمتلك إحاطة كاملة بالقرآن والسنة النبوية الشريفة لكي يستطيع إصدار حكم مناسب للمسائل المستحدثة، وخير دليل على حدوث المستجدات والمستحدثات هو استخدام اسلوب القياس عند علماء السنة في استنباط الأحكام الشرعية للأمور التي حدثت بعد وفاة النبي ﷺ والتي لم يكن هو ﷺ قد بين لها حكماً من قبل. وقد وقع هؤلاء في هذا الاسلوب الخاطيء بسبب عدم اعتقادهم بوجود إمام معصوم. وسبب بطلان القياس هو أنه يشير الى أن الدين الإسلامي دين ناقص، في حين أن هذا الدين كان قد اكتمل في حياة الرسول ﷺ وليس من أمر إلا وكان هو ﷺ قد بلغه وبيّنته الشريعة الإسلامية ولو بصورة عامة آنذاك، وإذا استدعت الظروف يوماً ما صدور حكم معين لأمر معين فيجب أن يكون ذلك بشكل تبين لاحكام الشريعة فقط، ويجب أن يتم هذا التبيين بواسطة أشخاص لديهم الإحاطة الكاملة في أمور الشريعة؛ وقد دلت الروايات على أن الخلفاء من بعد النبي ﷺ كانوا هم بأنفسهم يعترفون أنهم ليسوا معصومين من الخطأ إلا ما ورد في علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعلى هذا، فالاعتقاد بعدم تعيين خليفة من جانب الرسول ﷺ لهذه الأمة يؤدي لحدوث الفوضى والنزاع في صفوف الأمة الإسلامية، والعقل السليم لا يقبل حدوث ذلك من جانب الرسول ﷺ، وحاشا للنبي الكريم ﷺ أن يترك هذه الأمة بدون شخص واجد للشرائط يقود زمام أمورها.

وكذلك فإن العقل السليم أيضاً يحكم بأن كل من يتصدى لزمام أمور مجموعة معينة يوجب عليه أن لا يتركها بدون مسؤول ينظم أمورها حتى وإن كانت قطعاً من الغنم؛ ومما يؤكد لنا ذلك هو قول عائشة لعبد الله بن عمر، حينما أرسله عمر أن يستأذن له منها ليُدفن قرب قبر رسول الله ﷺ، حيث قالت له: «يا بُنَيَّ أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً، فإنّي أخشى عليهم الفتنة».^١

وما أخرجه الطبري بسنده في التاريخ من قول معاوية عند تعيين ابنه يزيد خليفة من

١. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٣٨.

بعده، حيث قال: «إني أرهب أن أدع أمة محمدٍ بعدي كالضأن لا راعي لها»^١.

و دليل آخر هو قول ابن عمر لأبيه لما حضرته الوفاة، وقد أخرجه البيهقي في سننه وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء في باب عمر بن الخطاب بسنديها والمحَبَّ الطُّبري في الرياض النَّضرة عن ابن عمر قال:

إني سمعت الناس يقولون مقالةً فآليت أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلفٍ وقد علمتُ أنه لو كان لك راعي غنمٍ فجاءك وقد ترك رعايته رأيتَ أن قد ضيَّع؛ فرعاية النَّاس أشدُّ.^٢

وهكذا نلاحظ في كتب التاريخ أيضاً أن جميع الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ قاموا بتعيين من يخلفه بعد موته؛ وهذا مما يؤيد لنا سقم ادعاء أهل السنة في أن الرسول ﷺ قد ترك للأمة أن تعين إمامها بنفسها، إذ أنه ليس من المقبول عقلاً أن يترك النبي ﷺ أمته بدون راعٍ في حين أنه أحرص النَّاس عليها، وفي المقابل أن يكون الخلفاء من بعده أشدَّ حرصاً منه على هذه الأمة حيث يقومون بتعيين من يتصدى زمام الأمة من بعدهم!

وبتعبير آخر نستطيع القول بأن ادعاء أهل السنة هذا يُشكل عليه من وجهين:
الوجه الأول:

لو كان الرسول ﷺ على صواب في عدم تعيين من يخلفه من بعده وترك هذا الأمر للأمة، إذن يكون فعله هذا سنةً نبويةً شريفةً ويوجب على الخلفاء من بعده اتباعها والسير عليها، وبالتالي يصبح قيامهم بتعيين خليفة لهم من بعدهم مخالفةً للسنة النبوية الشريفة، وهذا الوجه يضعهم في موقف التَّحدي لرسول الله ﷺ وخروجهم عن السنة!

والوجه الثاني:

قيام الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ بتعيين من يخلفهم من بعدهم وترك الرسول ﷺ لهذا

١. تاريخ الطبري، أحداث سنة ٥٦، ج ٥، ص ٣٠٤.

٢. السنن الكبرى للبيهقي، باب الاستخلاف، ج ١٢، ص ٢٧٢؛ الرياض النَّضرة، ج ٢، ص ٣٥٣؛ حلية الأولياء، ج ١،

الأمر يوحى بأنهم كانوا قد فهموا أهمية الاستخلاف أكثر من الرسول ﷺ، والعياذ بالله، وأن الرسول ﷺ كان على خطأ في عدم تعيين من يخلفه من بعده، لا سمح الله، وهذا الوجه لا محالة غير مقبول لأنه ينافي نص القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^١

وكلا الوجهين يدلان على أن هذا الادعاء هو ادعاء واهٍ، وهو ليس إلا تناقض عند أهل السنة لأنهم يدعون العمل به وفي نفس الوقت يصرفونه عن النبي ﷺ غافلين عن أن النبي ﷺ هو أولى بتطبيقه من غيره وهو أول من قام بتطبيقه قبل غيره بتعيين علي عليه السلام خليفة له من بعده.

وأما ادعاء أهل السنة بأن النبي ﷺ ترك هذا الأمر شورى بين المسلمين تبعاً للآية الكريمة: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^٢، فهو ادعاء واهٍ أيضاً ولا دلالة للآية عليه، لأن الشيعة يسألون أهل السنة: إذا كان النبي ﷺ ترك هذا الأمر شورى بين المسلمين، إذن هل نصّ هو ﷺ على أن الخلافة يجب أن تكون شورى بين المسلمين؟ فعدم وجود رواية دالة على ذلك يشير الى أنه ﷺ لم ينصّ على الشورى؛ ثم إن الشيعة يقولون: إذا ادعى مدّع أن وجوب الشورى من الواضحات ولا يحتاج الى نصّ، ولكن مع ذلك فقد نصّ الله ﷻ عليها بقوله: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، فنحن نجيبه أن لو كان الأمر واضحاً لما وقع الخلاف، ولو كان المراد في هذه الآية هو الخلافة لكان أبو بكر في نصّه على عمر مخالفاً لله ورسوله! وبالإضافة الى كل هذا فلا قائل من أهل السنة بذلك، وبالنتيجة فلا دلالة في الآية على الخلافة.

وأما دور الناس في البيعة للإمام والخليفة فهو من أجل مساندة الخليفة للقيام بأمر الخلافة وليكون الخليفة والإمام مبسوط اليد في إدارة الأمور ولا دخل له في نوع تنصيب الخليفة، لأنّ تنصيب الخليفة كما أشرنا سابقاً هو أمر إلهي وتنصيب من جانب الله ﷻ وبواسطة النبي ﷺ.

١. سورة النجم، آية ٤٣.

٢. سورة الشورى، آية ٣٨.

وكل هذا يبيّن لنا أنّ الإمامة عقلاً من الصّوريات للحياة البشريّة، وبدونها يختلّ نظام المجتمع الإسلاميّ وتعمّ الفتنة في صفوفهم.

وأما الأدلّة النقلية على وجوب الإمامة، فهي الآيات في القرآن الكريم وما ورد من الروايات في كتب الحديث عن الإمامة، والتي سيأتي ذكرها لاحقاً.

الإمامة في القرآن

نتطرّق أولاً الى الآيات الدالّة على الإمامة في القرآن الكريم، وهي:

الآية الأولى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^١

نستفيد من هذه الآية أمور عديدة، منها:

١. إنّ مقام الإمامة حصل لإبراهيم عليه السلام بعد أن ابتلاه الله وامتحنه، وبعد ما تبين أنّه نجح في الإمتحان الذي إمتحنه الله تعالى، وكان امتحانه هو استعداداه لذبح ابنه كما جاء في الآية المباركة: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾^٢

٢. إنّ مقام الإمامة هو جعل الهي لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ وليس شأنًا بشرياً.

٣. بقاء الإمامة في ذرية إبراهيم عليه السلام، إذ إنّ الله سبحانه وتعالى لم ينفِ كونها في ذريته في هذه الآية المباركة، فظلت باقية في عقبه.

٤. إنّ مقام الإمامة هو أعلى من مقام النبوة، إذ إنّ إبراهيم عليه السلام كان نبياً قبل أن يصبح إماماً ووصوله الى مقام الإمامة كان في أواخر عمره؛ وإذا لاحظنا الآيات الواردة في القرآن الكريم نرى أنّ الله تعالى عندما يتكلم عن الأنبياء يقول دائماً: ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ ولكن هنا يقول: ﴿جَاعِلُكَ﴾ وهذا الجعل هو الذي يدلّ على مقام الإمامة، المقام الجديد الذي أعطاه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام والذي لا يساوي الخلافة بمعنى الحكومة التي يعتقد بها أهل السنة، لأنّ

١. سورة البقره، آية ١٢٤؛ راجع موضوع تفضيل الأئمة في هذا الكتاب.

٢. سورة الصافات، آية ١٠٦.

إبراهيم لم يكن حاكماً آنذاك، فهذا المقام إذن هو مقام أرفع من مقام الحكومة.

٥. وجود شروط خاصة للإمامة وهي العصمة، إذ إنّ الإمام الذي عليه مواصلة رسالة النبي ﷺ وهداية الأمة الى الحق وردعها عن الباطل، يجب أن يكون معصوماً مثل النبي ﷺ، وهنا نلاحظ أنّ الله ﷻ عندما سأله إبراهيم ﷺ أن تكون الإمامة في ذريته، قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، يعني لا ينالها شخص فعل الظلم في حياته، سواء قبل الوصول الى الإمامة وسواء بعدها، سواء فعل الظلم وتاب وسواء لم يتب، وقد وضح لنا ذلك العلامة الطباطبائي بالتفصيل في تفسيره.^١

ولكن بالمقابل فإنّ أهل السنّة يعتقدون بإمكان تفضيل المفضول على الأفضل، كما ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في مقدمة شرح نهج البلاغة قائلاً: «الحمد لله الذي... وقدم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف»^٢، والشّيعية يعتقدون بأنّ ذلك قبلاً استناداً الى الآية المباركة: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^٣

٦. إنّ الإمامة القرآنية تعني التصرف والسلطة الحقيقيّة في أمور الدين والدنيا، والحكومة هي إحدى فروع هذه السلطة، وفي حالة عدم وصول الإمام الى مقام الحكومة، فلا يمنعه ذلك من عدم القيام بواجبات الإمامة، ولا يدخل أي منقصة عليها.

الآية الثانية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^٤

الآية الثالثة: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^٥

إذن، الإمامة هي جزء من الشريعة الإسلامية التي جاء بها نبينا محمد ﷺ، ويجب علينا الاعتقاد بها كما نعتقد بالتوحيد والنّبوة، ونرى أنّ الله ﷻ جعلها بعد ولايته وولاية رسوله ﷺ

١. تفسير الميزان، ج ١، ص ٢٧٤.

٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٣.

٣. سورة يونس، آية ٣٥.

٤. سورة السجدة، آية ٢٤.

٥. سورة الأنبياء، آية ٧٣.

في آية الولاية والتي سيأتي ذكرها لاحقاً. وترتقي الإمامة الى مستوى أعلى من الصوم والصلاة، فإذا ترك الانسان واحدة من تلك الأصول والفروع، حدث له ثلم في اعتقاده الديني، ويصبح من حزب الشيطان، ونرى أيضاً أنّ الله ﷻ يبين لنا في القرآن الكريم أنّ كلّ إنسان يجب أن يكون عنده إمام يقتدي به ويُدعى بواسطته يوم القيامة وأنّ الإمامة ووجود إمام في كل عصر وزمان هو أمر واجب وأنّ الأرض يجب أن لا تخلو من إمام لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^١، وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^٢ حيث أخرج الطبري حول هذه الآية في تفسيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّه قال:

لما نزلت: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وضع ﷺ يده على صدره فقال: «أنا المنذر ولكل قوم هاد»، وأومأ بيده إلى منكب عليّ، فقال: «أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون بعدي».^٣

وبما أنّ الإنذار هو هداية مع دعوة، فالرسول ﷺ هو مصداق المنذر الذي يمتلك الهداية والدعوة، وعليّ عليه السلام مصداق الهادي من غير دعوة؛ وهذا الشمول لعليّ عليه السلام في الآية بأنّه هو الهادي يجري على سائر الأئمة من أهل البيت عليه السلام، لأنّ الآية تشير الى أنّ لكل قوم هادٍ في زمانهم ولا يمكن أن يكون الإمام عليّ عليه السلام هو الإمام الحي لكل عصر.

الإمامة في الروايات

وأما ما جاء في الروايات عن الإمامة، مما يؤيد لنا وجوب وجود إمام في كل عصر وزمان، هو ما أخرجه المتّقّي الهندي في كنز العمال وأخرجه ابن عسّاكر في تاريخ دمشق وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء في باب علي بن أبي طالب عليه السلام والقندوزي في ينابيع المودة والسيوطي في جمع الجوامع بسندهم عن ابن عباس أنّه قال:

١. سورة الإسراء، آية ٧١.

٢. سورة الرعد، آية ٧.

٣. تفسير الطبري، ج ١٦، ص ٣٥٧.

قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طيبتني رزقوا فهماً وعلماً، ويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنا لهم الله شفاعتي»^١.

وبالرغم من أن هذه الرواية وردت في أئمة أهل البيت عليهم السلام، لكن الأمر من جانب الرسول ﷺ بموالات الأئمة من بعده يشير إلى أهميّة الإمام وأهميّة وجوده على الدوام؛ وكذلك نفهم من الروايات الأخرى أن من مات وليس له إمام، نعوذ بالله، يموت على الجاهليّة، وفي ذلك أخرج الطّبراني في المعجم الأوسط والسيوطي في جمع الجوامع بسندهما عن ابن عمر أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات ولا بيعة عليه، مات ميتة جاهليّة»^٢.

وأخرج الطّبراني في المعجم الأوسط أيضاً وأبي يعلى الموصلي في مسنده بإسنادهما عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات، وليس عليه إمام مات ميتة جاهليّة»^٣.
وأخرج ابن حبان في الصحيح أيضاً بسنده عن معاوية قال:

قال رسول الله ﷺ: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهليّة»، قال أبو حاتم: «قوله ﷺ: مات ميتة جاهلية معناه: من مات ولم يعتقد أن له إماماً يدعو الناس إلى طاعة الله حتى يكون قوام الإسلام به عند الحوادث والنوازل... مات ميتة جاهليّة»^٤.

وأخرج أحمد في مسنده والطيالسي أيضاً في مسنده والطّبراني في المعجم الكبير والسيوطي في جمع الجوامع بإسنادهم عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهليّة»^٥.

١. كنز العمال، ج ١٢، ص ٤٨؛ تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٢٤٠؛ حلية الأولياء، ج ١، ص ٨٦؛ ينابيع المودة، الباب الثالث والاربعون، ج ١، ص ٣٧٩؛ جمع الجوامع، ج ٧، ص ١٧٤.
٢. المعجم الأوسط للطّبراني، باب الألف، من اسمه أحمد، ج ١ ص ٨٠؛ جمع الجوامع، ج ٧، ص ٢٨٢.
٣. المعجم الأوسط للطّبراني، من اسمه محمد، ج ٤، ص ٢٣٢؛ جمع الجوامع، ج ٧، ص ٢٨٢.
٤. صحيح ابن حبان، باب طاعة الأئمة، ج ١٠، ص ٤٣٤.
٥. مسند أحمد بن حنبل، حديث معاوية، ج ٤، ص ٩٦؛ مسند الطيالسي، باب الأفراد عن ابن عمر، ج ٢، ص ٤٢٨؛ المعجم الكبير للطّبراني، ج ٨، ص ٣٢٩؛ جمع الجوامع، ج ٧، ص ٢٨٢.

فالإمامة عند جميع الفرق الإسلاميّة هي الحجر الأساسي في الإسلام، وبها تقام الحدود ومعالم الإسلام ويعرف الحلال والحرام.

فمن لم يؤمن بالإمامة، يعيش كما يعيش الناس في الجاهليّة الفارقة للدين الإسلامي كمن ليس له دين! وحين الموت، يموت كمن لم يؤمن بالله ورسوله!

والإمام هو الروح والأمة هي الجسد، والأمة بلا إمام كالجسد بلا روح!

إذن، في زمان عدم وجود النبي ﷺ، يستدعي بقاء وقيام الدين وجود من يقوم بتنفيذ الوحي، ومن هو جدير بقيادة الأمة الإسلاميّة ومبين للسنة النبويّة حيث نرى هذا المفهوم يتّضح لنا من حديث النبي ﷺ^١، فقد أخرج أحمد في المسند ومسلم في الصحيح في باب الناس تبع لقريش بإسنادهما عن جابر بن سمرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»^٢.

وبغض النظر عن العدد المذكور في هذا الحديث والذي سوف يأتي ذكره في مكانه من هذا الكتاب، نفهم أهميّة الإمامة ونستنتج منه أنّه لا بدّ أن يكون للناس في كل عصر وزمان إمام ليبيّن لهم الأحكام ويرشدهم إلى الصواب ويقودهم إلى طريق الرّشاد.

وأما الآيات والأحاديث التي تنصّ على الإمامة الخاصّة لأهل البيت ﷺ وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام، فسوف تأتي بالتفصيل في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى، والتي تحتوي على المواضيع التالية: آية الإنذار، حديث الدار، آية أولي الأمر، آية التبليغ، حديث الغدير، آية التّطهير، حديث الثقلين، حديث السّفينة، حديث الطّير، آية المودّة، حديث المنزلة، آية الولاية.

١. راجع حديث الاثني عشر خليفة من هذا الكتاب.

٢. مسند أحمد بن حنبل، حديث جابر بن سمرة، ج ٥، ص ٩٠؛ صحيح مسلم، ج ٦، ص ٣.

الفصل الثاني :

الخلافة والإمامة الخاصة في القرآن والحديث

١. آية الإنذار وحديث الدار

الآية المباركة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^١، وحديث الدار من جملة أدلتنا على إمامة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام الدالة على خلافته وإمامته وولايته بالنص. عندما نزلت هذه الآية المباركة، قام الرسول صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى بإنذار الأقربين من عشيرته أولاً، فأنذرهم بالرسالة، وفي نفس الوقت عيّن من يؤازره على أمر هذه الرسالة ومن يخلفه ويكون وزيره ووصيه من بعده، وقد دلّ فعل الرسول صلى الله عليه وآله على مضمون الوحي بالإنذار وما كان يجب عليه أن يبلغ أولاً.

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وآله الخلافة والوصاية من بعده مقابل مؤازرته على أمر الرسالة.. ولكن بعد سؤاله منهم وطلبه المعونة لم يعلن أي شخص منهم استعداده لأمر المؤازرة إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «هذا أخي ووصيي وخليفتي، فأسمعوا له وأطيعوا»؛ وبذلك تم تعيين علي عليه السلام كوصيٍّ ووزير وخليفة للنبي صلى الله عليه وآله منذ بداية الرسالة. وقد ذكرت هذه الحادثة بتفاصيلها في مصادر عديدة من كتب أهل السنة حيث نستعرض هنا بعضها، فقد أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق عن الإمام علي عليه السلام قوله:

لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وأعد قعباً من لبن، وكان القعب قدر ري رجل، قال: ففعلت، فقال

١. سورة الشعراء، آية ٢١٤.

٢. القعب: القدح الضخم الجاني أو إلى الصغر أو يروي الرجل.

رسول الله ﷺ: يا عليّ اجمع بني هاشم، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً أو أربعون غير رجلٍ، فدعا رسول الله ﷺ بالطعام فوضعه بينهم فأكلوا حتى شبعوا، وإنّ منهم لمن يأكل الجذعة بإدامها؛ ثم تناولوا القدر فشربوا حتى رووا وبقي فيه عامته، فقال بعضهم: ما رأينا كالיום في السحر - يرون أنّه أبو هب - ثم قال: يا عليّ اصنع رجل شاة بصاعٍ من طعام وأعد بقعبٍ من لبن، قال: فعلت، فجمعهم فأكلوا مثل ما أكلوا بالمرّة الأولى وشربوا مثل المرّة الأولى وفضل منه ما فضل المرّة الأولى فقال بعضهم: ما رأينا كالיום في السحر. فقال الثالثة: اصنع رجل شاة بصاعٍ من طعام وأعد بقعبٍ من لبن، فعلت، فقال: اجمع بني هاشم، فجمعتهم فأكلوا وشربوا فبدرهم رسول الله ﷺ بالكلام فقال: أيكم يقضي ديني ويكون خليفتي ووصيي من بعدي؟ قال: فسكت العباس مخافة أن يحيط ذلك بهاله، فأعاد رسول الله ﷺ الكلام، فسكت القوم وسكت العباس مخافة أن يحيط ذلك بهاله، فأعاد رسول الله ﷺ الكلام الثالثة، قال: وإني يومئذٍ لأسوأهم هيئةً إني يومئذٍ لأعشى الساقين أعمش العينين ضخم البطن، فقلت: أنا يا رسول الله، قال: أنت يا عليّ أنت يا عليّ.^١

وأخرج أحمد هذه الحادثة في المسند بسنده عن الإمام عليّ عليه السلام، بشكل يبيّن لنا استعداد عليّ عليه السلام لأن يكون خليفة الرسول ﷺ فقط، ولكن لم يذكر قول النبي ﷺ في عليّ عليه السلام. وكذلك أخرج الهيثمي ما يقارب ذلك في مجمع الزوائد عن عليّ عليه السلام أنّه قال:

لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: «جمع النبي ﷺ من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا» قال: «فقال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟» فقال رجل: يا رسول الله أنت كنت بحراً، من يقوم بهذا؟ قال: ثم قال الآخر. قال: فعرض ذلك على أهل بيته فقال عليّ رضي الله عنه: «أنا».^٢

١. تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٤٨.

٢. مسند أحمد بن حنبل، مسند علي بن أبي طالب، ج ١، ص ١١١؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب معجزته ﷺ، ج ٨، ص ٥٣٣ (فقال أنت يا عليّ أنت يا عليّ).

وينقل الطبري هذه الحادثة في تاريخه وابن أثير بسندهما عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فقال: «يا بني عبد المطلب إنى والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به، إنى قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتي فيكم؟» قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وإنى لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحشمهم ساقاً، «أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه»، فأخذ برقبتي ثم قال: «إنّ هذا أخى ووصيى وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» قال: «فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»^١.

ويذكر النسائي أيضاً هذه الحادثة في السنن ونقل فيها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال في ضمن الحديث: «أنت أخى وصاحبى ووارثى ووزيرى»، فقد أخرج بسنده عن ربيعة بن ناجد أنه قال:

إنّ رجلاً قال لعليّ: يا أمير المؤمنين لم ورثت ابن عمك دون عمك؟ قال: «جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يا بني عبد المطلب إنى بعثت إليكم بخاصة وإلى الناس بعامة وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى؟ فلم يقم إليه أحدٌ فمتمت إليه وكنت أصغر القوم، فقال: إجلس، ثم قال ثلاث مراتٍ، كل ذلك أقوم إليه فيقول إجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي ثم قال: أنت أخى وصاحبى ووارثى ووزيرى فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي»^٢.

بعد أن ألقينا نظرة على الروايات المنقولة عند أصحاب الحديث في نزول هذه الآية، نلاحظ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان ملزماً بتعيين وصي من بعده ليقوم بأمور الأمة عند عدم حضوره، وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا العمل امثالاً لأمر الله تعالى، وقد دلّ الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكل نبي وصيٌّ ووارثٌ وإنّ علياً وصيٌّ ووارثى»^٣ على ذلك.

١. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣١٩؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٤.

٢. السنن الكبرى، للنسائي، ج ٥، ص ١٢٥.

٣. تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٣٩٢؛ المناقب الخوارزمي، الفصل السابع، ص ٤٢؛ مجمع الزوائد، باب فيمن أوصى به، ج ٩، ص ١٤٧.

و نقل الثعلبي في تفسيره الحادثة بألفاظ أدق، فقد أخرج بسنده عن البراء أنه قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس، فأمر علياً برجل شاة فأدمها ثم قال: «ادنوا باسم الله» فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بقعبٍ من لبنٍ فجرع منه جرعةً ثم قال لهم: «اشربوا باسم الله»، فشرب القوم حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما يسحركم به الرجل، فسكت النبي ﷺ يومئذ فلم يتكلم. ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم رسول الله ﷺ فقال: «يا بني عبدالمطلب إني أنا النذير إليكم من الله سبحانه والبشير لما يجيء به أحدٌ منكم، جئتم بالدينا والآخرة فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ومن يواخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي، وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟» فسكت القوم، وأعاد ذلك ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم، ويقول علي: «أنا» فقال: «أنت» فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمر عليك.^١

وذكر السيوطي هذه الرواية بألفاظ أقل مما ثبت لنا تصرف القوم بعد تعيين علي عليه السلام وصياً وخليفةً للرسول ﷺ، إذ إتهم أخذوا يضحكون من هذا التعيين، وفي هذا أخرج بسنده عن الإمام علي عليه السلام قوله: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ... تكلم النبي ﷺ فقال: ... فأيكم يؤازرني على أمري هذا؟ فقلت وأنا أحدثهم سناً: إنه أنا، فقام القوم يضحكون».^٢

دلالة حديث الدار

المقصود من حديث الدار هو تعيين خليفة لرسول الله ﷺ من بعده في أمر الإمامة وهداية الأمة جمعاء حيث بينت رواية ابن عساكر بلفظ «ويكون خليفتي ووصيي من بعدي» ذلك، وهذا الحديث له أهمية كبيرة لأمر عديده، وهي:

١. الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٧، ص ١٨٢.

٢. الدر المنثور، للسيوطي، ج ١١، ص ٣١١.

أولاً: إنّه صدر من الرسول ﷺ في السنة الثالثة للهجرة، فالرسول ﷺ بالإضافة الى أنّه كان مأموراً لأن يدعو إلى الإسلام وينهى عن الشرك ويبلغ الرسالة آنذاك، فإنّه كان مأموراً أيضاً بأن يعرف الشخص الذي يجب أن يخلفه بعده للناس، كما جاء في الروايات المذكورة في تفسير الطبري حيث قال: «... حتى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد! إنك إن فعل ما تؤمر به يعذبك ربك».

ثانياً: مجيء ألفاظ مختلفة فيه، نحو: «فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمر عليك» و «فقام القوم يضحكون» تدلّ على أنّ قول الرسول ﷺ: «من يواخيني ويؤازرني ويكون وليّي ووصيي بعدي» ليس معناه وصيي وخليفتي على أهلي فقط، بل على كل المسلمين؛ وبما أنّ الرسول ﷺ ابتدأ سؤاله منهم مع اشتراط المؤاخاة والمؤازرة على الرسالة كما جاء في رواية الطبري، والرسالة هي أمر عام يعمّ كل المسلمين ولا يخصّ عشيرة الرسول ﷺ فقط، لذا فإنّ هذا التعيين بالخلافة والوصاية يكون عاماً أيضاً ولا يخصّ عشيرة الرسول ﷺ خاصة، بل يتعلق بالأمّة الإسلامية عامّة؛ وكذلك فإننا نرى أنّ النبيّ ﷺ لم يكن هو نفسه بالذات آنذاك مقبولاً من ناحية جميع عشيرته، ولم يكونوا بأجمعهم مطيعين له ومعترفين بخلافته ﷺ عليهم لكي يكون له الاختيار لأن يعيّن خليفة له عليهم من بعده، فعلى سبيل المثال نرى أنّ عمه أبا لهب لم يكن يؤمن بنبوته فضلاً عن خليفته، وهذا يتبيّن من سلوك أبي لهب المذكور في الرواية، إذن كيف فسّر أصحاب التفسير هذا المعنى بخلافة عليّ عليه السلام على العشيرة فقط؟!

وحتى لو افترضنا أنّ النبيّ ﷺ أراد أن يعيّن من يكون خليفة له على أهله، فإنّ ذلك يكون من باب أولويتهم على غيرهم بمعنى أنّ: «الأقربون أولى بالمعروف»، وإستناداً إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^١ بالمعنى العامّ في تفضيل قربي رسول الله ﷺ، فعلى هذا الأساس سوف يكون ذلك الشخص المتعيّن عليهم، خليفة على باقي الناس أيضاً.

ثالثاً: نلاحظ في هذا الحديث أن الرسول ﷺ فصل في قوله الوصاية من بعده بلفظ «ويكون وليي ووصيي بعدي» عن الخلافة في أهله بلفظ «وخليفتي في أهلي»؛ ويدل هذا الكلام على وجود مصداقين في آن واحد. فإن صحَّ قول من يدَّعي أن هذا الحديث يدلُّ على تعيين علي عليه السلام من ناحية الرسول ﷺ بصفته خليفة في أهله فقط، إذن يصحَّ القول إنَّ هذا الحديث يدلُّ في نفس الوقت على تعيين الولي والوصي من بعد الرسول ﷺ على عامة الأمة أيضاً، وذلك لمجيء هذين القولين مع بعض، وبهذا لا يبقى أي ذريعة لأحد كي يقول إنَّ الرسول ﷺ ترك هذا الأمر للأمة. فالرسول ﷺ إذن استناداً إلى هذا الحديث كان قد قام بتعيين الولي من بعده بالإضافة إلى الخليفة في أهله؛ ونستدل من سياق الكلام وجواب علي عليه السلام للرسول ﷺ ثلاث مرات: «أنا» تواجد هذين المصداقين في شخص واحد وهو الإمام علي عليه السلام، وبذلك تثبت الوصاية للإمام علي عليه السلام بلا شك ولا ريب؛ وكذلك نلاحظ أن الرسول ﷺ قرن المؤاخاة والمؤازرة على أمر الرسالة بالوصاية والولاية بعده بلفظ «يؤاخيني ويؤازرنى ويكون وليي ووصيي بعدي»، فاجتمعت تلك الصفات في الإمام علي عليه السلام فقط، فأصبح هو الولي والوصي بعده فقط لكونه أخا رسول الله ﷺ ومؤازره في كل خطوة خطاها ﷺ.

رابعاً: استدلال الإمام علي عليه السلام بهذا الحديث عندما سأله السائل: يا أمير المؤمنين لم ورثت ابن عمك دون عمك؟ يبيِّن لنا أن الإمام علي عليه السلام كان يريد بذلك أن يبيِّن للسائل أن انتخابه هو دون عمه كان من جانب الرسول ﷺ الذي ينطق عن الوحي؛ وبهذا يصبح انتخاب الإمام علي عليه السلام من جانب الله سبحانه وتعالى؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنَّ الامام علي عليه السلام عندما ذكر للسائل قول رسول الله ﷺ فيه: «أنت أخي وصاحبي ووارثي ووزيري» أراد بهذه الألفاظ أن يبيِّن له أن هذا الإرث لم يكن إرث مادي وديني بالمعنى المصطلح وإنما كان إرث لأمر أعظم من ذلك. كما جاء في رواية أخرى أن الإمام علي عليه السلام سأل رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، ما أُرث منك؟ قال: ما أُرثت الأنبياء. قال: وما أُرثت الأنبياء قبلك؟ قال: كتاب الله وسنة نبيهم»^١.

١. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٣، ص ٣٣٠؛ تاريخ دمشق، ج ٢١، ص ٤١٤.

تعميم لفظ «عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ»

نلاحظ في بعض كتب الحديث ورود حديث الإنذار بألفاظ غريبة لا نستطيع الاستناد إليها في الاستدلال لأنها تنافي مضمون إنذار الأقربين من العشيرة، ونأتي بذكر هذه الروايات لكي يطلع عليها القارئ الكريم ونبحث فيها باختصار، وهي:

الرواية الأولى: أخرج البخاري في باب من انتسب الى آبائه في الإسلام بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ قَبَائِلًا»^١.

الرواية الثانية: أخرج أحمد في المسند ومسلم في الصحيح والنسائي في السنن والبيهقي في دلائل النبوة وابن جرير في التفسير بإسنادهم عن أبي هريرة قوله:

لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ، قريشا فعمم وخصص، فقال: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله ما أملك لكم من الله شيئا»^٢.

الرواية الثالثة: أخرج البخاري في الصحيح في باب سورة المسد (بدون ذكر اسم قبائل قريش) وكذلك ابن جرير في التفسير ومسلم في الصحيح وأحمد في المسند بإسنادهم عن ابن عباس أنه قال:

لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ ﷺ حَتَّى صَعَدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهُ!» فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ»،

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨٦٦.

٢. مسند أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، ج ٢، ص ٣٦٠؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ١٣٣، حديث ٣٨٩؛ سنن النسائي، ص ٢٣٢٩، حديث ٣٦٧٣؛ دلائل النبوة، للبيهقي، ج ٢، ص ١٧٧؛ تفسير الطبري، ج ٢، ص ٧٤٠.

فاجتمعوا إليه، فقال: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ حَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قالوا: ما جرّبنا عليك كذبا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبأ لك، ما جمعنا إلا لهذا! ثم قام فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^١

وأخرج البخاري في الصحيح هذه الرواية بلفظ آخر في باب وأنذر عشيرتك الأقربين بسنده عن ابن عباس أنه قال:

لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ». لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرَجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيُنْظَرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو هَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ حَيْلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ». قَالُوا نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فَقَالَ أَبُو هَبٍ تَبَّأ لَكَ سَائِرِ الْيَوْمِ، أَهَذَا جَمَعْتَنَا! فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾^٢

وهذه الروايات الثلاثة وما شابهها في المعنى تجعل الإنذار يعم كافة قريش بلفظ «وعم» ولفظ «جعل» يدعوهم قبائل قبائل» وتخالف ما نصّ عليه القرآن الكريم من تصريح الآية بالعشيرة الأقربين وهم إما بنو هاشم أو بنو عبد المطلب؛ وتخالف هذه الروايات أيضاً معنى الآية في أنّ عدم غنى قرابة النبي ﷺ من عذاب الله في قول رسول الله ﷺ: «لا أغنى عنكم من الله شيئاً» يختص بالمقربين من أقارب النبي ﷺ ولا يخص العشيرة بأجمعها.

الرواية الرابعة: أخرج الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن أبي أمامة أنه قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله ﷺ بني هاشم فأجلسهم على الباب وجمع نساءه وأهله فأجلسهم في البيت ثم اطلع عليهم، فقال: «يا بنو هاشم اشتروا

١. صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٨٠؛ تفسير الطبري، ج ٢٠، ص ٧٤٣؛ صحيح مسلم، ج ١، ص ١٣٣؛ مسند أحمد بن

حنبل، مسند عبد الله بن عباس، ج ١، ص ٣٠٧.

٢. صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٠١.

أنفسكم من النار واسعوا في فكاك رقابكم وافتكوا أنفسكم من الله فإنّي لا أملك لكم من الله شيئاً» ثم أقبل على أهل بيته فقال: «يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا أم سلمة ويا فاطمة بنت محمد ويا أم الزبير عمّة رسول الله صلى الله عليه و سلم، اشتروا أنفسكم من النار واسعوا في فكاك رقابكم فإنّي لا أطلب لكم من الله شيئاً ولا أغنى»^١. وهذه الرواية تحالف ماعليه القول في أنّ آية الإنذار هي آية مكّيّة في سورة مكّيّة، وأنّ الرسول ﷺ لم يتزوج بعائشة و حفصة وأم سلمة ﷺ إلا في المدينة ومن بعد الهجرة، وأنّ هذه الآية نزلت في السنّة الثالثة من البعثة.

وأما ما يختصّ بالقول في تعدّد الإنذار، فهو يخالف مضمون الآية كما أشرنا الى ذلك بإنذار الأقربين من العشيرة، فلا داعي لتعدد الإنذار والأقربين مجموعة واحدة تبيسر دعوتهم وإنذارهم دفعة واحدة؛ والمقبول من الروايات هو أنّ النبي ﷺ خصّ في ذلك بني هاشم أو بني عبد المطلب بالإنذار.

٢. آية أولى الأمر

وهي الآية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^٢ والتي تدلّ على وجود النصّ على إمامة أهل البيت ﷺ وعلى رأسهم الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

المخاطبون بالطاعة

الخطاب في هذه الآية موجّه للمؤمنين، والأمر فيها هو أمرهم بإطاعة الله وإطاعة الرسول وأولي الأمر.

١. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٤، ص ٣٣١.

٢. سورة النساء، آية ٥٩.

فالمخاطبون في «تنازعتهم» هم المؤمنون المخاطبون في بداية الآية في ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ والتنازع هو تنازعهم بينهم، ولا يجوز أن يكون تنازعهم مع أولي الأمر لوجوب إطاعة أولي الأمر وعصمتهم، وإن صحَّ التنازع بين المؤمنين وأولي الأمر أو أولي الأمر بينهم، لكان القول هو: «فإن تنازعوا» أو «فإن تنازع أولو الأمر»، ومن حيث إن الخطاب هو «تنازعتهم»، إذن فهو يخصُّ المؤمنين المأمورين بالطاعة فقط.

الأمر بالطاعة

إطاعة أولي الأمر مفروضة على المؤمنين كإطاعة الرسول ﷺ كما صرحت به الآية، وفي وجوب الطاعة قال الثعلبي في تفسيره: «وأوجب الله طاعتهم على العباد».^١
وقال الزمخشري: «وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك».^٢
وقال الطبري في تفسيره عن الأمر بالطاعة: «...أولي الأمر الذين أمر الله عباده بطاعتهم في هذه الآية».^٣

حدود الطاعة للرسول ﷺ

قال المفسرون في تفسير هذه الآية إنه لا شك ولا ريب في أن الله ﷻ لا يريد بإطاعته فيها إلا إطاعته في ما يوحيه البينا عن طريق رسوله ﷺ من المعارف والشرائع والذي جاء في الكتاب الكريم.

وإطاعة الرسول ﷺ تكون في ما أعطاه الله له من حق التصرف، وهو المعروف بالسنة الشريفة، إذ جعل له نوعان من التصرف، هما:

الأول: التشريع بما يوحيه الله لنبيه من غير ما نزل في الكتاب وتبيين ما يشتمل عليه القرآن بالإجمال، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.^٤

١. الكشف والبيان، ج ٣، ص ٣٣٤.

٢. تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٩٦.

٣. تفسير الطبري، ج ٨، ص ٤٩٦.

٤. سورة النحل، آية ٤٤.

الثاني: ما يرتبط بإدارة الحكومة والقضاء والحكم برأيه الذي يراه صواباً، كما جاء في قوله

تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾^١.

حدود صلاحيات أولي الأمر

وأما أولو الأمر فلا نزول للوحي عليهم، وليس لهم أن يضعوا حكماً جديداً لما بينه الله في قوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، فالرد لا يكون إلا لله والرسول ولا ذكر لأولي الأمر فيه؛ والذي يجب فيه طاعة أولي الأمر إنما هو في الأفعال والتروك التي يأمرون بها وينهون عنها فيما فيه صلاح الأمة، مع حفظ حكم الله في تلك الأمور، وأن لا يروا رأيهم إلا في مواضع حق الولاية، وأن يبينوا حكم الله ورسوله في الأمور والمسائل العامة.

معنى الأمر في «أولي الأمر»

معنى الأمر هو القضايا التي تعود الى دين المؤمنين المخاطبين في هذه الآية أو دنياهم، وبمعنى آخر جميع الشؤون التي تتعلق بالأمور المادية والمعنوية اللازمة لإدارة المجتمع الإسلامي في جميع حقول الحياة.

والقول في أن معنى الأمر هو ما يكون مقابل النهي، فهو بعيد هنا، ومما يؤيد هذا الكلام معنى الأمر في قوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^٢ و﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^٣، والذي يتعلق بكيفية تنفيذ التعاليم والأحكام الإلهية على أرض الواقع، فالنبي ﷺ لم يكن يشاور أحداً في التقنين ولكن كان يشاور في كيفية التطبيق وكان يطلب وجهة نظر المسلمين في ذلك.

سبب تكرار لفظ «أطيعوا»

ونستفيد من تكرار لفظ «أطيعوا» الذي جاء في الآية تارةً لله تعالى وتارةً أخرى

١. سورة النساء، آية ١٠٥.

٢. سورة آل عمران، آية ١٥٩.

٣. سورة الشورى، آية ٣٨.

لِلرَّسُولِ ﷺ، أن معنى إطاعة الرسول يختلف عن معنى إطاعة الله ﷻ، وهذا ما يوجب تكرار الأمر بالطاعة حتى وإن كانت إطاعة الرسول في الواقع هي إطاعة لله ﷻ؛ ولأنَّ الله ﷻ هو المشرِّع لوجوب إطاعة رسوله كما قال في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^١، لذا فعلى النَّاس أن يطيعوا الرسول ﷺ فيما يوحى إليه وفيما يراه من صواب الرأي، وإن قيل أن هذا التكرار قد جاء للتأكيد فهو غير مقبول. ويوجب العلامة الطباطبائي في تفسيره عن ذلك ويقول:

إنَّ القصد لو كان متعلقاً بالتأكيد كان ترك التكرار كما لو قيل: وأطيعوا الله والرسول، أدل عليه وأقرب منه فإنه كان يفيد أنَّ إطاعة الرسول عين إطاعة الله سبحانه وأنَّ الإطاعتين واحدة.^٢

إطاعة الرسول ﷺ وأولي الأمر واحدة

لقد جعل الله إطاعة أولي الأمر مع إطاعة الرسول ﷺ، إطاعة واحدة، إذ قال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾، وفي ذلك قال الرَّازي:

أدخل الرسول وأولي الأمر في لفظ واحد وهو قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ...﴾ فكان حمل أولي الأمر الذي هو مقرون بالرسول على المعصوم أولى من حمله على الفاجر الفاسق.^٣

دلالة الآية على العصمة

من الواجب أن يكون الرسول ﷺ، بأمر من الله ﷻ لا ينهى ولا يأمر عن شيء يخالف حكم الله، وبذلك يفترض أن يكون معصوماً.

١. تفسير الآلوسي، ج ٥، ص ٩٢: «وعن الكلبي أن المعنى: أطيعوا الله في الفرائض وأطيعوا الرسول في السنن».

٢. سورة النساء، آية ٦٤.

٣. تفسير الميزان، ج ٥، ص ٣٨٨.

٤. تفسير الرَّازي، ج ٥، ص ١٥١.

وبما أن الرسول ﷺ لديه العصمة في كل شيء، لذا يفترض على أولي الأمر أن تكون عندهم العصمة أيضاً، وقد بين لنا الرازي ذلك في تفسيره بوضوح إذ قال:

إنَّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ والخطأ لكونه خطأ منهى عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وإنه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوماً.^١

وقد جاء في الروايات أيضاً أن المعصومين هم أهل البيت عليهم السلام، وهذا يدل على أنهم هم أولو الأمر المقصودون في هذه الآية؛ فقد أخرج الجويني في فرائد السمطين بسنده عن الأصبغ بن نباتة عن ابن عباس أنه قال: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون».^٢

الطاعة مطلقة وليست مقيدة

فرض الطاعة على المؤمنين في هذه الآية مطلق من غير أي قيد أو شرط، وقد ذكر الرازي ذلك في تفسيره قائلاً: «وظاهر قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ يقتضي الإطلاق... فلما كانت هذه اللفظة مطلقة في حق الرسول وجب أن تكون مطلقة في حق أولي الأمر».^٣

ولا يجوز جعل أي تقييد في وجوب الطاعة لأولي الأمر بتقييد إطاعتهم في الصواب فقط،

١. تفسير الرازي، ج ٥، ص ١٤٩.

٢. فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٣.

٣. تفسير الرازي، ج ٥، ص ١٥١.

كما قال البعض، يعني إذا أخطأ أولو الأمر أو كانوا من أصحاب الفسق أو حكموا بما يخالف الكتاب والسنة فلا تتوجب إطاعتهم آنذاك لقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وقوله: «إنها الطاعة في المعروف»؛ فهذا القول بتقييد الإطاعة غير مقبول، لأننا ذكرنا مسبقاً أنّ الإطاعة هنا مطلقة، ولو أردنا تقييد الآية بهذا الحديث فإنّ هذا ينافي عصمة أولي الأمر وجعل إطاعتهم واحدة مع إطاعة الرسول ﷺ، وكذلك سوف يدلّ على احتمال وقوعهم في الخطأ، ووجوب وجود التناقض في الآية، وحاشاه ﷺ من قول التناقض.

هذا وإن صحّ وجود تقييد في الإطاعة، لوجب عليه ﷺ أن يذكر التقييد المذكور في عدم إطاعتهم عند فسقهم، كما ذكر ما هو أقلّ أهميّة من هذا الأمر الذي يتعلق فيه مصير الأمة، وهو تقييد عدم إطاعة الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾؛ فيها أنّ الله تعالى لم يذكر أي تقييد في إطاعة أولي الأمر، إذن فلا تقييد في إطاعتهم.

دلالة «فاء» التفريع

وجود فاء التفريع في عبارة «فإن تنازعتهم» يبيّن لنا منزلة أولي الأمر و صفاتهم، إذ إنّ ردّ التنازع الى الله والرسول متفرع من وجوب إطاعة الله والرسول وأولي الأمر، فأولو الأمر هم الرباط الذي يربطنا بالله والرسول ﷺ، يعني يربطنا بالكتاب والسنة، وأتهم هم وسيلتنا في الردّ الى الله والرسول ﷺ؛ ومن هنا يتبيّن دور أولي الأمر في التنازع.

ولكي يستطيع أولو الأمر أن يصبحوا وسيلتنا في حل التنازع وردّه الله ورسوله ﷺ يجب عليهم أن يتصفوا بصفات تجعل عندهم الصلحيّة في ذلك وهي.

أولاً: العلم الكامل بالكتاب والسنة.

ثانياً: العصمة وعدم الخطأ في الحكم عند التنازع.

وبدون وجود هذه الصفات في أولي الأمر سوف يتعذر عليهم أن يكونوا وسيلتنا في ردّ التنازع.

وكذلك فقد قيّد أولي الأمر بـ «منكم»، وهو بمعنى أن كل واحد منهم هو إنسان عادي مثلنا كقوله تعالى: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾؛ فأولو الأمر هم منّا ولكنهم يتميزون بالعصمة الإلهية، إذ لا نملك نحن تلك العصمة الإلهية.

مصدق أولي الأمر

ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في مصداق أولي الأمر نذكر بعضها، وهي:

- أهل الحلّ والعقد .
- أولياء الدولة والسلطين.
- رؤساء الجنود والسرايا.
- الفقهاء والعلماء وأهل الدين، الذين يعلمون الناس معالم دينهم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
- عمر وأبو بكر.
- أصحاب رسول الله ﷺ.
- أولو الخير.

وبما أن الآية المباركة دالة على مفهوم العصمة كما ذكر ذلك علماء التفسير ومن جملتهم الفخر الرازي، لذا يجب أن تكون كل فئة من الفئات المذكورة أعلاه تحتوي على أعضاء معصومين وأن لا يصدر منهم أي خطأ، لتكون الفئة على صواب وتكون مصداقاً للعصمة، ولكن هذا ما لم تشهده به الأمة الإسلامية على مر التاريخ والعصور؛ وبما أن الله تعالى من المحال أن يأمر بشيء لا مصداق له في الخارج، إذن لا تستطيع كل من هذه الفئات أن تكون مصداقاً لأولي الأمر لعدم حصول عصمة جميع أفرادها.

وفي مصداق أولي الأمر، يقول الزمخشري في تفسيره إنَّ أولي الأمر هم أمراء الحق ويضع الخلفاء الراشدين موضعهم، ويقول:

والمراد بأولي الأمر منكم: أمراء الحق؛ لأنَّ أمراء الجور الله ورسوله بريثان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم، وإنَّما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إثارة العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان.^١

ولكنَّه سرعان ما يؤيِّد قولنا هذا بقوله مباشرةً بعد ذلك بأنَّ الخلفاء لم يكونوا معصومين لقولهم على أنفسهم: «أطيعوني ما عدلت فيكم، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم».^٢ إذن نحن نسأل هنا: من هم أولو الأمر المقصودون في هذه الآية المباركة؟ يقول الفخر الرَّازي بعد إثبات عصمة أولي الأمر أنَّ أولي الأمر الذين تُشترط فيهم العصمة، هم إما مجموع الأُمَّة أو بعض الأُمَّة، ولا يمكن أن يكونوا بعض الأُمَّة لأسباب يذكرها كما يلي:

لأنَّنا بينا أنَّ الله تعالى أوجب طاعة أولي الأمر في هذه الآية قطعاً، وإيجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول إليهم والاستفادة منهم، ونحن نعلم بالضرورة أنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الامام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك علمنا أنَّ المعصوم الذي أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضاً من أبعاض الأُمَّة، ولا طائفة من طوائفهم. ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله: «وَأُولِي الْأَمْرِ» أهل الحل والعقد من الأُمَّة، وذلك يوجب القطع بأنَّ إجماع الأُمَّة حجَّةٌ.^٣

لذا يذهب الفخر الرَّازي الى أنَّ المراد من أولي الأمر ليس الإمام المعصوم أو الأئمَّة

١. تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٩٥.

٢. المصدر السابق.

٣. تفسير الرازي، ج ٥، ص ١٤٩.

المعصومين عليهم السلام عند الشيعة، وإنّما هو إجماع الأمة، يعني أهل الحلّ والعقد من الأمة، وسنوضح هذا الإشكال لاحقاً، ويستند الرّازي في ذلك الى أنّ الأقوال في أولى الأمر محصورة في أربعة وجوه، وهي:

الخلفاء الراشدون.

العلماء.

أمرء السرايا.

الأئمة المعصومون عليهم السلام.

ثمّ يقول: «وأما طاعة الأمراء والسلاطين فغير واجبة قطعاً، بل الأكثر أنّها تكون محرمةً لأنهم لا يأمرّون إلاّ بالظلم»^١.

فهو ينفي بهذا كون الأمراء مصداق أولى الأمر لفسقهم وفجورهم، وينفي أيضاً كون الأئمة المعصومين مصداق أولى الأمر لعدم إمكان العثور عليهم كما أشرنا سابقاً، ولكنّه يُدخل الخلفاء الراشدين والعلماء في مصداق إجماع الأمة، ويستنتج من بعد ذلك أنّ إجماع الأمة هو المراد من أولى الأمر.

ونحن نقول إنّ الحمل على كل من الأقوال الثلاثة الأولى غير مقبول لأنّه لا يوجد دليل على كون تلك الأقوال مصداق أولى الأمر من ناحية، ومن ناحية أخرى دلالة الآية على عصمة أولى الأمر والتي تؤيد عدم الحمل على تلك الأقوال الثلاثة، إذ لا عصمة في هؤلاء، إلاّ ما يعتقده الشيعة في شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام بين الخلفاء الراشدين.

والرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمتي على خطأ» إن قيل إنّها تدلّ على عصمة إجماع الأمة وأهل الحلّ والعقد، فلا وجه لذلك لأنّها إن صحّت فهي تنفي إجماع الأمة على الخطأ، ولا تنفي إجماع أهل الحلّ والعقد على الخطأ، ولأهل الحلّ والعقد معنى وللأمة معنى آخر، فأهل الحلّ والعقد كسائر الناس يصيبون ويخطؤون، ولأنّهم كانوا من أصحاب الفضل

١. تفسير الرّازي، ج ٥، ص ١٥١.

والتجربة والخبرة في الأمور فتقل أخطائهم، وكان الأمر بوجوب طاعتهم مع كونهم ربما يخطؤون من باب المسامحة في ذلك و بناءً للمصلحة الغالبة في مداخلتهم، وليس من باب عصمتهم وعدم خطئهم.

وقد أشار العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان الى أنّ هذه الرواية لا تنفي الخطأ عن اجتماع الأمة ولكنها تنفي اجتماع الأمة على الخطأ، يعني أنّ هذا الخطأ ممكن أن يكون في بعض من أفراد الأمة ولا يشملهم فرداً فرداً، فهذه الأمة لا بد أن يكون فيها من هو على حق ولو شخص واحد، وهو الإمام المعصوم والذي يستطيع أن يمنع اجتماع الأمة على الخطأ.

يبقى القول الرابع بأنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام هم أولو الأمر، وهو القول السديد، فيستبعد الفخر الرازي ذلك رغم إثباته لعصمة أولي الأمر كما ذكرنا وذلك لأسباب، هي:

أولاً: إذا كان وجوب إطاعتهم مطلقاً بدون تقييد بشرط وهو شرط معرفتهم، فهذا يصبح وجوب إطاعتهم بدون معرفتهم تكليف ما لا يطاق؛ وإذا كان وجوب إطاعتهم يتحقق بعد معرفتهم، فهذا يجعل وجوب طاعتهم مشروطاً بمعرفتهم، وهو خلاف كون وجوب الطاعة مطلقاً كما في ظاهر الآية، ونذكر نصّ قوله:

إنّ طاعتهم مشروطة بمعرفتهم وقدرة الوصول اليهم، فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف ما لا يطاق، ولو أوجب علينا طاعتهم إذا صرنا عارفين بهم وبمذاهبهم صار هذا الايجاب مشروطاً وظاهر قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ يقتضي الإطلاق.^١

ونحن نقول: إنّ إطاعتهم مشروطة بمعرفتهم وليس وجوب إطاعتهم مشروطاً بمعرفتهم، وبينهما فرق، فإطاعة أولي الأمر مشروطة بمعرفتهم كما أنّ إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله

١. تفسير الرازي، ج ٥، ص ١٥١.

مشروطة بمعرفته، ولكن وجوب الطاعة ليس مشروطاً بشرط وهو مطلق، والمعرفة هنا شرط تحقق التكليف لا نفس التكليف، والتكليف هنا هو وجوب الطاعة ووجوب الطاعة مطلق؛ والحمل على أن أولي الأمر هم الأئمة المعصومون عليهم السلام يحتاج الى تعريف صريح من الله ورسوله لأجل معرفتهم، وقد تم ذلك بنزول الآيات من ناحية الله سبحانه وتعالى كآية التطهير وآية الولاية وغيرها.

وصدور الأحاديث عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في هذا المضمون، كحديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما والتي تم ذكرها في هذا الكتاب، وكل هذا التعريف بهم من أجل أن يكون العمل بالتكليف ليس ما لا يطاق كما قال الرازي، وإن حصل عدم معرفة للإمام المعصوم من ناحية المؤمنين فهو تقصير منهم في ذلك، إذ إن من المفروض على كل مؤمن ومؤمنة كشف الحقائق وفهمها وإدراكها بالشكل الصحيح.

ثانياً: اعتقاد الشيعة الإمامية بوجود إمام واحد في كل عصر وزمان يدل على صيغة المفرد حيث إن ظاهر الآية يدل على صيغة الجمع، فيصبح قول الشيعة مخالفاً لدلالة ظاهر الآية، وهذا نص قول الرازي: «إنه تعالى أمر بطاعة أولي الأمر، وأولو الأمر جمع، وعندهم لا يكون في الزمان إلا إمام واحد، وحمل الجمع على المفرد خلاف الظاهر»^١.

ونحن نقول: إن وجود إمام واحد في كل عصر بصيغة المفرد لا يخالف وجود أئمة متعددين واجبي الطاعة في عصور مختلفة بصيغة الجمع، كما جاء ذكر كلمة «أئمة» في الآية المباركة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^٢ بصيغة الجمع ولم يستدل في التفاسير على أن هؤلاء الأئمة المقصودين في الآية كانوا في زمن واحد لأجل إطلاق صيغة الجمع عليهم، ونظائر ذلك كثير جداً في القرآن الكريم.

ثالثاً: يجب أن يكون الرد في التنازع لله والرسول صلى الله عليه وآله فقط، وإن كان القصد من أولي الأمر في الآية هو الإمام المعصوم لكانت الآية: «فردّوه الى الإمام المعصوم»، إذ يقول الرازي في

١. تفسير الرازي، ج ٥، ص ١٥١.

٢. سورة السجدة، آية ٢٤.

ذلك: «إِنَّهُ قَالَ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ولو كان المراد بأولي الأمر الإمام المعصوم لوجب أن يقال: فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الإمام»^١.

ونحن نقول: إن أولي الأمر لا يستطيعون وضع أحكام جديدة ولا نسخ أحكام ثابتة، وإنما يستطيعون فقط أن يذكروا رأيهم في موارد جريان الولاية، وأن يبينوا أحكام الله ورسوله في الأمور والمسائل العامة، فالمؤمنون يرجعون في أمورهم إلى أولي الأمر، وأولو الأمر يردون ذلك إلى الله ورسوله ﷺ يعني الرد إلى الكتاب والسنة.

إذن، أولو الأمر هم أشخاص معيّنون، أُعطوا ولاية الأمر من جانب الله ﷻ، ولديهم العصمة كما لرسول الله ﷺ ذلك، وتجب إطاعتهم بدون أي قيد أو شرط، وأمرهم واجب التنفيذ كأمر الله ورسوله، ولا يمكن أن يكونوا من الحكام الظالمين والمنحرفين والملوثين بالإثم والظلم والفسق والفجور، إذ لا طاعة لفاسق كما بين الزمخشري ذلك في تفسيره، حيث قال:

وكيف تلزم طاعة أمراء الجور... وأمراء الجور لا يؤدّون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئاً إلى كتاب ولا إلى سنة، إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم! فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله.^٢

مصدق أولي الأمر في الروايات

والآن نتطرق إلى ما جاء في الروايات في معنى أولي الأمر؛ فقد أخرج الحاكم الحسكاني ثلاثة أحاديث بثلاث طرق تبين لنا مصداق أولي الأمر في هذه الآية وهي:

- بسنده عن أبي الحسن علي بن يحيى قال: حدثني أبان بن أبي عياش قال: حدثني سليم ابن قيس الهلالي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «شركائي الذين قرنهم الله بنفسه وبني وأنزل فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ الآية، فإن خضتم تنازعاً

١. تفسير الرازي، ج ٥، ص ١٥١.

٢. تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٩٦.

في أمر فأرجعوه الى الله والرسول وأولي الأمر». قلت يا نبي الله من هم؟ قال: «أنت وأولهم»^١.

— بسنده عن مجاهد [في قوله تعالى]:... ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. قال: نزلت في أمير المؤمنين حين خلفه رسول الله بالمدينة فقال: «أتخلفني على النساء والصبيان»؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال له أخلفني في قومي وأصلح». فقال الله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. قال: [هو] علي بن أبي طالب ولاه الله الأمر بعد محمد في حياته حين خلفه رسول الله بالمدينة، فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه^٢.

— بسنده عن أبي بصير، عن أبي جعفر، أنه سأله عن قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: «نزلت في علي بن أبي طالب». قلت: إن الناس يقولون: فما منعه أن يسمي علياً وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر: «قولوا لهم: إن الله انزل على رسوله الصلاة ولم يسم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك، وأنزل الحج فلم ينزل: طوفوا سبعمائة حتى فسر ذلك لهم رسول الله وأنزل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فنزلت في علي والحسن والحسين، وقال رسول الله ﷺ: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي إني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض فأعطاني ذلك»^٣.

وأخرج القندوزي في ينابيع المودة بسنده في فرائد السمطين عن سليم بن قيس الهلالي أنه قال:

رأيت علياً عليه السلام في مسجد رسول الله ﷺ... قال: «فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت:

١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج ١، ص ١٨٩.

٢. المصدر السابق، ص ١٩٠.

٣. المصدر السابق، ص ١٩١.

٤. جاء نص هذه المناشدة في هذا الكتاب للاطلاع فراجع.

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^١. وحيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ...﴾^٢. فقام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول الله هؤلاء الآيات خاصة في علي؟ قال: بل فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. قالوا: يا رسول الله بينهم لنا. قال: علي أخي ووزير ووارثي ووصي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد ابني الحسين واحداً بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على الحوض. فقالوا كلهم: اللهم نعم قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت وشهدنا كما قلت سواء^٣.

٣. آية التبليغ وحديث الغدير

الآية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^٤ تسمى بآية التبليغ، وتشير إلى أن الله ﷻ أمر النبي ﷺ بتبليغ أمر مهم جداً يتوقف عليه إبلاغ الرسالة بأكملها. وتشير الآية أيضاً إلى أن إبلاغ هذا الأمر يكون خطيراً جداً للرسول ﷺ بحيث يطمئن الله فيها رسوله ﷺ بأن يحميه من كيد الكائدين؛ وأن الأمر الذي أمر الله بتبليغه مكمل للرسالة وجزء منها، لوجود الشرط والجزاء في الآية، فالشرط هو إبلاغ ما أمر الرسول ﷺ بإبلاغه، والجزاء في حالة عدم إبلاغ الشرط يكون عدم إبلاغ الرسالة؛ ولا نستطيع القول بأن الشرط هو إبلاغ الرسالة والجزاء في حالة عدم القيام بالشرط سيكون عدم إبلاغ الرسالة، لأنه يصبح القول: يا أيها النبي بليغ الرسالة وإن لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة،

١. سورة النساء، آية ٥٩.

٢. سورة المائدة، آية ٥٥.

٣. ينابيع المودة، الباب الثامن والثلاثون، ج ١، ص ٣٤٢.

٤. سورة المائدة، آية ٦٧.

٥. التسهيل لعلوم التفسير لابن جزري، ص ١٧٣ (إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتبها).

وهذا الكلام يستوجب وجود العيب، وحاشا لله من ذكر العيب، كما صرح القرآن لنا بذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^١.
 ويبيّن لنا الخطاب في هذه الآية أنّ القصد فيها هو: إن لم تبلغ ما أنزل اليك الآن فكأنّما لم تفعل أي شيء! ويبدو من هنا أنّ هذا الأمر الذي أمر الله به أن يُبلّغ هو أمر مصيري للرسالة والدين ومستقبل الأمة الإسلامية جمعاء، وأنّ فائدة الرسالة تتم بتبليغ هذا الأمر، وأنّ عدم إبلاغه يسبب عدم إبلاغ الرسالة بأجمعها وترك تبليغ الرسالة هو أشدّ تهديد.^٢
 وإن صحّ القول بأنّ الرسول ﷺ أمر في هذه الآية بالذات بإبلاغ الرسالة، إذن ماذا كان يفعل طيلة هذه السنين من زمان البعثة الى وقت نزول الآية؟ وماذا يُسمى عمله الذي قام به في تلك السنين وقبل نزول الآية؟ ألم يكن إبلاغ الرسالة؟ بلى، إنّه لم يكن إلّا إبلاغ الرسالة، إبلاغها بشكل تدريجي مع تدرّج نزول القرآن الكريم، والتي كانت يجب أن تكتمل بإبلاغ ما أنزل اليه في مضمون هذه الآية.

وهناك من يقول إنّ الرسول ﷺ عند نزول هذه الآية كان قد أمر من الله بتبليغ الشريعة بما تضمنته من أحكام وأوامر ونواهي وآداب وأخبار ومواعظ وعبر^٣ وعدم ترك آية من القرآن، ومنهم من يقول أنّه ﷺ أمر بالتبليغ على الاستيفاء والكمال وأن لا يتوقف عن شيء مخافة أحد^٤ وأن لا يترك البعض من الرسالة^٥؛ فمع الأخذ بنظر الاعتبار بأنّ النبيّ ﷺ لم يكن يقصّر الى ذلك الوقت في تبليغ الرسالة، إذن نحن نسأل: ما هو المراد من ذلك البعض من الرسالة الذي يشير اليه هؤلاء عند نزول هذه الآية والذي نستنبط من كلامهم أنّه كان من الممكن أن يترك الرسول ﷺ إبلاغه في حال وجوب إبلاغه عليه؟ وما هو هذا الموضوع الذي

١. سورة فصلت، آية ٤٢.

٢. تفسير الرازي، ج ٦، الجزء الثاني عشر، ص ٥٢ (لا يمكن أن يوصف ترك التبليغ بتهديد أعظم من أنه ترك التبليغ، فكان ذلك تنبيهاً على غاية التهديد والوعيد والله أعلم).

٣. الوسيط، لسيد طنطاوي، ج ٤، ص ٢٢٣؛ التحرير والتنوير، ج ٦، ص ٢٥٧ (بأن يدوم على تبليغ الشريعة).

٤. تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٢٧٠.

٥. تفسير الثعالبي، ج ٢، ص ٤٠٣؛ المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٢١٧؛ تفسير اللباب، ج ٧، ص ٤٣٦.

٦. تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٢٧٠؛ الوجيز، للواحدي، ج ١، ص ٣٢٨.

تحدث عنه الآية بالذات؟ وكذلك ما هو السبب الذي يجعل البارئ تعالى يكلم رسوله بهذا الأسلوب؟ وياترى ما هو هذا الأمر الخطير الذي يتحدث عنه البارئ تعالى في هذه الآية بهذا اللحن، لحن الأمر والتهديد وإعطاء الأمان من خطر الناس؟ بالتأكيد أن هذا البعض من الرسالة مهم جداً بحيث أنه يتم بإبلاغه إكمال الرسالة بأجمعها!

شأن نزول آية التبليغ

والآن يوجب علينا أن نبحث عن ذلك المضمون الذي تهدف إليه آية التبليغ المباركة و بعض الرسالة الذي أشار اليه علماء التفسير، وذلك من خلال مراجعة التفاسير وكتب الحديث ونقل الروايات الواردة في هذا الخصوص، ونبدأ بالتفاسير أولاً، فقد عدّ الرازي في تفسيره عشرة وجوه لنزول هذه الآية منها نزولها في فضل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال:

نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلقبه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي.^١

وأخرج الثعلبي الروايات الواردة في هذه الآية في تفسيره^٢ بالتفصيل عن رواها بنزول الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد أخرج عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: معناه: بلغ ما أنزل إليك في فضل علي بن أبي طالب، فلما نزلت الآية أخذ عليه السلام بيد علي عليه السلام، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وأخرج بسنده عن البراء قال:

لما نزلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع كنا بغدير خم فنأدى إن الصلاة جامعة وكسح

١. تفسير الرازي، ج ٦، ص ٥٣.

٢. الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٤، ص ٩٢.

رسول الله عليه الصلاة والسلام تحت شجرتين وأخذ بيد علي، فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ألست أولى بكل مؤمن من نفسه»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

قال: فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة.

وأخرج بسنده عن ابن عباس أنه قال:

في قوله: ﴿الرَّسُولُ بَلَّغْ﴾ قال: نزلت في علي رضي الله عنه أمر النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ بيد علي، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ونقل النيسابوري في تفسيره أن هذه الآية نزلت في فضل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي سعيد الخدري حيث قال:

...﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ عن أبي سعيد الخدري أن هذه الآية نزلت في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه يوم غدير خم، فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلقيه عمر وقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي.^١

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية بسنده عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».^٢

وأخرج الحسكاني في شواهد التنزيل بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قوله: «لما أصرى بي إلى السماء سمعت [نداءً من] تحت العرش أن علياً راية الهدى وحبيب من

١. تفسير النيسابوري، ج ١، ص ٦١٦.

٢. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٤، ص ١١٧٢.

يؤمن بي بلغ يا محمد»، قال: فلما نزل النبي ﷺ أسر ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في علي بن أبي طالب، ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^١

وهذه الأقوال هي خير دليل على نزول الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام.

محل نزول آية التبليغ و يومها

هذه الآية، كما صرح جمع كبير من علماء التفسير من أهل السنة، نزلت في مكان يسمى
الجحفة، ويعرف بغدير خم، وهو مكان تنفصل فيه مياه المدينة عن مصر والشام والعراق،
وقد نزلت في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، من السنة العاشرة للهجرة، عند رجوع
الرسول ﷺ مع عدد غفير من حجاج بيت الله الحرام من الحج الى منازلهم، وقد روى جمع
كبير من أئمة المفسرين وحفاظ السنن، الروايات الواردة في شأن نزول هذه الآية في علي بن
أبي طالب عليه السلام في كتبهم^٢، فقد جاء ذكر ذلك في المصادر كما يلي:

ذكر الواحدي في أسباب نزول هذه الآية عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «نزلت هذه الآية
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يوم "غدير خم" في علي بن أبي طالب عليه السلام»^٣.
وأخرج الحسكاني في شواهد التنزيل بسنده عن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم وتلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه ثم
قال: «ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». ثم قال:
«اللهم اشهد»^٤.

١. شواهد التنزيل، للحسكاني، ج ١، ص ٢٤٩.

٢. لقد ذكر الاندوني (المعروف بابن رويش) في كتاب شواهد التنزيل لمن خصّ بالتفضيل في آية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾، أسماء القائلين بنزول هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام فراجع، ص ٨.

٣. أسباب نزول القرآن، ص ٣٥١.

٤. شواهد التنزيل، للحسكاني، ج ١، ص ٢٥٢.

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ على رسول الله ﷺ يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب»^١.

المقصود من «الناس» في آية التبليغ

إذا كان المقصود من لفظ «الناس» في الآية المباركة هو الكفار كما يدّعي البعض، فهذا غير صحيح، لأنّ سورة المائدة من آخر السور التي نزلت على الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة وفي موسم الحج إذ إنّ الإسلام كان في ذلك الوقت عزيزاً بالقدر الكافي والرسول ﷺ لم يكن آنذاك يخاف من الكفار حتى يطمئنه الله ﷻ منهم، فالخوف إذن حتماً كان من بعض الأصحاب والمتأففين الذين يعيشون بخفاء مع النبي ﷺ والذين يشتمل عليهم لفظ «الناس» في الآية الكريمة.

وأما ما ورد من الأقوال في ترتيب نزول هذه السورة في كتب التفسير فهو:

سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن.^٢

وعن النبي ﷺ: «المائدة من آخر القرآن نزولاً، فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها».^٣

إنّ سورة المائدة هي من آخر السور نزولاً، وإنّها نزلت في عام حجّة الوداع.^٤

ومع أخذ هذه الأقوال بنظر الاعتبار ينتفي القول بأنّ المراد من «الناس» هو الكفار منهم، فهذا اللفظ يمكن أن يشملهم لكن لا يقتصر عليهم.

فعل الرسول ﷺ بعد نزول آية التبليغ

إذا راجعنا الروايات نجد فيها ما فعله الرسول ﷺ بعد نزول هذه الآية والمسمّى بحديث الغدير، وهو أنّ الرسول ﷺ أصبح بعد نزول هذه الآية مستجيباً لأمر ربه آخذاً بيد الإمام

١. تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٢٣٧.

٢. الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٤، ص ٩٣؛ تفسير الرازي، ج ٦، ص ١٢٣.

٣. الكشف، للزخشري، ج ٢، ص ١٩٢.

٤. التحرير والتنوير، ج ٦، ص ١٢٦.

على عليه السلام قائلا: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه...»، هذا الحديث قد وصل نقله الى حد التواتر أو أكثر، وقد صرح بتواتره جمع من علماء أهل السنة منهم شمس الدين الذهبي^١ الذي نعلم أنه كان متشدداً، ورواه المفسرون وأصحاب الحديث بطرق متعددة وألفاظ مختلفة مما دل على أنه كان من الأحاديث المعروفة عند الرواة، والآن نكتفي بذكر عدد يسير من تلك الروايات الواردة فيه ونبدأ بها أخرجه الحاكم في المستدرک بسنده عن زيد بن أرقم حيث قال:

لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقممن، فقال: «كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنها لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: «من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^٢.

وما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن زيد بن أرقم، قال:

لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقممت ثم قال: «كأني قد دعيت فأجبت، إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ فانها لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» ثم قال: «إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن» ثم أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقلت لزيد: أنت سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا قد رآه بعينه وسمعه بأذنيه^٣.

وأخرج النسائي في الخصائص والسّن بسنده عن زيد بن أرقم أنه قال:

لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع، ونزل غدیر خم، أمر بدوحات فقممن ثم قال: «كأني دعيت، فأجبتُ واني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي

١. رسالة طرق حديث من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ص ١١.

٢. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٧١.

٣. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٣، ص ٢٨٦.

أهل بيتي، فانظروا كيف تحلفوني فيهما، فإتّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» ثم قال: «إن الله مولاي، وأنا ولي كلّ مؤمن». ثم أخذ بيد عليّ، فقال: «من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحدٌ إلّا رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه.^١

و أخرج أحمد بن عبد الله الطبري عن البراء بن عازب أنه قال:

كنا عند النبي ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلى الظهر وأخذ بيد علي وقال: «ألستم تعلمون أيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟! قالوا: بلى، فأخذ بيد عليّ وقال: «اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، قال: فلقى عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة.^٢

دلالة حديث الغدير

لقد دلّ حديث الغدير على أنّ الرسول ﷺ قد بلغ أمر ربّه، وهو إبلاغ الناس بإمامة وخلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه وصيّ من بعده؛ ونستدلّ على ذلك بالقرائن الحاليّة والمقاليّة الموجودة في الروايات الواردة في هذا الحديث، وهي:

اولاً: إنّ ما ورد في الحديث في أنّ الجوّ كان حاراً جداً: «وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس» يدلّ على أنّ الرسول ﷺ بادر في مثل تلك الظروف الحرجة الى تبليغ ما أمره به ربه خوفاً من أن تبقى الرسالة ناقصة، ولم تمنعه حينئذٍ تلك الظروف الصعبة كحرارة الشمس من الامتثال لأمر الله ﷻ، ولو كان ذلك الأمر ليس بالأمر المهم لانتظر كحرارة الشمس حتى يصل الى مكان بارد ويعلن عن ذلك، إذن فمبادرته هذه تدلّ على أهميّة ذلك الأمر.

١. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ٥٧؛ السنن الكبرى، للنسائي، ج ٥، ص ١٣٠.

٢. ذخائر العقبى، ص ٦٧.

ثانياً: كان ذلك المكان الذي تحدّث فيه رسول الله ﷺ مفترق طرقٍ للحجاج، أي الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والعراقيين والمصريين، وكان هو المكان الذي يجب على كل واحد من حجاج تلك البلدان أن يمر به للذهاب الى بلده، وقبل أن يفترق أولئك الحجاج للذهاب الى بلدانهم جمعهم رسول الله ﷺ في ذلك المكان وخطب فيهم خطبته المعروفة بخطبة الغدير وبلّغهم بما أمره به الله ﷻ، فتواجد جميع حجاج تلك البلدان في ذلك المكان كان قد سهّل على الرسول ﷺ تبليغ الأمر وإيصاله الى أسمع عدد غفير من المسلمين، ولو لم يبادر الرسول ﷺ حينئذٍ بهذا العمل لم يكن يستطيع جمعهم مرة أخرى بهذا الشكل وبسهولة.

ثالثاً: تواجد عدد كبير من المسلمين يؤيّد أنّ الرسول أراد إبلاغ الأمر بشكل واسع حيث لا يمكن بعد ذلك إنكاره أو كتمانها، إذ لا يمكن إجماع كل هؤلاء المسلمين على الكذب أو الكتمان. رابعاً: إنّ الرسول ﷺ: أمر أن يعود من تقدم من الأمة و ينتظر من تأخر منهم»، فيا ترى لماذا أمر الرسول ﷺ بجمع الناس كلهم في آنٍ واحدٍ وفي مكانٍ واحدٍ وأن لا يتخلف منهم أحدٌ؟ من المؤكد أنه كان يريد تبيين أمر مهم يجب على المسلمين سماعه وهذا الأمر هو أمر مصيري.

خامساً: ومن ثم دعوة الجميع الى صلاة الجماعة: «فندي فينا الصلاة جامعة» و: «فأمر بالصلاة»^١، حيث يراد بذلك أن يبقى الجميع متواجدين في ذلك المكان، فقد جرت العادة آنذاك أن تبّلى الأمور المهمة للمسلمين بعد انتهاء الصلاة في خطبة يخطبها النبي ﷺ.

سادساً: قوله ﷺ: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» وجوابهم له: «بلى» ومن ثمّ قوله ﷺ: «إن الله عز وجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن»، يبيّن أهمية هذا الموضوع؛ ونحن نسأل لماذا يناشد الرسول ﷺ الناس هنا ويقول هكذا مستنداً إلى الآية القرآنية: ﴿التَّيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^٢؟ وما هو الموضوع الذي يريد النبي ﷺ أن يدخل له من هذا المدخل ويقارنه بولاية الله ورسوله والتي يجب أن تكون في كل الأمور على الإطلاق وبدون أي

١. فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦١٠.

٢. سورة الأحزاب، آية ٦.

تقييد؟ وأيضاً لماذا قرن الرسول ﷺ ولايته بولاية الله ﷻ المتولي لأمر العباد؟ وما الذي كان يريد الرسول ﷺ أن يؤكد عليه بذكره لهذه الآية التي ذكر الزمخشري في تفسيرها ما يلي؟:

«التَّيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ» في كل شيء من أمور الدين والدنيا «مِنْ أَنْفُسِهِمْ» ولهذا أطلق ولم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه أثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبذلوا دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ووقاه إذا لقت حرب، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه، ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ وصرّ فهم عنه، لأن كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين^١.

بالطبع نستنتج من هذه القرينة ومن التفسير لهذه الآية أن هذا الأمر المهم ليس إلا تعيين من يتولى أمر المسلمين بعد رسول الله ﷺ، حيث استفاد الرسول ﷺ في ذلك من منزلته الخاصة وهي الولاية المطلقة على الأمة في تعيين الولي بأمر المسلمين من بعده، واستخدم أسلوباً دقيقاً جداً يساوق ما استخدمه الله تعالى في القرآن الكريم بأن أشهدهم على أنفسهم، وبعد أن استلم الجواب والشهادة من المسلمين بأن قالوا «بلى» فرّع على ولاية علي عليه السلام وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» ليوصل الهدف الى ذروته المطلوبة.

سابعاً: إلقاء خطبة للرسول ﷺ في حضور جميع الحجاج في ذلك المكان، فقد جاء في الروايات: «فَخَطَبْنَا» و: «فخطب» و: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيْبًا بِهَاءٍ يُدْعَى خُمَّا»، وقد روى مسلم في باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام بسنده عن زيد ابن الأرقم قال:

قام رسول الله ﷺ يوماً فِينَا خَطِيْبًا بِهَاءٍ يُدْعَى خُمَّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي...»^٢.

١. تفسير الكشاف، ج ٥، ص ٥٠.

٢. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٢.

وأخرج أحمد في المسند بسنده عن ميمون بن أبي عبد الله قال:

قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بوادٍ يقال له: وادي خم، فأمر بالصلاة، فصلاها بهجير. قال: فخطبنا، وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: «ألستم تعلمون - أو لستم تشهدون - إني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى. قال: «فمن كنت مولاه، فإنَّ علياً مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»^١.

وأخرج النسائي في الخصائص بسنده عن عائشة بنت سعد قالت:

أخذ رسول الله ﷺ بيد علي، فخطب: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ألستم تعلمون أنني أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: نعم، صدقت يا رسول الله، ثم أخذ بيد علي فرفعها، فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، وإنَّ الله يوالي من والاه، ويعادي من عاداه»^٢.

وقال اليعقوبي في تاريخه:

وخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر ويوم عرفة حين زالت الشمس على راحلته قبل الصلاة من غد يوم منى. فقال في خطبته: «نضر الله وجه عبد سمع مقالتي فوعاها وحفظها... ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم! قال: «اللهم اشهد». ثم قال: «ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم! قال: «اللهم اشهد».

... ولما كان يوم النفر دخل البيت، فودع ونزل عليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وخرج ليلاً منصرفاً إلى المدينة، فصار إلى موضع بالقرب من الجحفة يقال له: غدير خم، لثاني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، وقام خطيباً وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «فمن كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

١. مسند أحمد بن حنبل، باب حديث زيد بن أرقم، ج ٤، ص ٣٧٢.

٢. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ٦٥.

ثم قال: «أيها الناس إنِّي فرطكم وأنتم واردني على الحوض، وإنِّي سأثلكم حين تردون عليّ، عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيها». وقالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تفلتوا، ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي»^١.

وكل هذه الروايات تؤيد أنّ الرسول ﷺ ألقى خطبة غرّاء، ولكن للأسف كلّ الأسف أنّ حفاظ سنّة رسول الله ورواة أحاديثه من علماء أهل السنّة اكتفوا بذكر بعض خطب رسول الله ﷺ ولكن لم يوردوا خطبته في يوم الغدير ولم يشيروا الى محتواها إلاّ ما اشتهر من حديث الغدير، أو أقوال طفيفة؛ ولعل ذلك الكتمان كان لأغراض تتوافق مع مصالح البعض منهم؛ ونحن نسألهم أين تلك الخطبة التي خطبها رسول الله ﷺ؟ وما هو محتواها؟ وما هو مضمونها؟ وما الذي ذكره رسول الله ﷺ؟ وما الأمر الذي أراد الرسول ﷺ إبلاغه في تلك الظروف الصعبة؟ وهل كان الرسول ﷺ يريد إيذاء المسلمين في تلك الشمس الحارة؟ وهل كان يريد أن يجرّهم ويؤخرهم عن الرجوع الى بلادهم عبثاً؟ بالتأكيد لا، وحاشا لرسول الله ﷺ أن يفعل العبث، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^٢، فلا شكّ ولا ريب في وجود كان أمرهم يجب إيصاله الى أسمع الأمة الإسلاميّة، وقد قام الرسول ﷺ بإنجازه آنذاك.

ثامناً: ومن بعد كل ذلك وفي أثناء الخطبة: «أخذ بيد عليّ فرفعها» ومن ثمّ: «رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه»، فيا ترى لماذا أخذ بيد الإمام عليّ عليه السلام ورفعها؟ هل كان هناك أشخاص ينكرون ما حصل، أو هل كان رسول الله ﷺ قد حاول قبل هذا الوقت أن يوصي للإمام عليّ عليه السلام ولكن شوّش على كلامه بعض الأصحاب ومنعوا الناس من سماع كلامه وضوح فأضطرّ الى أن يرفع يد الإمام عليّ عليه السلام ليراها البعيد والقريب وليتمكن حتى الأصمّ الذي لا يستطيع السماع من رؤيتها لكي يعلم أهميّة الموضوع ويدرك مقالة رسول الله ﷺ في

١. تاريخ يعقوبي، حجة الوداع، ج ٢، ص ١٠٩.

٢. سورة النجم، آية ٣ و٤.

أمير المؤمنين علي عليه السلام؟ نعم هكذا يبين لنا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت حيث أنه كان يريد بهذا العمل أن لا يبقى أي عذر للمعرضين، وأن يرسخ القضية في الأذهان حتى تصل إلى مرحلة أن يبلغ الشاهد بها الغائب

تاسعاً: لقد تحقق الهدف المطلوب والمتوقع وهو أنه لم يبق أحد من الحاضرين في ذلك المكان إلا رأى الرسول صلى الله عليه وآله وهو رافع يد علي عليه السلام، وسمع مقالته بأذنيه كما جاء في الروايات: «وانه ما كان في الدوحات أحدٌ إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه».

عاشراً: تهنئة عمر للإمام علي عليه السلام بعد مقالة الرسول صلى الله عليه وآله وهي: «فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم» مما يبين لنا أن المسلمين عرفوا أهمية قول رسول الله صلى الله عليه وآله في نفس اللحظة التي صدر منه هذا الحديث وخضعوا له في ذلك الوقت، ولكن لماذا أنكروا ذلك بعد وفاته ولم يعملوا به؟ ولماذا يسير أتباعهم ومؤيدوهم على نفس النهج الذي ساروا عليه ويناقدوا آراء من قال بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام بعصبية عمياء؟ وما هو نفعهم من ذلك؟ هل يكسبوا بهذا العمل رضا الله سبحانه وتعالى أم شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! كل هذه الأسئلة يجب أن يجيب عنها الضمير الحي للمسلم المحقق الورع ويعرض جوابها على المجتمع الإسلامي ليحصل بها على خير الدنيا والآخرة وحسن العاقبة في الدارين.

ومن جملة ما يستطيع الإنسان المؤمن أن يستند إليه في كشف الحقيقة هو قول الرسول صلى الله عليه وآله في خطبة له في أواخر حياته الشريفة يبين فيها قلقه وخوفه على عاقبة الأمة الإسلامية وولوجها في الماديات وحب الدنيا والمنافسة على المناصب، فقد أخرج البخاري هذا القول بسنده في الصحيح في باب الصلاة على الشهيد وباب علامات النبوة وباب ما يحذر من زهرة الدنيا وباب في الحوض، وكذلك أخرجه أحمد في المسند بسنده عن عقبة بن عامر قال:

إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيْتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ

مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»^١.

وأخرجه مسلم بألفاظ أخرى في الصحيح في باب إثبات حوض نبينا وصفاته، بسنده عن عقبة بن عامر قال:

صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: إني فرطكم على الحوض وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشرکوا بعدي ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم، قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر.^٢

وقد أخبر الرسول ﷺ أيضاً عن وقوع الاختلافات بين المسلمين بعد وفاته ﷺ، فهو كان يعلم أن المسلمين سوف يتنافسون على الدنيا والمنافع من بعده، ولهذا يجب على المسلمين أن يأخذوا العبرة وأن يحذروا من وقوع أمثال ذلك.

وأخيراً نستنتج أن حديث الغدير يدل على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام وخلافته بعد رسول الله ﷺ ووصية الرسول ﷺ له.

صحة حديث الغدير

ونقول لمن شكك في دلالة هذا الحديث إنه حديث صحيح بشهادة علماء المسلمين، فكل ما في الأمر أن التعصبات قد أعمت عيون البعض عن رؤية الحق، وأرادوا من تشكيكهم هذا أن يفندوا رأي الشيعة الذين جعلوا هذا الحديث دليلاً على إمامة علي عليه السلام، فقد ألف الفريقان من المسلمين كتب عديدة حول الغدير وفي مصادره ورواته ومضمونه مما لا يترك أي شك فيه، وصححه الألباني بمختلف طرقه وألفاظه في السلسلة الصحيحة وقال الحاكم هو صحيح على شرط الشيخين، وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة:

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ٣١٧؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ١٤٩.

٢. صحيح مسلم، ج ٧، ص ٦٨.

إنه حديث صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقة كثيرة جداً ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته كما مر وسيأتي وكثير من أسانيدنا صحاح وحصان ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده بأن علياً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي، وقول بعضهم إن زيادة «اللهم وال من والاه» الخ موضوعة مردود، فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيراً منها.^١

ويقول ابن حجر على رغم تصحيحه لحديث الغدير، إن إمامة أبي بكر تصح لإجماع الأمة عليه، ونحن نقول إنّه لا مجال للإجماع أمام النص، فما دام هناك نص على الإمامة لعلي عليه السلام فالإجماع يصبح عديم المعنى حينئذ.

وأخرج الترمذي أيضاً حديثاً آخر بنفس هذا المضمون في باب مناقب علي بن أبي طالب بسنده عن سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم شك شعبة: عن النبي ﷺ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه».^٢

ونذكر هذا الحديث الذي أخرجه الحاكم في كتابه المستدرک على الصحيحين وصححه الذهبي في التعليق، بهذا المضمون، بسنده عن زيد بن أرقم قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى انتهينا إلى غدير خم فأمر بدوح، فكسح في يوم ما أتى علينا يوم كان أشد حراً منه فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أيها الناس، إنه لم يبعث نبي قط إلا ما عاش نصف ما عاش الذي كان قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم ما لن تضلوا بعده كتاب الله عز وجل»، ثم قام فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «يا أيها الناس، من أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم^٣، قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.^٤

١. الصواعق المحرقة، الباب الأول، ص ٤٢.

٢. سنن الترمذي، ص ٢٠٣٤، حديث ٣٧١٣.

٣. لاحظ أنه لم يأتي في هذا الحديث: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى».

٤. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر زيد بن أرقم، ج ٤، ص ٦٨٦.

معنى كلمة «مولى»

هل يمكن أن يكون معنى المولى في هذا الحديث هو المحبِّ والنَّاصر والمعاني الأخرى التي يطرحها بعض العلماء من أهل السنَّة؟ أو هل أنه ﷺ قصد في قوله، «ألست أولى بكم من أنفسكم»، يعني أولى بالمحبَّة؟ بالطبع لا، بل المعنى أنه هو أولى منهم بأموالهم وأولى بهم من أنفسهم وله حقُّ الأولويَّة عليهم في كل شيء؛ وإذا راجعنا كتب اللُّغة نجد معاني كثيرة لكلمة مولى تنفي انحصار استعمال هذه الكلمة في المحبَّة والنُّصرة، ومن هذه المعاني ما قاله الخليل ابن أحمد في كتاب العين: «والمَوْلَى: المعتق والحليف والمولى. والمولى: وليُّ النعم». ١
وما قاله ابن الأثير في معنى كلمة «مولى» في كتاب النهاية وهو:

وقد تكرر ذكر [المَوْلَى] في الحديث وهو اسمٌ يقع على جماعةٍ كثيرة، فهو الرَّبُّ والمَالِكُ والسَّيِّدُ والمُنْعَمُ والمُعْتَقُ والنَّاصرُ والمُحِبُّ والتَّابعُ والجارُ وابنُ العَمِّ والحَلِيفُ والعَقِيدُ والصَّهْرُ والعَبْدُ والمُعْتَقُ والمُنْعَمُ عَلَيْهِ وأكثرها قد جاءت في الحديث، فيُضَافُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا يَتَضَمُّهُ الحَدِيثُ الوَارِدُ فِيهِ. وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا أَوْ قَامَ بِهِ فَهُوَ مَوْلَاهُ وَوَلِيِّهِ. وَقَدْ تَخْتَلَفَ مَصَادِرُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فَالْوَالِيَّةُ بِالْفَتْحِ، فِي النَّسَبِ وَالنُّصْرَةِ وَالْمُعْتَقِ. وَالْوَالِيَّةُ بِالكَسْرِ، فِي الْإِمَارَةِ. وَالْوَالِيَّةُ وَالْمَوْلَاةُ مِنَ وَالِي الْقَوْمِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ». ٢

وأما قول الصحاب بن عبَّاد في المحيط في اللُّغة فهو: «والمَوْلَى: ابنُ العَمِّ. وتكونُ بِمَعْنَى الأُولَى؛ كَقَوْلِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ: «هِيَ مَوْلَاكُمْ» أَي هِيَ أَوْلَى بِكُمْ». ٣
ونلاحظ ابن منظور الأفرريقي في كتاب لسان العرب يذكر معاني كثيرة للمولى ويفسر كلمة المولى في «من كنت مولاها» بالمولى، ولا يفسرها بالمحبَّة إلا عندما يصل الى قول «وال من والاه» حيث نجده هناك يفسرها بهذا المعنى؛ فلاحظ ما نقله في ذلك عن ابن سلام عن يونس قال:

١. كتاب العين، ج ٨، ص ٣٦٥.

٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٨٨١.

٣. المحيط في اللُّغة، ج ٢، ص ٤٦٨.

المَوْلَى له مواضع في كلام العرب: منها المَوْلَى في الدِّين وهو الوَلِيُّ وذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ أَي لَا وَلِيَّ لَهُمْ ومنه قول سيدنا رسول الله: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» أَي مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهٖ... وقوله: «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ» أَي أَحَبِّ مَنْ أَحَبَّهُ وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ.^١

ونظراً لهذه المعاني المذكورة، وبمطالعة نصوص الأحاديث المروية والتي يفسر بعضها بعضاً، والتي نرى في مجموعة منها لفظ مولى مثل «من كنت مولاه فعلي مولاه» وفي أخرى لفظ ولي مثل «من كنت وليه فهذا وليه»، ومع ضمّ قول الرسول ﷺ بالآية المباركة،^٢ نستدل أن معنى كلمة مولى في هذا الحديث هو وليّ وأولى، حيث يصبح المعنى: من كنت وليه وأولى به فعلي وليه وأولى به، يعني يصبح معنى المولى هو الوليّ والأولى بالتصريف، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾^٣ حيث فسّر أصحاب التفسير كلمة مولى بمعنى الأولى بالتصريف؛ ومن أجل إثبات هذا المعنى نذكر ما جاء في التفاسير حول هذه الآية وهو:

وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ صاحبكم، وأولى بكم.^٤

﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: صاحبكم وأولى بكم وأحق بان تكون مسكناً لكم.^٥

﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: المتصرفة فيكم تصرف المولى في ملكه، أو: هي أولى بكم، وحقيقة مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم.^٦

وعلى رغم إصرار علماء أهل السنة مثل ابن حجر الهيتمي على أن معنى كلمة مولى في هذا الحديث هو المحبة والنصرة، نراه في الصواعق المحرقة^٧ بعد أن يؤكد على معنى النصرة، يرجع

١. لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٠١.

٢. سورة الأحزاب، آية ٦.

٣. سورة الحديد، آية ١٥.

٤. تفسير إبن كثير، ج ٤، ص ١٨٤٣؛ تفسير الطبري، ج ٢٥، ص ٤٣٨؛ تفسير البغوي، ج ٥، ص ١٩٣.

٥. تفسير الثعلبي، ج ٩، ص ٢٣٩.

٦. البحر المديد، ج ٧، ص ٣١٦.

٧. الصواعق المحرقة، الباب الأول، ص ٤٤.

ويقول إنّ معنى مولى هو أولى ولكن يضيف أنّه ليس أولى بالإمامة بل أولى بالاتباع والقرب وهذا نصّ قوله: «سَلَّمْنَا أَنَّهُ أَوْلَى، لَكِنْ لَا نَسَلِّمُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ الْأَوْلَى بِالْإِمَامَةِ، بَلْ بِالِاتِّبَاعِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ». ومن ثم نراه يُدْعَن بأنّ عليّاً عليه السلام أولى بالإمامة، ولكنّه يقول إنّ عليّاً عليه السلام ليس أولى بالإمامة على نحو الترتيب وإنّما على النحو الذي وقع وهو أن يكون الإمام والخليفة الرابع لتحقق شرط البيعة فيه آنذاك، وهذا قوله:

سَلَّمْنَا أَنَّهُ أَوْلَى بِالْإِمَامَةِ، فَالْمُرَادُ الْمَالُ وَإِلَّا كَانَ هُوَ الْإِمَامَ مَعَ وَجُودِهِ ﷺ وَلَا تَعْرُضُ فِيهِ لَوْ قَتَلَ الْمَالُ فَكَانَ الْمُرَادُ حِينَ يَوْجَدُ عَقْدَ الْبَيْعَةِ لَهُ فَلَا يَنَافِي حَيْثُ تَدْرِكُ التَّقْدِيمَ الْأَتَمَّ الثَّلَاثَةَ عَلَيْهِ لِانْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ.

ومن ثم يعود لما قاله في البداية من صحة إمامة الخلفاء قبل الإمام عليّاً عليه السلام ويقول: «إنّ أهل السنة أجمعوا على صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل». ونحن نقول، إذا كان معنى المولى هو النصرة، فلماذا تراجع ابن حجر وقال: سلّمنا أنّ معناه هو الأولى، إلّا أنّه رأى أنّ هذا المعنى يعني معنى الأولى وهو المعنى المقصود من الحديث؛ ونرى أنّه يذهب الى أعمق من هذا ويقبل بأنّ المراد من هذا الحديث هو إمامة عليّاً عليه السلام ولكنّه يقول ليس القصد أنّها بلا فصل بعد النّبِيِّ ﷺ كما تعتقد الشيعة، مستنداً إلى أمرين، الأول: هو أنّ الإمامة تتحقق بالبيعة، والبيعة لم تحصل لعليّاً عليه السلام إلّا في زمان الخلافة الرابعة، والثاني: هو إجماع علماء أهل السنة على صحة إمامة المفضول على الفاضل. ونجيب نحن عليه ونقول إنّّه لا اجتهاد مقابل النص، وما دام هناك نص صريح من الرسول ﷺ بولاية وإمامة عليّاً عليه السلام إذن لا داعي لوضع الشرط لها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنّ الشيعة في المقابل يعتقدون بقبح إمامة المفضول على الفاضل.

ألفاظ أخرى تؤيد معنى الولاية

وما يؤيد قول الرسول ﷺ في أنّ الإمام عليّاً عليه السلام هو وصيّ وخليفته بناءً على حديث الغدير، تكرار هذا المفهوم في صيغة أخرى وهي أنّ عليّاً عليه السلام ولي كل مؤمن بعده ﷺ، حيث

نجد هذا الحديث المذكوراً في مصادر كثيرة من كتب أهل السنة، منها ما أخرجه الترمذي في السنن في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي يعلى الموصلي في المسند وابن أبي شيبة في المصنف وابن حبان في الصحيح بإسنادهم عن عمران بن حصين قال: «... فَأَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُغْضِباً، الْغَضَبُ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ؟ وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَبِي كُلُّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي»^١. (قال الألباني هذا حديث صحيح)

وما أخرجه الطبراني بسنده عن عمرو بن ميمون قال:

كنا عند ابن عباس فجاءه سبعة نفرٍ وهو يومئذٍ صحيح قبل أن يعمى... يقول: أُنْفُ أُفُ وَقَعُوا فِي رَجُلٍ قِيلَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ الْآنَ وَقَعُوا فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لَهُ: «أَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي»^٢.

وما أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين بسنده عن ابن عباس أنه قال: وقال له رسول الله ﷺ: «أَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي وَمُؤْمِنَةٌ»^٣.

أحداث ما بعد الغدير

ذكر علماء التفسير في شأن نزول الآية الأولى من سورة المعارج الحادثة التي وقعت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع الى المدينة، وقد وقعت هذه الحادثة من أثر الغضب الذي حصل في قلوب المنافقين جراء ما قاله رسول الله ﷺ في علي عليه السلام وبسبب الاعتراض على ذلك؛ فلاحظ أي عاقبة كانت عاقبة هذا الاعتراض وأي عقاب كان ذلك العقاب الذي وقع بسبب مخالفة أمر الله وقول رسوله ﷺ، فقد جاء تفصيل هذه الحادثة وكيفية نزول العقاب في تفسير الآية الأولى من سورة المعارج في كتاب تفسير الثعلبي والقرطبي وابن عادل كما يلي:

وَسُئِلَ سَفِيَانُ بْنُ عَيِينَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿سَأَلْ سَأَلٌ﴾ فِيمَنْ نَزَلَتْ، فَقَالَ: لَقَدْ

١. سنن الترمذي، ص ٢٠٣٤، حديث ٣٧١٢؛ مسند أبي يعلى الموصلي، ج ١، ص ١٨٤؛ مصنف ابن أبي شيبة، فضائل

علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٧، ص ٥٠٤؛ صحيح ابن حبان، كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ج ١٥، ص ٣٧٣.

٢. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٦، ص ٦٩.

٣. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٠٦.

سألني عن مسألة ما سألتني أحد قبلك. حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه، فقال: لما كان رسول الله ﷺ بغدير خم، نادى بالناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليّ فقال: «مَنْ كُنْتُ مولاه فعليّ مولاه».

فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته وأناخها وعقلها، ثم أتى النبي ﷺ وهو في ملاء من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصليّ خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك فضلتنا علينا وقلت: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال: «والذي لا إله إلا هو هذا من الله» فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله سبحانه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ واقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾^١.

فإذا كان بعض المسلمين في زمان الرسول ﷺ يتجرؤون على مثل هذا الاعتراض، إذن لا نستبعد إنكار بعض الصحابة سماع ذلك من الرسول ﷺ أو كتبائهم له وإعراضهم عن الخضوع لقول الرسول ﷺ من بعد وفاته، وقد وقع هذا الأمر بالفعل.

عاقبة كتمان حديث الغدير

لقد ذكرت الروايات أنّ الإمام عليّ عليه السلام عندما ناشد القوم بهذا الحديث وأشهدهم على سماعه من رسول الله ﷺ، كتم بعضهم ذلك، فدعا عليه السلام على من كتم الحديث آنذاك، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمعارضين لله ورسوله والكاذبين على رسول الله ﷺ، فقد أخرج الطبراني في ذلك بسنده عن زيد بن أرقم قوله:

١. الكشف والبيان، ج ١٠، ص ٣٥؛ تفسير القرطبي، ج ٢١، ص ٢١٩؛ تفسير اللباب لابن عادل، ج ١٩، ص ٣٥٠.

ناشد عليّ النَّاس في الرحبة من سمع رسول الله ﷺ يقول الذي قال له؟ فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال زيد بن أرقم: فكننت فيمن كنتم فذهب بصري وكان عليّ ﷺ دعا على من كنتم.^١

وأخرج أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء في باب طلحة بن مصرف بسنده عن عميرة ابن سعد قال:

شهدت علياً على المنبر ناشدا أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم أبو سعيد وأبو هريرة وأنس ابن مالك وهم حول المنبر وعليّ على المنبر وحول المنبر اثني عشر رجلاً هؤلاء منهم، فقال عليّ: «نشدتكم بالله هل سمعتم رسول الله ﷺ يقول من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ فقاموا كلهم فقالوا: اللهم نعم. وقعد رجلٌ فقال: «ما منعك أن تقوم» قال: يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت. فقال: «اللهم إن كان كاذباً فاضربه ببلاءٍ حسنٍ» قال فما مات حتى رأينا بين عينيه نكتة بيضاء لا توارىها العمامة.^٢

أسباب كتمان الصحابة لحديث الغدير

من خلال مطالعة كتب التاريخ والنظر في الروايات الواردة في كتب الحديث ودراسات علم الحديث نفهم أنّ كتمان الصحابة لحديث الغدير وغيره من الاحاديث الواردة عن الرسول ﷺ في حق وفضل أهل البيت ﷺ كان له أسباب خاصة، منها منع تدوين ورواية الحديث من بعد وفاة النبي ﷺ الى زمان الخليفة عمر بن عبد العزيز؛ والسبب الثاني هو خوف الصحابة من العقوبات والتهديدات الموجهة لهم من قبل السلطات الحاكمة في الدولة الأموية.

وقد بدأ منع كتابة الحديث منذ أيام رسول الله ﷺ الأخيرة عندما حضرته الوفاة، وطلب

١. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٣، ص ٢٩٠.

٢. حلية الأولياء، ج ٥، ص ٢٦.

من الحاضرين أن يأتوه بكتاب ليكتب لهم ما فيه نجاتهم، فأخذ الصحابة يتنازعون الامر عنده، وعارض عمر ولم يسمح أن يأتوه بالكتاب، وكانت النتيجة أنه ﷺ أمر بخروجهم من عنده لأنه لا يجدر التنازع في حضرته؛ وقد أخرج البخاري هذه الواقعة في الصحيح في كتاب العلم بسنده عن ابن عباس أنه قال:

لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَعُهُ قَالَ: «أَتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ». قَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا فَاحْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ. قَالَ: «تُؤْمُوا عَنِّي، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ». فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ.^١

وقد فعل عمر هذه الفعلة وكأنها هو أولى من الرسول ﷺ بالأمة الإسلامية وأفهم منه والعياذ بالله، وكأنه لا ينبغي لأي شخص أن يفعل أي عمل بدون إذن عمر حتى رسول هذه الأمة!! ونسي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^٢ واستمر منع كتابة الحديث الى بعد وفاة الرسول ﷺ وفي زمان الخليفة الأول أمر هو بجمع ما كتبه الصحابة وأحرق تلك الكتابات في النار، وفي ذلك نقل الذهبي رواية عن عائشة أمها قالت:

جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيراً. قالت: فغممني فقلت أتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلممي الأحاديث التي عندك، فجمته بها فدعا بنا فحرقها. فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيب أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك.^٣

وكذلك ذكر الذهبي في منع رواية الحديث، حديثاً من مراسيل أبي مليكة، وهو:

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٢.

٢. سورة النجم، آية ٣ و ٤.

٣. تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ١٠.

إنّ الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنكم تحدّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله.^١

ولقد استمر المنع من كتابة الحديث الى زمان الخليفة الثاني؛ وقد كان عمر يأمر الناس أن يجمعوا الأحاديث المكتوبة عن رسول الله ﷺ، وفي ذلك يذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى عن عبد الله بن العلاء أنّه قال:

سألت القاسم يملي عليّ أحاديث فقال: إنّ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأشدد الناس أن يأتيه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها، ثم قال: مثناة كمثناة أهل الكتاب. قال فمنعني القاسم يومئذ أن أكتب حديثاً.^٢

ويقول المتقي الهندي في كنز العمال: «عن يحيى بن جعدة قال: أراد عمر رضي الله عنه أن يكتب السنة ثم بدله أن لا يكتبها ثم كتب في الأمصار: من كان عنده شيء من ذلك فليمحه».^٣

وقد كان عمر يأمر الولاة الذين يرسلهم الى مختلف البلدان أن لا يحدثوا الناس بحديث رسول الله ﷺ؛ فقد أخرج الدارمي وابن ماجه في السنن والحاكم في المستدرک عن قرظة بن كعب أنّه قال:

خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار فتوضأ ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله ﷺ مشيت معنا، قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل فلا تبدوهم بالأحاديث فيشغلونكم، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وامضوا وأنا شريككم، فلما قدم قرظة قالوا: حدّثنا، قال: نهانا ابن الخطاب.^٤

١. تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٩.

٢. طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ١٤٣ (القاسم هو ابن محمد بن أبي بكر).

٣. كنز العمال، ج ١٠، ص ١٢٩.

٤. طبقات ابن سعد، ج ٦، ص ٨٧ (نقل الحديث الى وأنا شريككم)؛ سنن الدارمي، ج ١، ص ٩٠، حديث ٢٨٥؛ سنن ابن ماجه، ص ٢٤٧٨، حديث ٢٨؛ المستدرک على الصحيحين، ج ١، ص ٢٩٧.

وروى المتقي الهندي في كنز العمال عن محمد بن إسحاق قال:

أخبرني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله ﷺ فجمعهم من الآفاق عبد الله ابن حذافة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول ﷺ في الآفاق؟ قالوا: أتئنانا؟ قال: لا أقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ما عشت فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم. فما فارقه حتى مات، وما خرج ابن مسعود إلى الكوفة... إلا من حبس عمر في هذا السبب.^١

وقد قام بتهديد أمثال أبي هريرة بالتباعد من أجل نشر الحديث، فقد أخرج ابن كثير عن السائب بن يزيد أنه قال: «سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقتك بأرض دوس».^٢

وأخرج ابن كثير أيضاً عن الزهري أنه قال:

قال عمر: ألقوا الرواية عن رسول الله ﷺ الا فيما يعمل به. قال: ثم يقول أبو هريرة: أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذا لأيقنت أن المخففة (شيء يضرب به نحو سير أو درة) ستباشر ظهري.^٣

وكذلك قام عمر بسجن جماعة أخرى لنفس السبب.^٤

واستمر هذا النهج إلى زمان خلافة عثمان و معاوية فقد قاما بمنع الصحابة من رواية أي حديث عن النبي ﷺ الا ما كان على عهد أبي بكر وعمر، فقد أخرج أحمد في المسند عن عبد الله بن عامر اليحصبي قوله: «سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ وَهُوَ يَقُولُ إِنَّا كُنْمُ وَأَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا كَانَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ».^٥

١. كنز العمال، ج ١٠، ص ١٢٩؛ تاريخ دمشق، ج ٤٠، ص ٥٠٠.

٢. البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٥٥.

٣. المصدر السابق، ص ١٥٦.

٤. تاريخ دمشق، ج ٤٠، ص ٥٠٠.

٥. مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٩٩؛ كنز العمال، ج ١٠، ص ١٢٩.

وأما عامل الخوف الذي كان عند الصحابة من ذكر بعض الأحاديث الواردة في الإمام علي عليه السلام مثل حديث المنزلة، والذي يبين منزلة الامام علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله والوصاية له، نراه أيضاً يعرض نفسه بوضوح في بعض الأقوال المنقولة عن الصحابة والتابعين، فقد أخرج أحمد في المسند وابن سعد في الطبقات بسنده عن سعيد بن المسيب أنه قال: «قُلْتُ لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ حَدِيثٍ وَأَنَا أَهَابُكَ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ»^١.

وهكذا فإنَّ الأمر بمنع تدوين ورواية الحديث قد جعل الأمة الإسلامية في كل هذا الوقت تعيش الضياع والتشتت والبعد عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله الحقيقية.

فضل يوم الغدير

أما عن فضل هذا اليوم وما حدث بعد صدور هذا الحديث من الرسول صلى الله عليه وآله، فالروايات تبين لنا أن عمر بن الخطاب أخذ يهنئ علي بن أبي طالب عليه السلام ويغبطه أن أصبح هو مولى كل مؤمن ومؤمنة، ونرى أيضاً أن أبا هريرة جعل لمن صام ذلك اليوم الذي نزلت فيه آية الإبلان وتحديث فيه الرسول صلى الله عليه وآله بحديث الغدير أجراً، ذلك اليوم هو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة. وقد أثار حديث أبي هريرة هذا تعصب البعض من علماء أهل السنة وجعلهم يستخدمون مختلف الطرق في تفيده. ولكن باللعجب كل العجب من فعل البعض من أولئك الصحابة الذين شهدوا الحق بأعينهم وسمعوه بأذانهم وعزبوا عنه. وأعجب من ذلك هو فعل حقاظ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في تعميمهم على كثير من الحقائق، وقد أخرج أحمد في مسنده وابن أبي شيبة في المصنف تهنئة عمر لعلي عليه السلام بإسنادهما عن البراء بن عازب قال:

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين، فصلى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام، فقال: «ألستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون اني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال

١. مسند أحمد، ج ١، ص ١٧٣؛ طبقات ابن سعد، ج ٣، ص ١٦.

من والاه، وعاد من عاداه» قال: فلقية عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا بن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة.^١

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بسنده عن أبي هريرة قوله:

من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم، لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألست ولي المؤمنين؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم.^٢

نزول آية الإكمال

عندما أكمل الرسول ﷺ مهمته وبلغ ما أمره الله به للمسلمين، وهو تعيين علي بن أبي طالب ووصياً من بعده، نزلت هذه الآية المباركة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾،^٣ فقد أخرج الخطيب البغدادي في ذلك بسنده عن أبي هريرة قوله: «لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألست ولي المؤمنين؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه...» فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.^٤

المناشدة بحديث الغدير

لقد كان حديث الغدير مشهوراً بين المسلمين حيث ناشد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ به المسلمين في مواضع مختلفة، تارة لإثبات أحقيته وتارة لإثبات أفضليته وأخرى لإثارة عواطف الناس وتذكيرهم بعهد رسول الله ﷺ، وقد وردت المناشدة بهذا الحديث في مصادر

١. مسند أحمد بن حنبل، حديث البراء بن عازب، ج ٤، ص ٢٨١؛ مصنف ابن أبي شيبة، فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، ج ٧، ص ٥٠٣.

٢. تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٨٤؛ وقد جاء هذا الحديث بألفاظ أخرى عن أبي هريرة في مناقب الخوارزمي، ص ٩٤.

٣. سورة المائدة، آية ٣.

٤. تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٨٤.

كثيرة من كتب أهل السنة.

وإذا نظرنا في موضوع المناشدة بدقّة نفهم مدى مظلومية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنّه إن لم يكن كذلك لماذا كان عليه السلام وفي مواقف عديدة يستشهدهم على مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله فيه؟ هل فكر لحد الآن أو علّق شخص واحد من الحفاظ أو المفسّرين أو النقاد أو الكتاب من أهل السنة على سبب هذه المناشدة ومدى أهمّيّتها وتأثيرها على المجتمع الإسلامي في السابق وفي الوقت الحاضر؟ وهل سأل شخص واحد منهم عن معنى الحديث الوارد في صحيح البخاري: «عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنّه قال: «أنا أوّل مَنْ يَجُثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»^١ وما هي المظلومية التي يشكو منها علي عليه السلام عند ربه؟ وما هي الخصومة التي يتخاصمها؟ وهل فكر شخص واحد منهم بعاقبة سكوتهم هذا؟ وما لجواب الذي يجب أن يقابلوا به ربهم يوم القيامة؟ إذ إنّهم كانوا حفاظ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمناء عليها كما زعموا ويجب عليهم نقلها لنا بالتام والكمال؛ لكن نراهم بالمقابل يترصدون كل كلمة وكل فكرة وكل حركة تصدر من الشيعة من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ويتصدون لها بالأجوبة المنفّدة بشتى الطرق ومهما كلّفهم الثمن؛ ليتهم فكروا بشكل أعمق، وبدون انحياز الى بعض التعصبات وجعلوا نيّتهم خالصة لله وفي الله وفكّروا في أسباب ما وقع وآثاره، ونقلوا الفكرة الصحيحة للأجيال حتى تسير البشرية في طريق الهداية الحقيقية التي رسمها الله تعالى للناس والتي وصلت لنا عن طريق أنبيائه الصالحين عليهم السلام.

فمناشدة الإمام علي عليه السلام بحديث الغدير ثابتة وموجودة في كثير من كتب أهل السنة ولا شك ولا ريب فيها، وقد بحثوا فيها وحقّقوا ولم يستطيعوا إنكارها لكثرة الروايات الواردة فيها. والآن نذكر عدداً يسيراً منها للاطلاع، فقد أخرج أحمد في مسنده بسنده عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال:

شهدت علياً عليه السلام في الرحبة ينشد الناس: «أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم

١. صحيح البخاري، ج ٣، ص ٩٦٩.

غدِير خم: «من كنت مولاه فعليُّ مولاه» لما قام فشهد». قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدريةً، كأني أنظر إلى أحدهم فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدِير خم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم»؟ فقلنا: بلى يا رسول الله. قال: «فمن كنت مولاه فعليُّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^١.

وأخرج أحمد أيضاً في المسند بسنده عن أبي الطفيل أنه قال:

جمع عليُّ ﷺ الناس في الرحبة، ثم قال لهم: «أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدِير خم ما سمع لما قام»، فقام ثلاثون من الناس. وقال أبو نعيم: فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذه بيده، فقال للناس: «أتعلمون أيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه، فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فخرجت وكأني في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إني سمعت ﷺ يقول: كذا وكذا. قال: فما تنكر؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له.^٢

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف بسنده عن أبي يزيد الأودي عن أبيه قال:

دخل أبو هريرة المسجد فاجتمعنا إليه فقام إليه شاب فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعليُّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»؟ فقال: نعم فقال الشاب: أنا منك بريء أشهد أنك قد عادت من والاه وواليت من عاداه قال: فحصبه الناس بالحصى.^٣

وأخرج أحمد في المسند بسنده عن سعيد بن وهب أنه قال: نشد على الناس، فقام خمسة أو

سنة من أصحاب النبي ﷺ، فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه، فعليُّ مولاه»^٤.

وأخرج ابن ماجه في السنن في فضل علي بن أبي طالب ﷺ وابن أبي شيبة في المصنف

١. مسند أحمد بن حنبل، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، ج ١، ص ١١٩.

٢. المصدر السابق، حديث زيد بن الأرقم، ج ٤، ص ٣٧٠.

٣. مصنف ابن أبي شيبة، فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، ج ٧، ص ٤٩٩.

٤. مسند أحمد بن حنبل، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، ج ٥، ص ٣٦٦.

بسنديهما عن سعد بن أبي وقاص قال: «قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد فذكروا علياً فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^١.

وأخرج أحمد في المسند بسنده عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع والنسائي في السنن بسنده عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب قالوا:

نشد على الناس في الرحبة: من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم الا قام. قال: فقام من قبل سعيد ستة، ومن قبل زيد ستة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعليّ ﷺ يوم غدیر خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى. قال: «اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»^٢.

وأخرج الطبراني في المعجم الأوسط بسنده عن عمير بن سعيد قال:

إنّ علياً جمع الناس في الرحبة وأنا شاهد فقال: «أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فقام ثمانية عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا النبي ﷺ يقول ذلك^٣.

وأخرج الطبراني أيضاً في المعجم الأوسط بسنده عن عميرة بن سعد قال:

شهدت علياً على المنبر ناشد أصحاب رسول الله ﷺ من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم يقول ما قال فيشهد، فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو سعيد وأبو هريرة وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^٤.

وأخرج الطبراني حديثاً آخر في المعجم الكبير بسنده عن رياح بن الحارث النخعي قال:

كنا قعوداً مع عليّ ﷺ فجاء ركب من الأنصار عليهم العمام فقالوا: السلام عليك يا

١. سنن ابن ماجه، ص ٢٤٨٤، حديث ١٢١؛ مصنف ابن أبي شيبة، فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ج ٧، ص ٤٩٦.

٢. مسند أحمد بن حنبل، مسند علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ج ١، ص ١١٨؛ السنن الكبرى، للنسائي، ج ٥، ص ١٥٤.

٣. المعجم الأوسط، للطبراني، ج ٥، ص ١٤٩.

٤. المصدر السابق، ج ١، ص ٦١٣.

مولانا فقال علي عليه السلام: «أنا مولاكم وأنتم قوم عرب» قالوا: نعم سمعنا النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاة فعلي مولاة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، وهذا أبو أيوب فينا، فحسر أبو أيوب العمامة عن وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاة فعلي مولاة اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^١.

شبهة في الاحتجاج

هناك من يقول من اهل السنة: إن كان لعلي عليه السلام حق في الخلافة كما يدعي الشيعة، إذن لماذا لم يحتج عليه السلام بهذا الحديث أو غيره بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة لأخذ الخلافة من أبي بكر؟ ويجيبون على ذلك أنه عليه السلام لم يكن يرى لنفسه في ذلك الوقت حقاً في الخلافة، لذا بادر بالمناشدة في أيام خلافته لوجود الحق له آنذاك، فقد جاء الجواب على هذه الشبهة بالتفصيل في نهاية هذا الفصل، حيث بيّنا هناك سبب سكوت علي عليه السلام عن حقه^٢.

٤. آية التطهير

الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^٣ هي أيضاً من جملة أدلتنا على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام ومن ثم إمامة الأئمة من ولده عليه السلام بعد ثبوت إذهاب الرجس عنهم في هذه الآية وتطهيرهم من الخبائث ومطلق الذنوب وحصولهم على مقام العصمة، وهو المقام الذي أعطاه الله لنبيه صلى الله عليه وآله؛ وأن الله سبحانه وتعالى بما أنه يعلم بأن إرادة أهل البيت عليهم السلام تسير دائماً طبقاً لما شرّعه لهم من أحكام، فقد أخبر هنا عن إرادته التكوينية لهم في تطهيرهم من مختلف أنواع الرجس؛ وسبب تطهيرهم هذا هو أنهم سوف تكون لديهم واجبات مماثلة للنبي صلى الله عليه وآله وسوف يكونون هم الأشخاص الذين تأتم بهم الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وتكون فيهم الخلافة والإمامة التي تعتبر استمراراً للنبوّة.

١. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٣، ص ٦٤.

٢. انظر الصفحة ١٤٥ من هذا الكتاب.

٣. سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

المراد من «إنما»

كلمة إنَّما أداة قصر، وتدلّ في هذه الآية على قصر إرادة الله في أمرين:
الأول: قصر الإرادة في التطهير وإذهاب الرجس.
الثاني: قصر التطهير وإذهاب الرجس في أهل البيت.

مفهوم الإرادة في كلمة «يريد»

الإرادة هنا هي الإرادة التكوينية والتي لا يمكن الإعراض عنها، بخلاف الإرادة التشريعية؛ وبما أنّ الإرادة التشريعية مختصة بالأحكام التي يفرضها الله ﷻ على المكلف وهي تشمل جميع المكلفين بدون استثناء، وما دام الله ﷻ استثنى أهل البيت ﷺ في هذه الآية عن سائر الناس بالتطهير، لذا خرجت هذه الإرادة عن إطار الإرادة التشريعية ودخلت في إطار الإرادة التكوينية؛ وإذا كانت ارادة الله ﷻ هي إذهاب الرجس عن أهل البيت ﷺ، إذن أصبحت الآية دالة على مفهوم العصمة لأهل البيت ﷺ.

المراد من «الرجس»

الرجس هو القذارة، والقذارة إذا وجدت في الشيء توجب التجنّب والتنفّر منه، وتكون إمّا ظاهريّة كرجاسة الخنزير حيث قال تعالى: ﴿أَوْ لَحْمِ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ﴾^١، أو باطنية، وهي القذارة المعنوية، كالشرك والكفر حيث قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^٢؛ ومعنى الرجس في كتب اللغة هو:
القَدْرُ وقيل الشيء القَدْرُ وَرَجَسَ الشيءُ يَرْجُسُ رَجَاسَةً وإِنَّه لَرَجْسٌ مَرْجُوسٌ وكلُّ قَدْرٍ رَجْسٌ... قال الزجاج الرَّجْسُ في اللغة اسم لكل ما استقدر من عمل فبالغ الله تعالى في ذم هذه الأشياء وسأها رَجْسًا.^٣

١. سورة الأنعام، آية ١٥٤.

٢. سورة التوبة، آية ١٥٢.

٣. لسان العرب، ج ٥، ص ١٤٧.

كُلُّ شَيْءٍ يُسْتَقْدَرُ فَهُوَ رَجْسٌ كَالْحَنْزِيرِ.^١

وَالرَّجْسُ بِالْكَسْرِ: الْقَدْرُ أَوِ الشَّيْءُ الْقَدْرُ.^٢

وفي كتب التفسير قال الآلوسي في معنى «الرجس»:

والرجس في الأصل الشيء القدر... وقال السدي: الإثم، وقال الزجاج: الفسق، وقال ابن زيد: الشيطان، وقال الحسن: الشرك، وقيل: الشك، وقيل: البخل والطمع، وقيل: الأهواء والبذع، وقيل: إنَّ الرجس يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص، والمراد به هنا ما يعم كل ذلك.^٣

وقال القشيري في التفسير:

«الرجس»: الأفعال الخبيثة والأخلاق الدنيئة؛ فالأفعال الخبيثة الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وما قل وما جل. والأخلاق الدنيئة الأهواء والبذع كالبخل والشح وقطع الرِّحْم، ويريد بهم الأخلاق الكريمة كالجود والإيثار والسخاء وصلية الرِّحْم، ويدبر لهم التوفيق والعصمة والتسديد، ويُطهرهم من الذنوب والعيوب.^٤

وقال الشنيطي: «الرجس كل مستقدر تعافه النفوس، ومن أقدر المستقدرات معصية الله تعالى».^٥

و«ال» في الرَّجْس للجنس، فقد أراد الله بإرادته أن يذهب عن أهل البيت عليهم السلام كل صفة خبيثة ممكن أن تكون في نفس الإنسان وتقوده الى ارتكاب المعاصي، وشاء أن يجعل فيهم العصمة الإلهية وهي التي تحفظهم وتصونهم من الزلل في العقيدة والعمل، وقد قال الآلوسي في ذلك:

و«أل» فيه للجنس أو للاستغراق، والمراد بالتطهير قيل التحلية بالتقوى، والمعنى على ما

١. العين، ج٦، ص٥٢.

٢. تاج العروس، ج٨، ص٣٠٣.

٣. تفسير الآلوسي، ج٢٢، ص٢٥٦.

٤. تفسير القشيري، ج٥، ص١٦٠.

٥. اضواء البيان، ج٦، ص٣٨٠.

قيل إنّما يريد الله ليذهب عنكم الذنوب والمعاصي فيما نهاكم ويجليكم بالتقوى تحليةً بليغةً فيما أمركم، وجوز أن يراد به الصون، والمعنى إنّما يريد سبحانه ليذهب عنكم الرجس ويصونكم من المعاصي صوناً بليغاً فيما أمر ونهى جل شأنه.^١

ويتركز الاستدلال بهذه الآية حول هذا السؤال:

مَن هم أهل البيت المقصودون في هذه الآية؟

هناك ثلاث أقوال في أهل البيت المقصودين في هذه الآية، وهي:

- حسب رأي الشيعة الإمامية، هم: النبي ﷺ وابنته فاطمة عليها السلام والأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام.

- النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ونساء النبي عليها السلام.

- فقط نساء النبي عليها السلام.

والآن نذكر الروايات الواردة في هذه الأقوال والبحث فيها.

أهل البيت عليهم السلام هم أصحاب الكساء الخمسة.

نستدلّ على القول الأول بذكر الروايات الواردة في المصادر والتي تشير إلى أنّ النبي ﷺ عين أهل البيت بأسمائهم وقام بوضعهم تحت الكساء، فقد أخرج أحمد في المسند^٢ وأيده ابن كثير^٣ في التفسير بسندهما عن شداد أبي عمار أنّه قال:

دخلت على وائلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً، فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة رضي الله تعالى عنها أسألتها عن علي، قالت: «توجه إلى رسول الله ﷺ». فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين رضي الله تعالى عنهم، أخذ كل واحد منهما بيده، حتى دخل فادنى علياً

١. تفسير الآلوسي، ج ٢٢، ص ٢٥٧.

٢. مسند أحمد بن حنبل، حديث وائلة بن الأسقع، ج ٤، ص ١٠٧.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٤٨٠.

وفاطمة فأجلسها بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه أو قال: كساء، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق».

وذكر الواحدي في أسباب النزول عن أبي سعيد الخدري قال: «﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قال: نزلت في خمسة: في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين»^١.

وأخرج مسلم في الصحيح في باب فضائل أهل البيت والطبري في التفسير والبيهقي في السنن بسندهم عن عائشة قالت:

خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مرطلٌ مُرَجَّلٌ من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^٢.

وأخرج الحاكم في المستدرک على الصحيحين بسنده عن واثلة بن الأسقع قال:

أتيت علياً فلم أجده، فقالت لي فاطمة: «انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه»، فجاء مع رسول الله ﷺ فدخلوا ودخلت معها، فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين فأقعده كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لف عليهم ثوباً وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي، اللهم أهل بيتي أحق». هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه^٣.

وأخرج الطبري في التفسير بسنده عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«نزلت هذه الآية في خمسة: في علي رضي الله عنه وحسن رضي الله عنه وحسين رضي الله عنه

١. أسباب نزول القرآن، ص ٥٦٦.

٢. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٣٠؛ تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٤٨٢؛ تفسير الطبري، ج ١٢، ص ٨.

٣. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، من مناقب أهل رسول الله ﷺ، ج ٤، ص ١٢٦.

وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»^١.

لقد كان تأكيد الرسول ﷺ على بيت فاطمة عليها السلام وزوجها وولديها الحسن والحسين لمرات عديدة بقصد تثبيت ما نزل فيهم وترسيخ اصطلاح «أهل البيت» في أذهان المسلمين وتبنيه الناس الى قدر وشأن ومقام خاصّ ومهم لا يعمّ أم سلمة رضي الله عنها، كما تشير الروايات الى ذلك؛ فقد أخرج أحمد في المسند والترمذي في السنن في باب ومن سورة الأحزاب والطبري في التفسير والطبراني في المعجم الكبير بسندهم عن أنس بن مالك قال:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمُرُّ بِبَابِ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ يَقُولُ: «الصَّلَاةُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^٢.

وأخرج السيوطي في الدرّ المنتور عن ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما دخل علي بفاطمة جاء النبي ﷺ أربعين صباحاً إلى بابها يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ انا حرب لمن حاربتم، أنا سلم لمن سالمتم»^٣.

وأخرج السيوطي في الدرّ المنتور أيضاً عن ابن مردويه عن ابن عباس أنّه قال: شهدنا رسول الله ﷺ تسعة أشهر، يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وقت كل صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الصلاة رحمكم الله»، كل يوم خمس مرات.^٤

وأخرج الطبري في التفسير وابن عساكر في المعجم بسنديهما عن أبي الحمراء أنّه قال:

١. تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ١١١.

٢. مسند أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك، ج ٣، ص ٢٨٥؛ سنن الترمذي، ص ١٩٧٩، حديث ٣٢٠٦؛ تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ١١٢؛ المعجم الكبير، ج ٢، ص ١٨٩.

٣. الدرّ المنتور، ج ١٢، ص ٤٣.

٤. المصدر السابق، ص ٤٤.

رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبي ﷺ، قال: رأيت النبي ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة، فقال: «الصلاة الصلاة» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^١.

إن تأكيد رسول الله ﷺ بهذا الشكل الملحوظ في الروايات، وتعدد المواقف التي عرّف فيها أهل البيت (عليهم السلام)، إنّما يبيّن لنا أنّه ﷺ أراد أن يمهد الأرضية لاستلام الخلافة من بعده وبنه الناس ويسوقهم نحو الأشخاص الذين تم تعيينهم في كلامه ﷺ، فقد أخرج السيوطي في الدرّ المنثور بسنده عن أبي سعيد الخدري أنّه قال:

لما نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ كان النبي ﷺ يجيء إلى باب عليّ صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: الصلاة رحمة الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^٢.

اشتغال الآية على الأئمة التسعة من ولد الحسين (عليهم السلام)

واشتغال الآية على بقية الأئمة (عليهم السلام)، يظهر من النصوص^٣ التي جاءت في التنصيص عليهم من جانب الرسول ﷺ وتصريح كل بالأئمة المعصومين من بعده، وقد جاء ذكرهم في مناقشة الإمام علي (عليه السلام) في خلافة عثمان التي أوردها الجويني والقندوزي بسندهما عن سليم ابن قيس الهلالي، حيث قال:

قال علي (عليه السلام): «أيها الناس أتعلمون أنّ الله أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فجمعني وفاطمة وابني الحسن والحسين ثم ألقى علينا كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي ولحمي، يؤلني ما يؤلمهم ويؤذيني ما

١. تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ١١٤؛ معجم ابن عساکر، ج ٢، ص ٧٣٨، حديث ٩١٨.

٢. الدر المنثور، ج ١٠، ص ٢٦٦.

٣. راجع حديث الخلفاء الإثني عشر من هذا الكتاب للحصول على المزيد من النصوص.

٤. جاء نصّ هذه المناشدة في هذا الكتاب.

٥. سورة الاحزاب، آية ٣٣.

يؤذيهم ويحرجني ما يحرجهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة وأنا يا رسول الله؟ فقال: «أنت إلى خير إنما نزلت فيّ وفي ابنتي وفي أخي علي ابن أبي طالب وفي ابني وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها لاحد شرك»^١.

وأخرج القندوزي بسنده عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله فإذا الحسين على فخذه وهو يقبل خديه ويلثم فاه، ويقول: «أنت سيد ابن سيد أخو سيد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجة ابن حجة أخو حجة، أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم المهدي»^٢.

وأخرج الجويني في فرائد السمطين بسنده عن سلامة عن أبي سلمى راعي إبل رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾»^٣ قلت: «والمؤمنون» قال: صدقت يا محمد من خلقت في أمتك؟ قلت: خيرها. قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يارب. قال: يا محمد إنّي اطلعت على الأرض فاخترتك منها... يا محمد إنّي خلقتك وخلقنا علياً والأئمة من ولده من شيع... يا محمد [أ] تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يارب. فقال لي: التفت عن يمين العرش. فالتفت فإذا أنا بعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وعليّ بن الحسين ومحمد ابن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نورٍ قياماً يصلون [و] هو في وسطهم - يعني المهدي - كأنه كوكب دُرّي»^٤.

وأخرج الجويني حديث آخر في فرائد السمطين بسنده عن حذيفة أنّه قال:

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣١٦؛ ينابيع المودة، الباب الثامن والثلاثون، ج ١، ص ٣٤٢.

٢. ينابيع المودة لذوي القربى، الباب الرابع والخمسون، ج ٢، ص ٤٤.

٣. سورة البقرة، آية ٢٨٥.

٤. فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣١٩.

خطب رسول الله ﷺ فذكر ما هو كائنٌ ثم قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي اسمه اسمي». فقام سلمان ؓ فقال: يا رسول الله من أي ولدك هو؟ قال: «من ولدي هذا». فضرب بيده على [ظهر] الحسين ؓ^١.

عدم اشتمال الآية على نساء النبي ﷺ

وأما القول الثاني في اشتمال الآية على أزواج النبي ﷺ، فعلى رغم من أن هذه الآية جاءت ضمن آيات تتعلق بنساء النبي ﷺ، إلا أننا نستدل من قول النبي ﷺ لأُم سلمة ؓ: «أنت من أزواج النبي» أن نساء النبي ﷺ لسن من أهل البيت المقصودين في هذه الآية، ونعتبره ردّاً لمن يقول بأن الآية تشتمل على زوجات النبي ﷺ، وهذا ما أشارت إليه الروايات المنقولة عن أم سلمة ؓ، فقد أخرج الطبري في التفسير بسنده عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة ؓ قولها:

إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي بَيْتِهَا ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: أنا يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟ قال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، أَنْتِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ». قالت: وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم^٢.

وقد ورد في روايات عديدة نُقلت عن أم سلمة ؓ أن الرسول ﷺ مانع من دخول زوجته أم سلمة هذه الامرأة العظيمة والكريمة والجليلة عند المسلمين تحت الكساء، وقال لها «أنت على خير» أو «أنت الى خير»، رغم إصرارها على الدخول تحت الكساء، وكذلك ذكر لفظ «هؤلاء أهل بيتي»؛ وهذا ما يؤكد عدم اشتمال الآية على نساء النبي ﷺ وأئمتنّ لسن من أهل البيت ؑ، فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن شهر بن أبي حوشب وأخرج

١. فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣٢٦.

٢. تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ١١٧.

أحمد في المسند والواحدي في أسباب النزول بسنده عن عطاء بن أبي رباح أنه قال:

حدّثني من سمع أم سلمة تذكر: إنّ النبي ﷺ كان في بيتها، فأنته فاطمة برمة فيها خزيرة، فدخلت عليه، فقال لها: «ادعى زوجك وابنيك» قالت: فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة على دكان تحته كساء له خيربي. قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله عزّ وجل هذه الآية: ﴿أَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» قالت: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ»^١.

وأخرج الترمذي في السنن في باب ومن سورة الأحزاب بسنده عن عطاء بن أبي رباح

عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ قال:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿أَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلَى خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا». قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتِ عَلَى مَكَانِكَ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ»^٢.

وأخرج الطبري في تفسيره بسنده عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة ؓ قالت:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَجَلَّلَ عَلَيْهِمْ كِسَاءً خَيْرِيًّا،

١. مسند أحمد بن حنبل، حديث أم سلمة، ج ٦، ص ٢٩٢؛ المعجم الكبير، للطبراني، ج ٢، ص ١٨٧؛ أسباب نزول القرآن، ص ٥٦٦.

٢. سنن الترمذي، ص ١٩٧٩، حديث ٣٢٠٥.

فقال: «اللَّهُمَّ هُوَ لَاءِ أَهْلِ بَيْتِي، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً». قالت أم سلمة: أَلَسْتُ مِنْهُمْ؟ قال: «أَنْتِ إِلَى خَيْرٍ»^١.

ويقول ابن حجر في الصواعق المحرقة:

وصحَّ أَنَّهُ جعل على هُوَ لَاءِ كَسَاءٍ وقال: «اللهم هُوَ لَاءِ أَهْلِ بَيْتِي وَحَامَتِي [أَيِ خَاصَتِي] أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»، فقالت أم سلمة وأنا معهم؟ قال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ»^٢.

وذكر ابن كثير في التفسير رواية عن عائشة تشهد على نفسها أنها ليست من أهل البيت (عليه السلام)، والرواية هي:

عن العوام - يعني: ابن حَوْشَب - عن عمِّ له قال: دخلت مع أبي على عائشة، فسألته عن علي رضي الله عنه، فقالت رضي الله عنها: تسألني عن رجلٍ كان من أحبِّ الناس إلى رسول الله (ﷺ)، وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه؟ لقد رأيت رسول الله (ﷺ) دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فألقى عليهم ثوباً فقال: «اللهم، هُوَ لَاءِ أَهْلِ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً». قالت: فدنوت منه فقلت: يا رسول الله، وأنا من أهل بيتك؟ فقال: «تَنْحِي، فَإِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ»^٣.

عدم اختصاص الآية بأزواج النبي (ﷺ)

والقول الثالث هو اختصاص الآية المباركة بأزواج النبي (ﷺ) لوجودها بين آيات نساء النبي (ﷺ)، وادعاء مشاركتها لتلك الآيات في نفس السياق، مردود، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: ضمير المخاطب في آية التطهير هو «كم» في «عنكم» وهو يختلف عن السياق الموجود في باقي الآيات يعني ضمير «كن»، إذ لو كان الخطاب لنساء النبي (ﷺ) لكان يقتضي

١. تفسير الطبري، ج ٢٢، ص ١١٦.

٢. الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٤٣.

٣. تفسير إبن كثير، ج ٣، ص ١٤٨٢.

٤. الضمير «كم» يُستخدم عند العرب في جمع المذكر والجمع الذي يحتوي المذكر والمؤنث معاً.

أن يكون الضمير في الآية هو «كن» ويصبح الخطاب «عنكن»، فعدم مجيء هذا الضمير بهذا الشكل في الآية ينفي كون الخطاب لنساء النبي ﷺ خاصة.

ثانياً: سياق الكلام في آيات نساء النبي ﷺ، هو سياق التحذير والأمر والنهي أو التشديد في التكليف، وهذا لا يلائم أسلوب المدح والتمجيد وعصمة أهل البيت ﷺ في آية التطهير. ثالثاً: إن الزوجات بأنفسهن ينفين هذا القول بأنهن من أهل البيت والدليل على ذلك هو وجود روايات عن أم سلمة وعائشة في اختصاص الآية المباركة بأهل البيت ﷺ.

رابعاً: عندما نراجع الروايات العديدة في هذه المناسبة نجدتها تنصّ على نزول هذه الآية وحدها، ولم يأت حتى قول واحد في أنّ هذه الآية نزلت ضمن آيات نساء النبي ﷺ.

خامساً: لم يروَ القول بأنها مختصة بنساء النبي ﷺ، إلا عن عكرمة، إذ أنه كان يسير في الأسواق ويركز هذا المفهوم في أذهان الناس ويبيدهم عن الاعتقاد باختصاص الآية المباركة بأهل البيت، وهذا خير دليل على أنّ اختصاص الآية بأهل البيت ﷺ كان هو الرأي المعروف عند المسلمين في ذلك الزمان، وكان عكرمة الشخص الوحيد الذي بدأ هذا القول وأشاعه وجعل ينشره بين الناس، وقوله هذا باطل لأسباب وهي:

أولاً: هذا القول غير منقول عن صحابيٍّ من صحابة رسول الله ﷺ.

ثانياً: هذا القول يخالف ما ورد من الأحاديث الصحيحة والمتفق عليها لدى المسلمين.

و نرجع في استنادنا إلى ما هو مذكور في صحيح مسلم وغيره من المصادر والذي جعل أمثال ابن تيمية يعترف بصحة حديث الكساء الوارد في شأن نزول هذه الآية المباركة في أهل البيت الأطهار ﷺ واختصاصها بهم، إذ قال: إن هذا الحديث صحيح في الجملة، فإنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لعلي و فاطمة و حسن و حسين: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^١.

وقوله أيضاً: «وأما حديث الكساء فهو صحيح رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة ورواه

١. منهاج السنة لابن تيمية، ج ٧، ص ٧٠.

مسلم في صحيحه من حديث عائشة»^١.

ومن انضمام لفظ أهل البيت عليهم السلام في حديث الثقلين الى لفظ أهل البيت عليهم السلام في هذه الآية وفي حديث الكساء، نستنتج أن أهل البيت هم ذرية النبي صلى الله عليه وآله ولا يشتمل على نسائه، وقد أجاب على ذلك زيد بن أرقم استناداً إلى ما أخرجه عنه مسلم في قوله عندما سُئِلَ: «فقلنا من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده»^٢.

ويضيف القندوزي في ينابيع المودة في الهامش التفاتة الى ما أخرجه مسلم من حديث زيد ابن أرقم قائلاً:

لعل المراد من «أهل البيت» الذي فسره زيد المعنى الأعم لهذه الكلمة ولكن مراد الرسول صلى الله عليه وآله واضح كما صرح عليه السلام به مراراً في حديث الكساء والتنبيه للصلاة وكثير ما ورد في هذا الكتاب وغيره. فلا يمكن حمله الا على من أرادهم صلى الله عليه وآله وهم: علي وفاطمة عليهما السلام وابناؤهما المعصومون عليهم السلام^٣.

اصطلاح «أهل البيت» عليهم السلام

اصطلاح «أهل البيت» استناداً إلى الروايات التي نقلنا بعضها، هو اسمٌ مختصٌ لا يعمُّ إلا هؤلاء الخمسة، وهم النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والمقصود من البيت في هذا الاصطلاح هو بيت النبوة لعدم اشتماله على نساء النبي صلى الله عليه وآله وكل من كان يسكن في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مثل أم أيمن وفضة وغيرهما، ونقل السيوطي في الدر المنثور رواية في هذا المعنى عند تفسيره للآية المباركة: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾^٤ عن ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريده أمّهما قالاً:

١. منهاج السنة لابن تيمية، ج ٥، ص ١٣.

٢. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٣.

٣. ينابيع المودة لذوي القربى، الباب السادس والخمسون، ج ٢، ص ١١٣.

٤. سورة النور، آية ٣٦.

قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء». فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ بيت علي وفاطمة، قال: «نعم، من أفاضلها»^١.

وبهذا يصبح اصطلاح أهل البيت اصطلاح خاص لمجموعة معينة كما ذكرنا.

٥. حديث الثقلين

حديث الثقلين أيضاً من الأدلة التي تثبت وجود النصّ على خلافة أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله ﷺ وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام، وهو حديث صحيح مشهور لا ريب فيه، وقد ورد في الكثير من مصادر المسلمين المعتبرة، وهو حديث بلغ رواه من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين حدّ التواتر مما يبيّن القطع بصدوره عن النبي صلى الله عليه وآله، ورواه مجموعة كبيرة من علماء أهل السنة بألفاظ مختلفة وطرق وأسانيد متعدّدة.

ألفاظ حديث الثقلين

الألفاظ التي ورد بها هذا الحديث متعدّدة، وهي:

١- لفظ كتاب الله وعترتي أهل بيتي؛ فقد أخرج أحمد هذا الحديث بهذا اللفظ في المسند

بسنده عن أبي سعيد الخدري أنّه قال:

قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِزَّتِي وَأَهْلُ بَيْتِي إِلَّا إِيَّاهَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^٢.

وأخرج الترمذي هذا الحديث بنفس اللفظ في السنن بسنده:

عن زيد بن أرقم رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ

١. الدر المشور، ج ١١، ص ٧٤.

٢. مسند أحمد بن حنبل، مسند أبي سعيد الخدري، ج ٣، ص ٢٦.

به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيها»^١.

وأخرج النسائي في السنن بسنده عن زيد بن أرقم أنه قال:

لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقممن ثم قال: «كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيها فاتمها لن يتفرقا حتى يردا على الحوض»^٢.

فما هو معنى العترة في هذا الحديث؟

من أجل الجواب على هذا السؤال في بادئ الأمر لنلقي نظرة الى ما قاله علماء اللغة حول كلمة «عترة» في كتبهم، ومن ثم نترك الإجابة للقارئ المحترم.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين: «وعترة الرجل: أصله. وعترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبنو عمه ذنباً»^٣.

ويقول ابن منظور الأفرقي في لسان العرب:

وفي حديث زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين خلفي: كتاب الله وعترتي فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»؛ وقال: قال محمد بن إسحق: وهذا حديث صحيح ورفعه نحوه زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري، وفي بعضها: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، فجعل العترة أهل البيت. وقال أبو عبيد وغيره: عترة الرجل وأسرته وفصيلته رهطه الأدنون. ابن الأثير: عترة الرجل أخص أقاربه. وقال ابن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه، قال: فعترة

١. سنن الترمذي، ص ٢٠٤١، حديث ٣٧٨٨ (قال الألباني هذا حديث صحيح).

٢. السنن الكبرى، للنسائي، ج ٥، ص ٤٥.

٣. كتاب العين، ج ٢، ص ٦٦.

النبي ﷺ ولدت فاطمة البتول ﷺ... وقيل: عترته أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعليُّ وأولاده.^١

ويقول الزبيدي في تاج العروس: «وقيل: عترته: أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعليُّ وأولاده».^٢

ومما يؤيد هذا القول، أن الحسن والحسين هم أولاد رسول الله ﷺ، وجود حديث صريح عن النبي ﷺ أن الحسن ﷺ هو ابنه، أخرجه البخاري في الصحيح عن أبي بكرة، حيث قال: «أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعَدَ بِهِ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَقَالَ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ...».^٣

وكذلك قول الرازي في تفسير آية المباهلة حيث قال:

هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين ﷺ كانا ابني رسول الله ﷺ، وعد أن يدعو ابناؤه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه، ومما يؤكد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾^٤ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾^٥ ومعلوم أن عيسى ﷺ إنما انتسب إلى إبراهيم ﷺ بالأُم لا بالأب، فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابناً، والله أعلم.^٦

٢- لفظ كتاب الله... وأهل بيتي؛ فقد أخرج مسلم في الصحيح في باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، والنسائي في السنن وأحمد في المسند والطبراني في المعجم الكبير هذا الحديث بهذا اللفظ بسندهم عن يزيد بن حيان أنه قال:

انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه، قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه

١. لسان العرب، ج ٩، ص ٣٤.

٢. تاج العروس، ج ٧، ص ١٨٦.

٣. صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٢٢.

٤. سورة الأنعام، آية ٨٤.

٥. سورة الأنعام، آية ٨٥.

٦. تفسير الرازي، ج ٤، ص ٩٠.

وصليت معه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفونيهِ. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بقاء يدعى حُماً، بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا يا أيها الناس، فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي عزّ وجلّ، فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».^١

وأخرج الدارمي في السنن بسنده عن زيد بن أرقم أنّه قال:

قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا أيها الناس إنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به»، فحثّ عليه ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»، ثلاث مرات.^٢

وأخرج الحاكم في المستدرك في مناقب أهل رسول الله ﷺ، بسنده عن زيد بن أرقم أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإني لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض».

هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.^٣

ولفظ أهل البيت هو لفظٌ خاصٌّ بالنبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كما تقدم ذكره في آية التطهير.^٤

١. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٢؛ السنن الكبرى، للنسائي، ج ٥، ص ٥١؛ مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٦٦؛ المعجم

الكبير، للطبراني، ج ٣، ص ٢٩٩.

٢. سنن الدارمي، ج ٢، ص ٨٨٩.

٣. المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٢٩.

٤. راجع آية التطهير من هذا الكتاب.

وتبيّن لنا الروايات الواردة عن الرسول ﷺ اشتغال لفظ أهل البيت ﷺ على سائر الأئمة المعصومين ﷺ أيضاً، وقد ورد ذكرهم في المناشدة^١ التي ناشدها الإمام علي ﷺ في خلافة عثمان.

٣- لفظ كتاب الله وسنتي: رواه مالك في الموطأ عن ابن عباس مرسلًا ورواه الحاكم عن أبي هريرة، وفي سنده ضعف، وأن راوي هذه الرواية بهذا اللفظ مجهول ولا يعرف حاله كما صرح بذلك الألباني. ويكفي في ضعف هذا الحديث أنه لم يرو في صحيح البخاري ومسلم، وهذا جوابٌ على بعض علماء أهل السنة الذين يعتقدون بأن صحيح البخاري تالي لتلو القرآن وأنّ المقبول عندهم من الروايات فقط ما ورد في صحيح البخاري ومسلم، ولكننا نراهم يستشهدون بهذا الحديث فكيف يصح ذلك إذا لديهم؟ وحتى لو افترضنا أنّ هذا اللفظ صحيح، أو يكون أحد الألفاظ الواردة عن النبي ﷺ لاحتمال تعدّد صدور هذا الحديث عنه ﷺ في مواضع مختلفة، فإنّ سنة النبي ﷺ الصحيحة هي السنة التي استنّ بها أهل بيته الأطهار ﷺ، وأنّ أهل البيت ﷺ بسبب عصمتهم هم الحافظون لهذه السنة الشريفة، لذلك قرّنه النبي ﷺ بالقرآن، وبما أنّ القرآن مصوّنٌ من الوضع والتحريف، فالسنة التي استنّ بها أهل البيت ﷺ أيضاً لم يكن فيها وضع أو تحريف، ولو كانت تلك السنة قد انتقلت لنا بدون اي وضع أو تحريف لوجب علينا اتباعها لانطباق مفهومها مع مفهوم أهل البيت ﷺ لكونهم محلاً لها.

فالحديث يبيّن لنا أنّ النبي ﷺ خلف في أمته، الكتاب الكريم وقرن أهل بيته به، وأمر الأئمة أن يتبعهم معاً لأنّ عدم اتباعهم يوجب الهلاك، وأكد على عدم افتراقها ودوام الاتصال بينها الى يوم القيامة، مما يدلّ على أنّها مشتركان في الصفات، وبما أنّ القرآن لا يشوبه أي خطأ فالعترة الطاهرة أيضاً لا يشوبها أي خطأ، وهذا هو أصل العصمة؛ وقد أيّد هذا القول ابن حجر الهيتمي بقوله:

١. جاء نصّ هذه المناشدة في هذا الكتاب للإطلاع فراجع.

وفي أحاديث الحثّ على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي ويشهد لذلك الخبر السابق في كلّ خلفٍ من أمّتي عدول من أهل بيتي.^١

وتشير الروايات إلى أنّ النبي ﷺ كرر هذا الحديث بلفظ «أهل بيتي» مرات عديدة وفي مواضع مختلفة مما يبيّن أهميّة الكتاب وأهميّة أهل البيت ﷺ؛ وفي ذلك يقول ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة:

ثمّ أعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجره بأصحابه، وفي أخرى أنّه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنّه قاله لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مرّ. ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة.^٢

فعلی هذا نستطيع القول إنّ إمكان وجود لفظ «وستي» في هذا الحديث لا يتنافى مع مضمون حديث الثقلين بلفظ «أهل بيتي» أو «عترتي أهل بيتي».

إذن، عترة رسول الله ﷺ هم فاطمة وأولادها ﷺ؛ وعلى هذا فإذا ثبت أنّ الحسن والحسين ﷺ هما ولدا رسول الله ﷺ ومن عترته الذين تم ذكرهم بموازاة كتاب الله في هذا الحديث واقترانهم معه وعدم افتراقهم عنه حتى يردا الحوض وأتّهما أحد الحبلين الممدودين من السماء إلى الأرض وأتّهما أحد الثقلين... وأيضاً أتّهما من ضمن أصحاب الكساء الخمسة الذين جاء ذكرهم في آية التطهير حيث أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، لذا نستطيع القول بمرجعيّتهم الدينيّة وجوب اتباعهم بعد رسول الله ﷺ.

١. الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٥١.

٢. المصدر السابق، ص ١٥٠.

٦. حديث الخلفاء الاثني عشر

أخبر رسول الله ﷺ بأن عدد الأئمة من بعده هو اثنا عشر إماماً، وقد روى عنه ذلك أصحاب الصحاح والمسانيد وكتب الحديث والمتون من علماء أهل السنة، عن خمسة عشر صحابياً، بأسانيد متنوّعة وألفاظ متعدّدة، ترفع من مستوى هذا الحديث الى حيث الاطمئنان بصحة صدوره عن النبي ﷺ، بل والقطع بذلك.

ألفاظ حديث الخلفاء الاثني عشر

نذكر نخبة من الروايات الواردة في هذا الحديث بتفصيل ألفاظها، وهي:

الف) اثنا عشر خليفة

أخرج مسلم في الصحيح في باب الناس تبع لقريش^١، هذا اللفظ بصيغ مختلفة بسنده عن جابر بن سمرة، حيث قال:

- سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش».

- قال النبي ﷺ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش».

- انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعني أبي فسمعتة يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة» فقال كلمة صميتها الناس، فقلت لأبي ما قال؟ قال: «كلهم من قريش».

- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: فكتب لي: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة عشية رجم الأسلمي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

١. صحيح مسلم، ج ٦، ص ٣.

وأخرج أحمد بن حنبل هذا اللفظ بصيغ مختلفة بسنده عن جابر بن سمرة قال:

- قَالَ خَطْبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَرَاقَاتٍ فَقَالَ: «لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ عَزِيزًا مَنِيعًا ظَاهِرًا عَلَى مَنْ نَاوَاهُ حَتَّى يَمْلِكَ اثْنَا عَشَرَ كُلُّهُمْ». قَالَ فَلَمْ أَفْهَمْ مَا بَعْدُ. قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ بَعْدَ كُلُّهُمْ؟ قَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»^١.

- قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً يُنصرون على من ناواهم عليه إلى اثني عشر خليفة» قال: فجعل الناس يقومون ويقعدون.^٢

- عن عامر بن سعد قال: سألت جابر بن سمرة عن حديث رسول الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش»^٣.

وأخرج أحمد أيضاً في المسند وأبي داود في السنن في كتاب المهدي بسنديهما عن جابر بن سمرة قوله:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا إِلَى اثْنِي عَشَرَ خَلِيفَةً». قال: فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفيفة [خفيفة] قلت لأبي: يا أبة ما قال؟ قال: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»^٤.

وأخرج أبو داود أيضاً في السنن بسنده عن الأسود بن سعيد الهمداني عن جابر بن سمرة أنه زاد في هذا الحديث ما يلي: «قال: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثُمَّ يَكُونُ الْهَرْجُ»^٥.

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن مسروق أنه قال:

كنا جلوساً ليلة عند عبد الله يقرؤنا القرآن فسأله رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل

١. مسند أحمد بن حنبل، من حديث جابر بن سمرة، ج ٥، ص ٩٣.

٢. المصدر السابق، ص ٩٩.

٣. المصدر السابق، ص ٨٦.

٤. المصدر السابق، ص ٩٨؛ سنن أبي داود، ج ٤، ص ٨٦.

٥. سنن أبي داود، ج ٤، ص ٨٦.

سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سأله، فقال: «اثنا عشر عدة نقباء بني إسرائيل»^١.

(ب) اثنا عشر أميراً

وأخرج البخاري في الصحيح في باب الاستخلاف بسنده عن عبد الملك، سمعت جابر ابن سمرة قال: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا» فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا فَقَالَ أَبِي: إِنَّهُ قَالَ: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»^٢.

أخرج أحمد في المسند هذا اللفظ بسنده عن جابر بن سمرة السوائي قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: في حجة الوداع: «لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناوأه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش» قال ثم خفي عليّ قول رسول الله ﷺ قال وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله ﷺ مني، فقلت يا أبتاه ما الذي خفي عليّ من قول رسول الله ﷺ؟ قال: يقول: «كلهم من قريش»^٣.

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة في باب جماع أبواب أخبار النبي ﷺ، بسنده عن جابر بن سمرة أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً». فقال كلمة لم اسمعها، فقال: «إنه قال: «كلهم من قريش»»^٤.

(ج) اثنا عشر رجلاً

أخرج مسلم في الصحيح في باب الناس تبع لقريش بسنده عن جابر بن سمرة أنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: «كلهم من قريش»^٥.

١. المستدرک علی الصحیحین، کتاب الفتن والملاحم، حدیث أبي عوانة، ج ٥، ص ٧٠٢.

٢. صحیح البخاری، ج ٤، ص ١٨١٢.

٣. مسند أحمد بن حنبل، حدیث جابر بن سمرة، ج ٥، ص ٨٧.

٤. دلائل النبوة، للبيهقي، ج ٦، ص ٥١٩.

٥. صحیح مسلم، ج ٦، ص ٣.

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة في جماع أبواب أخبار النبي ﷺ، بسنده عن عامر بن

سعد:

أرسل إلى ابن سمرة العدوي، يعني جابر بن سمرة، حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ، فقال: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الدين قيباً حتى يكون اثنا عشر رجلاً خليفة من قريش»^١.

د) اثنا عشر وصياً

أخرج القندوزي في ينابيع المودة عن عباية بن ربعي رواه عن جابر وعن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين، وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر، أولهم عليّ وآخرهم المهدي»^٢.

وأخرج الجويني بسنده عن عباية بن ربعي عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد المرسلين وعليّ بن أبي طالب سيد الوصيين، وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر، أولهم عليّ بن أبي طالب، وآخرهم القائم»^٣.

وأخرج القندوزي في ينابيع المودة أيضاً عن الجويني في فرائد السمطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ:

إن أوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثنا عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي، قيل: يا رسول الله من أخوك؟ قال: «عليّ». قيل: من ولدك؟ قال: «المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلف ولدي وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»^٤.

١. دلائل النبوة، للبيهقي، ج ٦، ص ٣٢٤.

٢. ينابيع المودة، الباب الرابع والتسعون، ج ٣، ص ٣٨٤.

٣. فرائد السمطين، ج ٢، ص ٣١٣.

٤. ينابيع المودة، الباب الرابع والتسعون، ج ٣، ص ٣٨٣.

هـ) اثنا عشر قِيماً

أخرج الطبراني في المعجم الأوسط والمعجم الكبير بسنده عن جابر بن سمرة أنه قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ فقال: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر قِيماً لا يضرهم من خذلهم» وهمس رسول الله ﷺ بكلمة لم أسمعها، فقلت لأبي الكلمة التي همس بها رسول الله ﷺ؟ فقال: «كلهم من قريش»^١.

دلالة الحديث

بعد التدقيق في الروايات الواردة في هذا الموضوع، نلاحظ وجود مضامين رئيسية تكاد تكون مشتركة في أكثرها، حيث نستخرجها ونبحثها بشكل إجمالي وهي:

١. عدد الخلفاء بعدد نقباء بني إسرائيل: ورد تحديد عدد الخلفاء، وهو اثنا عشر خليفة في مختلف نصوص هذا الحديث، وهذا العدد لا ينطبق الا على الأئمة الإثني عشر من أهل البيت ﷺ، الذين يعتقد بهم الشيعة، وهو لا ينطبق لا على أئمة أهل السنة ولا على أئمة الزيدية ولا على أئمة الإسماعيلية، وبهذا يتأكد لنا وجود النص على وجود أوصياء تأتم بهم الأمة بعد الرسول ﷺ، وأنه ﷺ لم يترك هذا الأمر مجهولاً للأمة، أو حسب تعبير أهل السنة لم يترك الرعية بدون راع.

وأول هؤلاء الأوصياء هو الإمام علي ﷺ ومن ثم ولداه الحسن والحسين ﷺ ومن ثم تسعة من ولد الحسين ﷺ يختتمهم المهدي ﷺ، كما مر ذكر ذلك في لفظ اثني عشر وصياً.

٢. «كلهم من قريش» يؤكد لنا أن هؤلاء الأئمة الاثني عشر كلهم من قبيلة قريش التي ينتهي نسب الرسول ﷺ إليها.

٣. «لا يزال الإسلام عزيزاً» و «لا يزال الدين عزيزاً» يشير الى أن عزّة الإسلام والدين تتوقف على هؤلاء الاثني عشر.

٤. «لا يزال الدين قائماً» يدل على أن قوام الدين وثباته يكون هؤلاء الاثني عشر.

١. المعجم الأوسط، للطبراني، ج ٢، ص ١٧٢؛ المعجم الكبير، للطبراني، ج ٢، ص ١٦.

٥. «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة» يبيّن أهمية هؤلاء الاثني عشر لاستقامة الدين بواسطتهم حتى قيام الساعة.

٦. «يعم المرح بعد مضيهم» يشير الى علائم آخر الزمان حيث إنّ الروايات تشير الى تأزم الأمور بعد وفاة المهدي عليه السلام حتى تعقبها الساعة.

٧. «لا يضرهم من خذلهم أو عاداهم» يدلّ على أنّهم منصورون سواء نصرهم الناس أم خذلهم، فأجرهم عند الله باقٍ وهم عنده منصورون.

أسماء الخلفاء الاثني عشر في الروايات

لقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله الخلفاء الاثني عشر بأسمائهم، فقد أخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة لذوي القربى بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال:

دخل جندل بن جنادة بن جبيرة اليهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ... ثم قال: أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم. قال: «أوصيائي الاثنا عشر». قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة، وقال: يا رسول الله سمهم لي. فقال: «أولهم سيد الاوصياء أبو الأئمة عليّ، ثم ابناه الحسن والحسين، فاستمسك بهم ولا يغرنك جهل الجاهلين، فإذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه». فقال جندل: وجدنا في التوراة وفي كتب الانبياء عليهم السلام إيليا وشبيراً وشبيراً، فهذه اسم علي والحسن والحسين، فمن بعد الحسين؟ وما أساميهم؟ قال: «إذا انقضت مدة الحسين فالامام ابنه علي ويلقب بزین العابدين، فبعده ابنه محمد يلقب بالباقر، فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق، فبعده ابنه موسى يدعى بالكاظم، فبعده ابنه علي يدعى بالرضا، فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي والزكي، فبعده ابنه علي يدعى بالتقي والهادي، فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري، فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة، فيغيّب ثم يخرج، فإذا خرج يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبتهم، أولئك الذين وصفهم الله في

كتابه، وقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. فقال جنبد: الحمد لله الذي وفقني بمعرفتهم. ثم عاش الى أن كانت ولادة علي بن الحسين، فخرج إلى الطائف، ومرض، وشرب لبناً، وقال: أخبرني رسول الله ﷺ أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن، ومات ودفن بالطائف^١.

وفي ينابيع المودة أيضاً عن الجويني في فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال:

قدم يهودي يقال له نعثل، فقال: يا محمد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فان أجبتني عنها أسلمت على يديك... قال: صدقت، فأخبرني عن وصيك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصي، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون. فقال: «إن وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين». قال: يا محمد فسمهم لي؟ قال: «إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي، فهو لاء اثنا عشر». قال: أخبرني كيفية موت علي والحسن والحسين؟ قال ﷺ: «يقتل عليٌّ بضربة على قرنه، والحسن يقتل بالسهم والحسين بالذبح». قال: فأين مكانهم؟ قال: «في الجنة في درجتي». قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت في كتب الانبياء المتقدمة، وفيما عهد الينا موسى بن عمران عليه السلام أنه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له أحمد ومحمد، هو خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، فيكون أوصياؤه بعده اثنا عشر: أولهم ابن عمه وختنه، والثاني والثالث كانا أخوين من ولده، ويقتل أمة النبي: الأول بالسيف، والثاني بالسهم، والثالث مع جماعة من أهل بيته بالسيف وبالعتش في موضع الغربة، فهو

١. ينابيع المودة لذوي القربى، الباب السادس والسبعون، ج ٣، ص ٢٨٣.

كولد الغنم يذبح ويصبر على القتل لرفع درجاته ودرجات أهل بيته وذريته وإخراج محبيه وأتباعه من النار، وتسعة الأوصياء منهم من أولاد الثالث، فهؤلاء الاثنا عشر عدد الأسباط. قال ﷺ: «أتعرف الأسباط؟» قال: نعم كانوا اثنا عشر أولهم لآوي بن برخيا، وهو الذي غاب عن بني إسرائيل غيبة ثم عاد، فأظهر الله به شريعته بعد اندراسها، وقاتل قرسطيا الملك حتى قتل الملك. قال ﷺ: «كائنٌ في أمتي ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وإن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يُرى، ويأتي على أمتي بزمنٍ لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، فحينئذٍ يأذن الله - تبارك وتعالى - له بالخروج، فيظهر الله الإسلام به ويجدده، طوبى لمن أحبهم وتبعهم، والويل لمن أبغضهم وخالفهم، وطوبى لمن تمسك بهداهم»^١.

ولكننا نلاحظ وجود الأحاديث التي تحتوي أسماء الأئمة عليهم السلام في عدد قليل من مصادر المسلمين، حيث تمّ كتمانها والتعتيم عليها أو إقصائها من ناحية بعض الأشخاص الذين غلب عليهم حبّ الدنيا وأعمى عيونهم زخرفها وزينتها ولم تمنعهم العدالة من الخيانة لله ولرسوله، فلم يذكروا منها إلا ما قلّ أو ما كان يُفسّر بوجه متعدّد للتشويش على المعاني الحقيقية المطلوبة من حديث الرسول ﷺ، ولكن وعلى كل حال، فإنّ إرادة الله أقوى، حيث اقتضت الحكمة الإلهية أن تُظهر ما هو مفروض من الحقّ، وتركت التحرّي على ذلك للإنسان العاقل المفكّر ذي الضمير الحيّ، ليصل الى الحقائق بنفسه ويميّز الحق من الباطل.

٧. حديث السفينة

نقل حديث السفينة عددٌ كبيرٌ من علماء أهل السنّة وحفاظهم، بطرق كثيرة وبألفاظ مختلفة عن رسول الله ﷺ، ونقله ثمانية من الصحابة وجماعة كثيرة من التابعين، وهذا الحديث يثبت وجود النصّ على خلافة أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام.

أخرج ابن أبي شيبة هذا الحديث في المصنف بسنده عن عبد الله بن الحارث عن علي عليه السلام

١. ينابيع المودة، الباب السادس والسبعون، ج ٣، ص ٢٨١؛ فرائد السمطين، الباب الحادي والثلاثون، ج ٢، ص ١٣٣.

أنه قال: «إنما مثلنا في هذه الأمة كسفينة نوح وكتاب حطّة في بني إسرائيل»^١.

وأخرج أحمد في فضائل الصحابة بسنده عن حنش الكناني قوله:

سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني

فأنا أبوذر، سمعت النبي ﷺ يقول: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من

ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»^٢.

وأخرج الطبراني في المعجم الأوسط وفي المعجم الكبير هذا الحديث بطرق متعدّدة،

وهي:

- بسنده عن حنش بن المعتمر قال:

رأيت أبا ذر الغفاري أخذ بعضادتي باب الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني ومن

لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله ﷺ [قال]: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل

سفينة نوح في قوم نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»^٣.

- بسنده عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ﷺ في

قومه من دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك»^٤.

- بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي مثل

سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق»^٥.

وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن أربعة من الصحابة، عن ابن عباس وعن أبي سعيد

الخدري وعن عبد الله بن الزبير وعن أبي ذر قولهم: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنما مثل أهل بيتي

فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^٦.

١. مصنف ابن أبي شيبة، فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ج ٧، ص ٥٠٣.

٢. فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٩٨٧، حديث ١٤٠٢.

٣. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٢، ص ١٨٠؛ المعجم الأوسط، للطبراني، ج ٢، ص ٣٣٩.

٤. المعجم الأوسط، للطبراني، ج ٤، ص ١١٢.

٥. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٢، ص ١٨٠.

٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب في فضل أهل البيت (عليهم السلام)، ج ٩، ص ٢٦٥.

وأخرج المحدثون هذا الحديث بألفاظ متعدّدة وطرق مختلفة أشار إليها ابن حجر في الصواعق المحرقة، وهذا نصّ ما قاله ابن حجر:

وجاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً، مثل «أهل بيتي»، وفي رواية «إنما مثل أهل بيتي» وفي أخرى «إنّ مثل أهل بيتي»، وفي رواية «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»، وفي رواية «من ركبها سلم ومن لم يركبها غرق»^١.

دلالة الحديث

نستنتج من هذا الحديث أموراً، وهي:

الأول: تشبيه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح عليه السلام، إذ يدلّ هذا الحديث على القدرة التي يملكونها لانقاذ البشرية من الضلالة وهدايتها الى الطريق الصواب.

الثاني: إنّ أتباعهم عليهم السلام واللجوء اليهم في أمور الدّين وأخذ أصوله وفروعه منهم عليهم السلام يوجب النجاة، وهذا ما يدل على عصمتهم.

الثالث: إنّ التخلف عنهم يؤدّي إلى السّقوط في الهاوية، كمن يلجأ يوم الطوفان الى جبل ليعصمه من أمر الله وتكون النتيجة هلاكه وغرقه في الماء حتى وإن كان هذا الإنسان المتخلف من الذريّة أو الأقرباء، وهذا ما يدلّ على وجوب إطاعتهم عليهم السلام.

الرابع: إنّ أتباعهم أو التخلف عنهم يكون ملاكاً للكفر والإيمان كما حدث لقوم نوح.

الخامس: أفضليتهم عليهم السلام على باقي النّاس، حيث لو كان هناك شخصٌ أفضل منهم لأمر الرسول صلى الله عليه وآله النّاس باتباعه.

إذن، هذا الحديث يعدّ من الأدلة على المرجعية الدينيّة لأهل البيت عليهم السلام ليكونوا لنا أعلام الهدى وسبيل النجاة.

١. الصواعق المحرقة، باب الأمان ببقائهم، ص ٢٣٥.

٨. حديث الطير

حديث الطير هو أيضاً من الأحاديث التي نستدلُّ بها على إمامة عليٍّ (عليه السلام)؛ وقد روى هذا الحديث أكثر من عشرة من الصحابة وما يقارب التسعين من التابعين عن أنس بن مالك، وعدد من أئمة المذاهب وأئمة الحديث. وألف جماعة من كبار المحدثين أيضاً كتباً تتعلق بطرق نقل هذا الحديث. ونجد هذا الحديث موجوداً بأسانيد صحيحة وطرق متعددة في كتب الحديث مما يؤيد صحة صدوره عن الرسول ﷺ.

ونذكر أهم الأخبار التي تدلُّ على صدور هذا الحديث:

أخرج الترمذي في السنن في باب حديث الطير بسنده عن السدي عن أنس بن مالك أنه قال: كان عند النبي ﷺ طيرٌ، فقال: «اللهم آتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء عليٌّ فأكل معه.^١

وأخرج الطبراني في المعجم الأوسط بسنده عن يحيى بن أبي كثير عن أنس بن مالك قال: أهدت أم أيمن إلى النبي ﷺ طائرأين رغيفين. فجاء النبي ﷺ، فقال: «هل عندكم شيء؟» فجاءته بالطائر، فرفع يديه، فقال: «اللهم آتني بأحبِّ خلقك إليك، يأكل معي من هذا الطائر»، فجاء عليٌّ، فقلت: إن رسول الله ﷺ مشغولٌ، وإنما دخل النبي ﷺ أنفاساً، فثبقت النبي ﷺ من الطائر شيئاً، ثم رفع يده، فقال: «اللهم آتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر»، فجاء عليٌّ، فارتفع الصوت بيني وبينه، فقال النبي ﷺ: «أدخله من كان»، فدخل. فقال النبي ﷺ: «والي يا رب» ثلاث مرات، فأكل مع رسول الله ﷺ حتى فرغاً.^٢

وأخرج النسائي في السنن وأبي يعلى الموصلي في المسند بسندهما عن السدي عن أنس بن مالك قال: إن النبي ﷺ كان عنده طائرٌ، فقال: «اللهم آتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»، فجاء أبو بكر فردّه، وجاء عمر فردّه، وجاء عليٌّ فأذن له.^٣

١. سنن الترمذي، ص ٢٠٣٥، حديث ٣٧٢١.

٢. المعجم الأوسط، للطبراني، ج ١، ص ٤٧٢.

٣. السنن الكبرى، للنسائي، ج ٥، ص ١٠٧؛ مسند أبي يعلى الموصلي، ج ٣، ص ٣٨٥.

وأخرج الحاكم في المستدرک بسنده عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ فقدم لرسول الله ﷺ فرخ مشوي فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» قال: فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه، فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة، ثم جاء فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله ﷺ: «افتح» فدخل فقال رسول الله ﷺ: «ما حبسك علي؟» فقال: «إن هذه آخر ثلاث كرات يردي أنس يزعم أنك على حاجة» فقال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحييت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل قد يحب قومه».

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً، ثم صحّت الرواية عن عليّ وأبي سعيد الخدري وسفيينة.^١

وأخرج الميثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد عن أنس بن مالك أنه قال:

كنت أخدم رسول الله ﷺ فقدم فرخاً مشويّاً، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإلي يأكل معي من هذا الفرخ». فجاء عليّ ودق الباب، فقال أنس: من هذا؟ قال: «عليّ» فقلت: النبي ﷺ على حاجة فانصرف ثم تنحى رسول الله ﷺ وأكل ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم ائتني بأحب الخلق إليك وإلي يأكل معي من هذا الفرخ». فجاء عليّ فدق الباب دقاً شديداً فسمع رسول الله ﷺ فقال: «يا أنس من هذا؟». قلت: عليّ. قال: «أدخله». فدخل فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألت الله ثلاثاً أن يأتيني بأحب الخلق إليه وإلي يأكل معي من هذا الفرخ». فقال عليّ: «وأنا يا رسول الله لقد جئت ثلاثاً كل ذلك يردي أنس»، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس ما حملك على ما صنعت؟». قال: أحييت أن تدرك الدعوة رجلاً من قومي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يلام الرجل على حب قومه».^٢

١. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٠٢.

٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب في من يجه ويغضه، ج ٩، ص ١٦٧.

دلالة حديث الطير

بيّنت هذه القضية أنّ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مقاماً عظيماً عند الله ورسوله، وهو أحبّ الناس الى الله والى الرسول صلى الله عليه وآله، وكأنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان قد انتهز هذه الفرصة ليعلن عن مقام الإمام علي عليه السلام وشأنه عند الله والرسول، هذا الشأن الذي تمتّى الجميع أن يكون لهم، كما تبين لنا الرواية التالية أنّ عائشة تمتّت ذلك لأبيها وحفصة أيضاً تمتّه لأبيها وأنس بن مالك تمتى ذلك لأحب شخص الىه من الأنصار وهو سعد بن عباد، فقد أخرج أبو يعلي الموصلي في مسنده بسنده عن عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك قوله:

أهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله حجلّ مشويّ بخبزةٍ وصبايةٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم ائتني بأحبّ خلقك اليك ياكل معي من هذا الطعام». فقالت عائشة: اللهم اجعله أبي، وقالت حفصة: اللهم اجعله أبي.

قال أنس: وقلت أنا: اللهم اجعله سعد بن عباد، قال أنس: فسمعت حركة بالباب فخرجت فإذا عليّ بالباب، فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله على حاجةٍ فانصرف، ثم سمعت فإذا هو عليّ فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال: «ائذن له». فدخل عليّ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم والي اللهم والي»^١.

ونلاحظ في صحيح البخاري وجود رواية تبين أنّ عمر جعل المحبّة ملاكاً لتعيين أبي بكر خليفةً للمسلمين في قضية السقيفة، فقد أخرج بسنده عن عمر قوله: «بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ»^٢.

وبالرغم من أنّ هذه الرواية تنافي قول الرسول صلى الله عليه وآله بأنّ الإمام علي عليه السلام هو أحبّ الخلق إليه صلى الله عليه وآله، وأنّ قول وفعل عمر ليسا بحجّة، لكن إذا أمكن أن يكون الحب معياراً للخلافة، فإنّ الحبّ الذي يظهر لنا من حديث الطير من جانب الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يمكن أن يكون ملاكاً للخلافة والولاية أيضاً.

١. تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ج ٩، ص ٢٦١.

٢. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨٩٧.

والقول بأن هذا الحديث يدلّ على أنّ الرسول ﷺ أراد بذلك أن يعرف للناس أحبّ شخص لديه، لكي لا يشته عليهم الأمر بعد وفاته ﷺ، فلا إشكال فيه.

٩. حديث المنزلة

هذا الحديث من الأدلة القطعية على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو من النصوص الواضحة الدلالة ومن الأحاديث المتواترة، «هو حديث متواتر عن نيف وعشرين صحابياً»، التي جاء ذكرها في مصادر كثيرة من كتب أهل السنة من صحاحها وسننها ومسانيدها وكتب تاريخها وتفسيرها، وهو كالشمس لا يمكن إنكاره أبداً. ومن أجل كثرة مصادر هذا الحديث وعدم إمكان ذكرها في هذا الكتاب، إذ أنّها تستدعي تأليف كتاب كامل فيها، نكتفي هنا بذكر أشهرها.

ألفاظ الحديث

جاء هذا الحديث بألفاظ متعددة، منها ما جاء في عدّة مصادر من كتب الحديث بلفظ «إلاّ وأنت خليفتي» فقد أخرجه البخاري في باب غزوة تبوك (بلفظ ليس نبيّ بعدي) ومسلم في باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام وأحمد في باب مسند سعد بن أبي وقاص بسندهم للحديث عن سعد أنّه قال:

خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: «يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان»،؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنّه لا نبي بعدي».^٢

وأخرج البخاري هذا الحديث واعتبره من مناقب علي عليه السلام وكذلك أخرجه ابن ماجة في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام والطبراني بسنده عن سعد بن أبي وقاص أنّه قال: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ١١، ص ٢٩٢.

٢. صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٠٧٦؛ صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٠؛ مسند أحمد بن حنبل، مسند سعد بن أبي وقاص، ج ١، ص ١٨٤.

أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟»^١.

وأخرج أحمد في المسند وفضائل الصحابة بسنده عن ابن عباس أنه قال:

«وخرج بالناس في غزوة تبوك... فقال له علي: «أخرج معك»، قال: فقال له نبي الله: «لا» فبكى علي... فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي...». وقال له رسول الله: «أنت وليي في كل مؤمنٍ بعدي»^٢.

وأخرج النسائي في الخصائص عن ابن عباس أنه قال:

«وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال علي: «أخرج معك؟» فقال: «لا» فبكى، فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي؟» ثم قال: «أنت خليفتي»^٣.

وأخرجه الحاكم في المستدرک وقال عنه صحيح الإسناد عن ابن عباس قال:

«وخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وخرج بالناس معه، قال: فقال له علي: «أخرج معك؟» قال: فقال النبي ﷺ: «لا» فبكى علي، فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» قال ابن عباس: وقال له رسول الله: «أنت ولي كل مؤمنٍ بعدي ومؤمته...»^٤.

وجاء أيضاً بلفظ «أنت أخي ووارثي»، فقد أخرج أحمد في فضائل الصحابة والقندوزي في يبايع المودة بسنده عن زيد بن أبي أوفى أنه قال:

«دخلت على رسول الله ﷺ مسجده، فذكر قصة مؤاخاة رسول الله ﷺ بين أصحابه، فقال

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٩٠٨؛ سنن ابن ماجه، ص ٢٤٨٤، حديث ١١٥؛ المعجم الكبير، للطبراني، ج ١، ص ١٠١.

٢. مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، ج ١، ص ٣٣١؛ فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٨٥٠ (ولي كل مؤمنٍ بعدي ومؤمته).

٣. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ٣٣.

٤. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٠٥.

عليٌّ، يعني للنَّبِيِّ ﷺ: «لقد ذهب روحِي، وانقطعت ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخطِ عليٍّ، فلك العتبي والكرامة»، فقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحقِّ، ما أخرتك إلا لنفسِي، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي، وأنت أخي ووارثي»، قال: «وما أرت منك يا رسول الله؟» قال: «ما ورث الأنبياء قبلي»، قال: «وما ورث الأنبياء قبلك؟» قال: «كتاب الله، وسنة نبيهم، وأنت معي في قصرٍ في الجنة، مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^١، المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعضٍ.^٢

وأخرج أحمد في المسند في مسند أبي سعيد الخدري والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد الحديث بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي».^٣

كما نُقل هذا الحديث عن عددٍ من الصحابيَّات، فقد أخرج ابن حبان في صحيحه بسنده عن أم سلمة ؓ أنها قالت: إنَّ النبي ﷺ، قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي».^٤

وأخرج أحمد في المسند بسنده للحديث عن فاطمة بنت علي ؑ عن أسماء بنت عميس عن موسى الجهني قال:

دَخَلْتُ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ عَلِيٍّ، فَقَالَ لَهَا رَفِيقِي أَبُو سَهْلٍ: كَمْ لَكَ؟ قَالَتْ: سِتَّةٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، قَالَ: مَا سَمِعْتُ مِنْ أَيْكٍ شَيْئًا؟ قَالَتْ: حَدَّثَنِي أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ».^٥

١. سورة الحجر، آية ٤٧.

٢. فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٧٩٢، حديث ١٠٨٥؛ ينابيع المودة، الباب التاسع، ج ١، ص ١٧٨.

٣. مسند أحمد بن حنبل، مسند أبي سعيد الخدري، ج ٣، ص ٣٢؛ تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٧٦.

٤. صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب إخباره ﷺ، ج ١٥، ص ١٥.

٥. مسند أحمد بن حنبل، حديث أسماء بنت عميس ؓ، ج ٦، ص ٣٦٩.

دلالة الحديث

تبين لنا الألفاظ الأخرى في هذا الحديث أنّ هذه المنزلة هي من مناقب الإمام علي عليه السلام، حيث إنّ سعد بن أبي وقاص يمتنع عن سب الإمام علي عليه السلام عندما أمره معاوية بذلك بسبب سماعه هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، ويقول سعد أن لو كانت لي هذه المنقبة لكان أحبّ إليّ من حمر النعم، فقد أخرج مسلم في الصحيح في باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام والنسائي في الخصائص بسنديهما للحديث عن بكير بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد يقول:

قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك ان تسب ابن أبي طالب؟ قال: لا أسبه، ما ذكرت ثلاثاً فاهن رسول الله صلى الله عليه وآله لئن يكون لي واحدةٌ منهنّ أحبّ إليّ من حُمر النعم... ولا أسبه ما ذكرت حين خلفه في غزوة غزاهما، قال علي: «خلفتني مع الصبيان والنساء!» قال: «أو لا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوة بعدي»^١.

وبهذا الحديث أثبت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ منزلة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام منه كمنزلة هارون من موسى، إذ أنّه كان وزيره وخليفته ووصيه في غيابه، وبها أنّ هارون كان نبياً فقد استثنى رسول الله صلى الله عليه وآله النبوة من الإمام علي عليه السلام لأبها ختمت به صلى الله عليه وآله.

شبهة في الحديث

الشبهة الأولى: هناك من يقول إنه لو كان قصد الرسول صلى الله عليه وآله هو أنّ كل هذه الصفات للإمام علي عليه السلام، لوجب أن يكون الإمام علي عليه السلام نبياً أيضاً في حياة الرسول صلى الله عليه وآله كما كان هارون نبياً في حياة موسى عليه السلام ويكون الاستثناء في «لا نبي بعدي» بعد ممات الرسول صلى الله عليه وآله فقط؛ ونحن نقول: إن كان المقصود من البعدية في «بعدي» هو البعدية الزمنية، يعني أنّ علياً لا يكون نبياً بعد زمان حياة الرسول صلى الله عليه وآله ولكنه يكون نبياً في حياته صلى الله عليه وآله فقط، فإن كان عنوان النبي قد صدق على الإمام علي عليه السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، لبقى عليه هذا العنوان بعد حياة الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً، وبها أنّ الإمام علي عليه السلام لم يكن نبياً بعد حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، لذا فالحديث فيه

١. صحيح مسلم، ص ١١٩٨، حديث ٦١١٤؛ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ٢٥.

تناقض. حيث إنّ هذا الحديث مقبول ومعتبر عند الفريقين ولا يوجد فيه أي تناقض إذ إنّ فالبعديّة في «بعدي» يمكن أن تكون هي البعديّة الرتبية بالاضافة الى البعديّة الزمنية، إذ إنّ المعنى يصبح، بشكل عام لا نبي يأتي من بعد رسول الله ﷺ في حال حياته وكذلك بعد مماته ﷺ.

وبالإضافة الى هذا، نرى لفظ «النّبوة» قد ورد في بعض صيغ هذا الحديث، حيث إنّ هذا اللفظ يعني النّبوة بشكل عام عن الإمام علي عليه السلام في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته أيضاً، فقد أخرج أحمد في مسنده بسنده عن عائشة بنت سعد عن أبيها سعد بن أبي وقاص قوله: «إِنَّ عَلِيًّا خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى جَاءَ ثَنِيَّةُ الْوُدَاعِ، وَعَلِيٌّ يَبْكِي، يَقُولُ: «تَخَلَّفَنِي مَعَ الْخَوَالِفِ»؟ فَقَالَ: «أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا النّبُوَّةُ؟»^١.

وأخرج النسائي عن إبراهيم بن سعد عن سعد قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة؟»^٢.

لذا فلا يمكن أن يكون الإمام علي عليه السلام نبياً في حياة الرسول ﷺ، ولكنه كان يشترك مع هارون عليه السلام في كل الأمور التي ذكرناها في بداية البحث إلا النّبوة.

الشبهة الثانية: وفي جواب من قال إنّ الوصيّة بالخلافة تنطبق على الإمام علي عليه السلام في غزوة تبوك فقط ولا يدلّ هذا الحديث على خلافته بعد النبي ﷺ، لأنّ النبي ﷺ قال هذا الحديث في غزوة تبوك فقط نقول: إنّ النبي ﷺ لم يقل هذا الحديث في غزوة تبوك فقط وإنّما قاله عدّة مرّات وفي مناسباتٍ مختلفةٍ، منها:

أولاً: في قضية المؤاخاة، عندما أخى النبي ﷺ بين المسلمين وأخى نفسه مع علي عليه السلام، فقد أخرج الخوارزمي عن هذه القضية في المناقب بسنده عن ابن عباس أنّه قال:

لما أخى النبي ﷺ بين أصحابه وبين المهاجرين والانصار فلم يواخ بين علي بن أبي طالب

١. مسند أحمد بن حنبل، مسند سعد بن أبي وقاص، ج ١، ص ١٧٠؛ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ٤٢.

٢. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ٤٣.

وبين أحد منهم، خرج علي عليه السلام مغضباً حتى أتى جدولاً من الأرض فتوسد ذراعه وسفت عليه الريح، فطلبه النبي صلى الله عليه وآله حتى وجده فوكزه برجله فقال له: «قم، فما صلحت إلا أن تكون أبا تراب، أغضبت عليّ حين واخيت بين المهاجرين والأنصار ولم أواخ بينك وبين أحدٍ منهم؟ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبيٌّ؟، ألا من أحبك حُفّ بالأمن والإيمان؛ ومن أبغضك أماته الله ميتةً جاهليةً، وحوسب بعمله في الاسلام»^١.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير وابن عساكر في تاريخ دمشق الحديث بسنده عن زيد ابن أبي أوفى قال:

دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة فجعل يقول: «إني مصطفى منكم من أجب أن أصطفيه ومؤاخ بينكم كما آخى الله بين الملائكة»، ... فقال عليّ: «يا رسول الله ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت ما فعلت بأصحابك غيري، فإن كان من سخطة عليّ فلك العتبي والكرامة»، فقال: «والذي بعثني بالحق ما أخرجتك إلا لنفسي فأنت عندي بمنزلة هارون من موسى ووارثي»، فقال: «يا رسول الله ما أرت منك؟» قال: «ما أورت الأنبياء» قال: «وما أورت الأنبياء قبلك؟» قال: «كتاب الله وسنة نبيه وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي ورفيقي». ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله الآية ﴿إخواناً على سررٍ مُتقابلين﴾ الأخلاء في الله ينظر بعضهم إلى بعض^٢.

وبهذا يصبح الإمام علي عليه السلام أخوا رسول الله صلى الله عليه وآله بالإضافة إلى أنه ابن عمّه وصهره، كما كان هارون عليه السلام أخو موسى عليه السلام.

ثانياً: في خطبة غدير خم، فقد أخرج الخوارزمي في المناقب بسنده عن عبد الله بن أبي ليل عن أبيه قال:

دفع النبي صلى الله عليه وآله الراية يوم خيبر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ففتح الله تعالى على يده، وأوقفه

١. المناقب، الخوارزمي، ذكر فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام، ص ٧.

٢. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٣، ص ٣٣٠؛ تاريخ دمشق، ج ٢١، ص ٤١٤.

يوم غدير خم فأعلم الناس أنه مولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال له: «أنت مني وأنا منك»، وقال له: «تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل». وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»^١.

ثالثاً: في مسجد النبي، فقد أخرج الخوارزمي في المناقب والقندوزي في ينابيع المودة وابن عساکر في تاريخ دمشق الحديث بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وهو في مسجد النبي ﷺ قال:

جاءنا رسول الله ﷺ ونحن مضطجعون في المسجد وفي يده عسيب رطب، قال: «ترقدون في المسجد»؟ قلنا قد أجفلنا واجفل عليٌّ معنا، فقال رسول الله ﷺ: «تعال، يا علي إنَّه يحلُّ لك في المسجد ما يحلُّ لي، ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة»^٢.

الشبهة الثالثة: هارون عليه السلام لم يصل الى خلافة موسى عليه السلام بسبب موته قبل موسى عليه السلام، لذا فإنَّ هذا الحديث لا يمكن أن يبين خلافة الإمام علي عليه السلام بعد النبي ﷺ؛ ونحن نقول إنَّ الأصل في الخلافة أن تكون في غياب الشخص، ولا فرق في أن تكون بعدم حضوره وهو حيٌّ أو بعد موته، فقد تحققت لهارون وعلي عليه السلام في حياة موسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام، ولكنها تعذرت لهارون عليه السلام لوجود المانع وهو موته، ولكن لم تعذر لعلي عليه السلام لبقائه حياً بعد النبي ﷺ.

الشبهة الرابعة: طرح الرازي شبهةً حول هذا الموضوع وقال إن هارون صرَّح بأحقَّيته في خلافة موسى دون تقيته عند امتناع الأمة عن أتباعه، فان كان لعلي عليه السلام نفس الأحقية في الخلافة، لوجب عليه أن يفعل كما فعل هارون عليه السلام؛ وعدم تصريح الإمام علي عليه السلام بذلك يبيِّن لنا عدم أحقيته بأمر الخلافة من بعد النبي ﷺ، وأن الصواب هو الذي كانت عليه الأمة،

١. المناقب الخوارزمي، ذكر فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام، ص ٢٣.

٢. المصدر السابق، ص ٦٠؛ ينابيع المودة، الباب السادس، ج ١، ص ١٦٠؛ تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ١٣٩.

ونص قول الرازي في التفسير هو:

ثم إنَّ هارون ما منعه التقية في مثل هذا الجمع، بل صعد المنبر وصرَّح بالحقِّ ودعا الناس إلى متابعة نفسه والمنع من متابعة غيره، فلو كانت أمة محمد ﷺ على الخطأ لكان يجب على علي عليه السلام أن يفعل ما فعله هارون عليه السلام وأن يصعد على المنبر من غير تقية وخوفٍ وأن يقول: ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾^١ فلما لم يفعل ذلك علمنا أنَّ الأمة كانوا على الصواب.^٢

ولكن في المقابل يورد النيسابوري - وهو من علماء أهل السنة - هذه الشبهة على لسان أهل السنة في تفسيره ويحجب عليها قائلاً:

وللشيعة أن يقولوا: إنَّ هارون صرَّح بالحقِّ وخاف فسكت ولهذا عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بـ ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾^٣ وهكذا علي رضي الله عنه امتنع أولاً من البيعة فلما آل الأمر إلى ما آل أعطاهم ما سألوا.^٤

ولو افترضنا أنَّ الإمام علي عليه السلام استخدم التقية بسبب الخوف، فإنَّ هذا الخوف لم يكن لنفسه، حيث كانت العرب تشهد بشجاعته، وإنما كان على الإسلام والمسلمين، وقد أشرنا إلى الجواب عن هذه الشبهة في احتجاج الإمام علي عليه السلام في موضوع حديث الغدير.^٥

الشبهة الخامسة: أورد القرطبي أيضاً شبهةً في هذا الموضوع بأنه لو حملنا استخلاف الرسول ﷺ لعلي عليه السلام في غزوة تبوك على الوصية بالخلافة، لكان صدق ذلك في حقِّ بقية من ستخلف في الغزوات الأخرى، وكذلك إذا حمل تشبيه الإمام علي عليه السلام بهارون عليه السلام على الإمامة لكان صدق ذلك في أبي بكر أيضاً حيث قيل فيهم ما يشابه هذا الحديث، فقد جاء في تفسيره: وإذا ثبت أنه أراد الاستخلاف على زعمهم فقد شارك علياً في هذه الفضيلة غيره لأنَّ

١. سورة طه، آية ٩٠.

٢. تفسير الرازي، ج ١١، ص ١٠٧.

٣. سورة الأعراف، آية ١٥٠.

٤. تفسير النيسابوري، ج ٤ ص ٥٦٧.

٥. راجع حديث الغدير من هذا الكتاب.

النبي ﷺ استخلف في كل غزاة رجلاً من أصحابه، منهم: ابن أم مكتوم ومحمد بن مسلمة وغيرهما من أصحابه... وروي عنه عليه السلام أنه قال: «أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى وهذا الخبر ورد ابتداءً وخبر عليّ ورد على سبب فوجب أن يكون أبو بكر أولى منه بالإمامة والله أعلم.^١

ونحن نقول إن هذا الحديث غير صحيح باعتراف علماء أهل السنة، فقد ذكره السيوطي في جمع الجوامع في قسم الأحاديث الموضوعة من الجامع وأخرجه ابن الجوزي في الواهيات وهو حديث غير صحيح^٢، وهناك نقاط تؤكد ضعف هذا الحديث نشير إليها وهي:

أولاً: لم تكن منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ كعليّ عليه السلام إذ إن الإمام علي عليه السلام حاز على أخوة النبي ﷺ في قضية المؤاخاة.

ثانياً: لم يكن أبو بكر وعمر من حمة رسول الله ﷺ أو أبناء عمه أو من يستطيع أن يرثه كما كان الإمام علي عليه السلام لقربته منه ﷺ.

ثالثاً: لم يثبت استخلاف النبي ﷺ لأبي بكر وعمر سوياً حتى يكون قد صدر فيها هذا الحديث سوياً.

١٠. آية المودة

هذه الآية المباركة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^٣ من الآيات التي تدلّ على إمامة أهل البيت عليهم السلام، وتعتبر من النصوص التي تبين مكانة أهل البيت عليهم السلام، وتوجد روايات كثيرة في المصادر المختلفة تبين لنا أن آية المودة تدلّ على جماعة خاصة من قربي رسول الله ﷺ لا جميعهم.

١. تفسير القرطبي، ج ١، ص ٤٠١.

٢. جامع الأحاديث، ج ١٠، ص ١٤١؛ اللعل المتناهية، ج ١، ص ١٩٩.

٣. سورة الشورى، آية ٢٣.

القربى المقصودون في الآية

لقد ذكرت الروايات أنّ القربى المقصودين في هذه الآية الكريمة هم أهل بيت الرسول ﷺ، علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فمؤدّتهم واجبة بمقتضى هذه الآية المباركة، فقد ذكر الزمخشري في الكشاف والنسفي في تفسيره أنّهم علي وفاطمة وبناهما عليهما السلام والرواية كالآتي: وروى أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مؤدّتهم؟ قال: «عليّ وفاطمة وبناهما»^١.

ونقل النيسابوري ما شابه ذلك أيضاً عن سعيد بن جبير في تفسيره قال: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مؤدّتهم لقرابتك؟ فقال: «عليّ وفاطمة وبناهما»^٢.

وأخرج القندوزي في ينابيع المودّة وأحمد بن عبد الله الطبري في ذخائر العقبى والطبراني في المعجم الكبير ما شابه ذلك أيضاً بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، قالوا: يا رسول الله من «قرابتك» هؤلاء الذين وجبت علينا مؤدّتهم؟ قال: «عليّ وفاطمة وبناهما»^٣.

وذكر القندوزي في ينابيع المودّة رواية أخرى تبيّن لنا أنّ الرسول ﷺ أكد ثلاث مرّات علي أنّ القربى هم علي وفاطمة وبناهما عليهما السلام، وقد أخرج هذه الرواية بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قلنا: يا رسول الله من قرابتك الذين فرض الله علينا مؤدّتهم؟ قال ﷺ: «عليّ وفاطمة وبناهما»، ثلاث مرّات^٤.

واستشهاد نفس أهل البيت عليهم السلام بها يؤيّد أنّهم هم القربى المقصودون في هذه الآية، فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يستشهد بها تارة والإمام زين العابدين عليه السلام يستشهد بها تارة

١. الكشاف للزمخشري، ج ٥، ص ٤٠٤؛ تفسير النسفي، ج ٣، ص ٢٥٣.

٢. تفسير النيسابوري، ج ٦، ص ٧٤.

٣. ينابيع المودّة، للقندوزي الحنفي، الباب السادس والخمسون، ج ٢، ص ١٢٠؛ ذخائر العقبى، ص ٢٥؛ المعجم الكبير، للطبراني، ج ٦، ص ٩.

٤. ينابيع المودّة، الباب السادس والخمسون، ج ٢، ص ٣٢٥.

أخرى والإمام الحسن المجتبي عليه السلام أيضاً يذكرها في خطبة له، وقد أخرج الألويسي في التفسير وابن حجر في الصواعق المحرقة والقندوزي في ينابيع المودة وأبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان استشهاد علي عليه السلام بهذه الآية بسنده عن زاذان عن الإمام علي عليه السلام قال: «فينا آل حم عسق» آية لا يحفظها من مودتنا إلا كل مؤمن» ثم قرأ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^١.

وأضاف الألويسي في هذا الحديث شعر الكميت قائلاً:

وإلى هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في آل حم آيةً تأولها منا تقىٍّ ومعرّب^٢

واستشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام بالآية فهو الحديث الذي أخرجه ابن كثير والثعلبي والطبري في التفسير بسنده عن أبي الديلم أنه قال:

لما جاء بعلي بن الحسين أسيراً فأقيم على درج دمشق، وقام رجل من أهل الشام، فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال علي بن الحسين: «أقرأت القرآن؟» قال: نعم. قال: «قرأت آل حم؟» قال: قرأت القرآن، ولم أقرأ آل حم. قال: «ما قرأت؟» قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.^٣

وأما استشهاد الإمام الحسن عليه السلام في هذه الآية فهو ما أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط بسنده عن أبي الطفيل والطبري في ذخائر العقبى عن الدولابي قال:

خطب الحسن بن علي الناس حين قتل علي فحمد الله وأثنى عليه... ثم قال: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا

١. تفسير الألويسي، ج ٢٥، ص ٤٢؛ الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٧٠؛ ينابيع المودة، الباب الثاني والثلاثون، ج ١، ص ٣١٦؛ تاريخ أصبهان، ج ٢، ص ١٣٤.

٢. والتقي: الساكت عن التفضيل، والمعرب: الناطق به.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٦٦٨؛ الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٨، ص ٣١١؛ تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٥٥٥.

من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ فاقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت».^٢

آية المودة مدنية

وقد قال بعض علماء أهل السنة إن هذه الآية مكية، والقول بكونها مدنية ضعيف، وابن كثير من جملة هؤلاء العلماء القائلين بأنها مكية، ولكن يردّ هذا القول الروايات التي تصرح بأن القربى هم عليّ وفاطمة وابناهما ﷺ، ومن ناحية أخرى توجد في القرآن آيات عديدة مدنية في سور مكية من جملتها هذه الآية، فقد ذكر الواحدي في أسباب نزول هذه الآية وقال إنها نزلت في المدينة.^٣ وذكر القرطبي في تفسيره أنه يوجد في سورة الشورى أربع آيات نزلت في المدينة منها هذه الآية، وهذا نصّ كلام القرطبي في التفسير:

سورة الشورى مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقول ابن عباس وقتادة: إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلى آخرها.^٤

وأخرج الألويسي روايةً تبين لنا نزول هذه الآية في المدينة مع ثلاث آيات بعدها من سورة الشورى عن سعيد بن جبير، وكذلك أخرج الطبراني مثله في المعجم الكبير بسنده عن ابن عباس قال:

إن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة واستحکم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها: نأني رسول الله عليه الصلاة والسلام ونقول له: إن تعرك أمور فهذه أموالنا تحکم فيها فنزلت

١. المعجم الأوسط، للطبراني، ج ١، ص ٥٨٥.

٢. ذخائر العقبى، ص ١٣٨.

٣. أسباب نزول القرآن، ص ٥٩٥.

٤. تفسير القرطبي، ج ١٨، ص ٤٤٠.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقرأها عليهم، وقال: «تودّون قرابتي من بعدي»، فخرجوا مسلمين، فقال المنافقون: إنّ هذا لشيءٌ افتراه في مجلسه أراد بذلك عن قرابته من بعده فنزلت ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا وندموا فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ فأرسل إليهم فبشروهم وقال: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^١

وذكر الألويسي أيضاً في تفسيره روايةً أخرى عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام تبين لنا أنّ هذه الآية نزلت مرتين، مرّةً في مكّة ومرّةً في المدينة، والرواية كالتالي: «وقيل ونسب إلى الحسن أيضاً: لأنّه نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة».^٢

عدم نسخ الآية

يعتقد بعض علماء أهل السنّة بأنّ هذه الآية منسوخةٌ ولكن يجب البغوي في تفسيره على ذلك ويقول:

وقال قوم: هذه الآية منسوخةٌ وإنّما نزلت بمكّة... فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه أحبّ الله عزّوجلّ أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء عليهم السلام... فأنزل الله تعالى: «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله»، فهي منسوخة بهذه الآية، وبقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^٣، وغيرها من الآيات. وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم، والحسين بن الفضل. وهذا قول غير مرضي؛ لأن مودة النبي صلى الله عليه وآله وكف الأذى عنه ومودة أقاربه، والتقرب إلى الله بالطاعة، والعمل الصالح من فرائض الدين، وهذه أقاويل السلف في معنى الآية، فلا يجوز المصير إلى نسخ شيءٍ من هذه الأشياء.^٤

١. تفسير الألويسي، ج ٢٥، ص ٥١؛ المعجم الكبير للطبراني، ج ٦، ص ٣٢.

٢. تفسير الألويسي، ج ١٤، ص ٤٣٥.

٣. سورة الزمر، آية ٨٦.

٤. تفسير البغوي، ج ٥، ص ٤٩.

ويضيف الثعلبي ويؤيده القرطبي^١ في تفسيره معترضاً على القول بالنسخ قائلاً:
وقال قوم: هذه الآية منسوخة... وهذا قول غير قوي ولا مرضي، لأن ما حكينا من
أقاويل أهل التأويل في هذه الآية لا يجوز أن يكون واحداً منها منسوخاً، وكفى قبحاً
بقول من زعم أن التقرب إلى الله تعالى بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته منسوخ^٢.
ويقول الشنقيطي في أضواء البيان عن نسخ هذه الآية المباركة: «وأما القول بأن قوله تعالى:
﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ منسوخ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^٣ فهو ضعيف»^٤.

نوع الاستثناء في الآية

وأما ما جاء في نوع الاستثناء المذكور في هذه الآية المباركة فقد ذهب بعض العلماء من أهل
السنة كالطبري^٥ والبغوي^٦ والثعالبي^٧ وآخرين إلى أن الاستثناء في هذه الآية هو استثناء
منقطع، أي يصبح القول: لا أسألكم أجراً قطُّ ولكنني أسألكم أن تودّوا قرابتي، وذهب
بعضهم الآخر كابن حجر^٨ إلى أنه استثناء متصل، أي يصبح القول: لا أسألكم أجراً إلا هذا،
وهو أن تودّوا أهل قرابتي، وذهب آخرون كالنسفي^٩ والزمخشري^{١٠} إلى أنه من الممكن حمل هذا
الاستثناء على الاستثنائين المنقطع والمتصل. ونحن نقول على كل حال من الأحوال إن الأصل
هو حمل الاستثناء على المتصل إلا في عدم الإمكان فيحمل آنذاك على المنقطع، لأن الاستثناء
لا يصح إلا لوجود علاقة بين المستثنى والمستثنى منه وإن كان منقطعاً، وهنا ظاهر الآية يبيّن لنا

١. تفسير القرطبي، ج ١٨، ص ٤٦٨.
٢. الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٨، ص ٣١٣.
٣. سورة سبأ، آية ٤٧.
٤. أضواء البيان، للشنقيطي، ج ٧، ص ١٢٣.
٥. تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٥٥٩.
٦. تفسير البغوي، ج ٥، ص ٤٩.
٧. تفسير الثعالبي، ج ٥، ص ١٥٧.
٨. الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٧١.
٩. تفسير النسفي، ج ٣، ص ٢٥٢.
١٠. تفسير الكشاف، ج ٥، ص ٤٠٤.

أن الاستثناء فيها متّصل، أو على الأقل كونه أظهر من المنقطع، لكون المودّة من الأجر.

وأما دليل من قال بالمنقطع فهو ما بيّنه الرازي في تفسيره عن امتناع طلب الأجر من قبل

الرسول ﷺ من الله، قائلاً:

طلب الأجر على تبليغ الوحي لا يجوز ويدل عليه وجوه:

الأول: إنه تعالى حكى عن أكثر الأنبياء ﷺ أنهم صرّحوا بنفي طلب الأجرة، فذكر في

قصة نوح ﷺ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^١ وكذا في قصة هود

وصالح، وفي قصة لوط وشعيب ﷺ، ورسولنا أفضل من سائر الأنبياء ﷺ فكان بأن

لا يطلب الأجر على النبوة والرسالة أولى.

الثاني: إنه ﷺ صرح بنفي طلب الأجر في سائر الآيات فقال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهَوَ

لَكُمْ﴾^٢ وقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^٣.

الثالث: العقل يدل عليه وذلك لأن ذلك التبليغ كان واجباً عليه، قال تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^٤ وطلب الأجر على أداء الواجب لا يليق بأقل

الناس فضلاً عن أعلم العلماء.

الرابع: إن النبوة أفضل من الحكمة وقد قال تعالى في صفة الحكمة: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^٥ وقال في صفة الدنيا: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾^٦ فكيف يحسن في العقل

مقابلة أشرف الأشياء بأحسّ الأشياء.

الخامس: إن طلب الأجر كان يوجب التهمة، وذلك ينافي القطع بصحة النبوة، فثبت

بهذه الوجوه أنه لا يجوز من النبي ﷺ أن يطلب أجراً ألبتة على التبليغ والرسالة، وظاهر هذه

١. سورة الشعراء، آية ١٠٩.

٢. سورة سبأ، آية ٤٧.

٣. سورة ص، آية ٨٦.

٤. سورة المائدة، آية ٦٧.

٥. سورة البقرة، آية ٢٦٩.

٦. سورة النساء، آية ٧٧.

الآية يقتضي أنه طلب أجراً على التبليغ والرسالة، وهو المودة في القربى.^١
ولكن مع كل هذا نلاحظ أن الرازي يستنتج في نهاية المطاف بأن ظاهر هذه الآية يقتضي
أن الرسول ﷺ طلب أجراً على التبليغ والرسالة، وهذا الأجر هو المودة في القربى .

أجر الرسالة

نستدل من انضمام هذه الآية الى الروايات الواردة فيها أن الرسول ﷺ جعل أجر رسالته
المودة في القربى، ولاحظنا في الفقرة السابقة أن الرازي أيضاً قد استنتج أن ظاهر القرآن هو
جعل المودة أجراً، وذهب عدد آخر من علماء أهل السنة في تفسيرهم لهذه الآية الى جعل
المودة أجراً، وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة إن الاستثناء في هذه الآية، بموجب ما
جاءت به الروايات، هو استثناء متصل، لذا، يجوز تسمية المودة أجراً بناءً على ذلك، وهذا
نص ما قاله ابن حجر: «ويصح دعوى أنه متصل بخبر الملا في سيرته إن الله جعل أجري عليكم
المودة في القربى وإني سأتلّكم عنهم غداً وحينئذ فتسمية ذلك أجراً مجاز».^٢
وعلى هذا، فنحن نستنتج أن طلب الأجر هو أمر جائز ويحملي الاستثناء على المتصل و
نستدل بأمور وهي:

أولاً: جواز كون المودة أجراً لأسباب هي:

- ظاهر القرآن جعل المودة أجراً.

- تصريح العلماء على ظهور جعل المودة أجراً.

- وجود آيات في القرآن الكريم تدل على وجوب المحبة لله ولرسوله ولأهل بيته
وللمؤمنين والأمر بها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ
وُدًّا﴾^٣ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾^٤، ووجود روايات

١. تفسير الرازي، ج ١٤، ص ١٦٦.

٢. الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٧١.

٣. سورة مريم، آية ٩٦.

٤. سورة آل عمران، آية ٣١.

عديدة في ذلك، وكذلك أقوال علماء التفسير منهم الرّازي في تفسيره حيث يقول:

حصول المودة بين المسلمين أمر واجب قال تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^١ وقال ﷺ: «المؤمنون كالبنين يشد بعضهم بعضاً» والآيات والأخبار في هذا الباب كثيرة وإذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجباً فحصولها في حق أشرف المسلمين وأكابرهم أولى... لا شك أنّ النبي ﷺ كان يحب فاطمة عليها السلام، قال ﷺ: «فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها» وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ أنه كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله ﷺ ﴿وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^٢ ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾^٣ ولقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^٤ ولقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^٥... وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أنّ حبّ آل محمد واجب^٦.

وما ذكره الألويسي في تفسيره روح المعاني إذ يقول:

وكلما كانت جهة القرابة أقوى كان طلب المودة أشدّ، فمودة العلويين الفاطميين الزم من حبة العباسيين على القول بعموم ﴿القربى﴾، وهي على القول بالخصوص قد تنفاوت أيضاً باعتبار تفاوت الجهات والاعتبارات، وأثار تلك المودة التعظيم والاحترام والقيام بأداء الحقوق أتمّ قيام، وقد تهاون كثير من الناس بذلك حتى عدوا من الرفض السلوك في هاتيك المسالك. وأنا أقول قول الشافعي^٧:

١. سورة التوبة، آية ٧١.

٢. سورة الأعراف، آية ١٥٨.

٣. سورة النور، آية ٦٣.

٤. سورة آل عمران، آية ٣١.

٥. سورة الأحزاب، آية ٢١.

٦. تفسير الرازي، ج ١٤، ص ١٦٦.

٧. تفسير الألويسي، ج ٢٥، ص ٤٣.

يا راكباً قف بالمحصب من منى
واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى
فيضاً كما نظم الفرائض
إن كان رفضاً حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي

وقد جعل الرسول ﷺ محبته ومحبة أهل بيته في موازاة محبة الله كما أخرج الترمذي في سننه في باب مناقب أهل البيت بسنده عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي»^١.

وخير قول في محبة آل محمد ﷺ هو ما رواه الزمخشري وكثير من العلماء^٢ في تفسيرهم عن رسول الله ﷺ أنه قال:

من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يُزف إلى الجنة كما تُزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة.^٣

ثانياً: جواز طلب الأجر من جانب الرسول ﷺ من الله ﷻ لأسباب، هي:

- إن طلب الأجر هذا كان بأمر من الله تعالى بسبب كلمة «قل» التي تبدأ بها الآية

الكريمة.

١. سنن الترمذي، ص ٢٠٤١، حديث ٣٧٨٩.

٢. الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٨، ص ٣١٤؛ تفسير الثعالبي، ج ٥، ص ١٥٧؛ البحر المديد، ج ٦، ص ٣٧٣.

٣. الكشف، للزمخشري، ج ٥، ص ٤٠٥.

- وجود آيات في القرآن الكريم تبين لنا أنّ طلب الأجر هو أمر منطقي ومقبول، كقوله تعالى في وجوب الشكر من العباد له سبحانه في مواقع عديدة في القرآن منها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^١.

- وجود روايات عن النبي ﷺ تشير الى أنّه كان يطلب من أمته الدّعاء له بالمقام المحمود عند الله وهو الوسيلة والفضيلة وهي درجة في الجنّة ليس أعلى منها درجة، وأنّ لمن دعا له بذلك استحقاق شفاعته ﷺ في الآخرة، وقد أشار الى ذلك الرازي في تفسيره قائلاً: «إنّ الدعاء لآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدًا وآل محمد»^٢.

ولكن يعتقد البعض أنّه في حالة كون الاستثناء متّصل سوف يكون القصد من الآية هو: لا أسألكم عليه أجرًا إلاّ هذا الأجر وهو أن تحفظوا مودتي لأجل قرابتي منكم، أو يكون: إلاّ أن تودّوني في قرابتي التي بيني وبينكم فتكفوا عني إذاكم وتمنعوني من أذى الناس^٣، وأرادوا بذلك أخذ كلمة القربى بمعنى القرابة، وسوف يكون معنى ذلك أنّ الرسول ﷺ يعتبر كل قريش أقرباءه ويطلب منهم الأجر والمودّة، وهذا القول غير مقبول لأسباب، هي:

- إنّ الرسول ﷺ كان مأموراً من الله ﷻ بالبراءة من المشركين وإن كانوا أقرباءه مثل أبوهب، وهو عمّ النبي ﷺ، نظراً للآية المباركة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^٤، وكذلك قوله تعالى عن نبيه نوح ﷺ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ...﴾^٥، ومن هنا نلاحظ انقطاع كل صلة بين الرسول ﷺ وبين المشركين، ولا مجال لطلب الأجر منهم حينئذ.

١. سورة غافر، آية ٦١.

٢. تفسير الرازي، ج ١٤، ص ١٦٧.

٣. تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٥٥٤؛ تفسير الثعالبي، ج ٥، ص ١٥٧.

٤. سورة المجادلة، آية ٢٢.

٥. سورة هود، آية ٤٥ و ٤٦.

- إنَّ طلب الأجر يكون من الشخص الذي يكون الأمر لديه مقبول، وقريش لم يكونوا آنذاك كلهم مؤيدين للرسالة، فأبي أجر يطلب منهم الرسول ﷺ؟ وعلى أي شيء يعطونه أجرًا؟ لذا يصبح هذا القول غير مقبول عقلياً، وخير القول في ذلك هو ما قاله العلامة الطباطبائي في تفسيره، حيث قال:

إنَّ معنى الأجر إنَّما يتم إذا قوبل به عمل يمتلكه معطي الأجر فيعطي العامل ما يعادل ما امتلكه من مال ونحوه، فسؤال الأجر من قريش وهم كانوا مكذبين له كافرين بدعوته إنَّما كان يصح على تقدير إيمانهم به ﷺ لأنَّهم على تقدير تكذيبه والكفر بدعوته لم يأخذوا منه شيئاً حتى يقابلوه بالأجر، وعلى تقدير الإيثار به - والنسبة أحد الأصول الثلاثة في الدين - لا يتصور بغض حتى تجعل المودة أجراً للرسالة ويسأل. وبالجملة لا تحقق لمعنى الأجر على تقدير كفر المسؤولين ولا تحقق لمعنى البغض على تقدير إيمانهم حتى يسألوا المودة. وهذا الإشكال وارد حتى على تقدير أخذ الاستثناء منقطعاً فإنَّ سؤال الأجر منهم على أي حال إنَّما يتصور على تقدير إيمانهم والاستدراك على الانقطاع إنَّما هو عن الجملة بجميع قيودها.^١

إنَّ الرسول ﷺ لم يطلب المودة لمطلق القريبى، وإنَّما خصَّص بها مجموعة معيَّنة، وقد أشرنا الى ذلك في بداية هذا البحث.

وأما في مقايسة طلب الأجر بين رسولنا الكريم والأنبياء من قبله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، نقول:

- إنَّ عدم طلب الأجر مقابل الرسالة من قبل الأنبياء كان لجعل أمر التبليغ خالصاً لله ﷻ ولتسهيل أمر الناس في قبول الرسالة، وقد جاء هذا المضمون في القرآن في جميع الأنبياء ومن جملتهم رسولنا الكريم ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^٢، ولكن طلب المودة في القريبى من جانب رسولنا الكريم ﷺ والتي ينتج منها

١. تفسير الميزان، ج ١٨، ص ٤٣.

٢. سورة ص، آية ٨٦.

الطاعة لهم والقول بإمامتهم ليس أجراً واقعياً وإنما هو جزء من الرسالة كما أشرنا الى ذلك في بحث الآية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾^١، ولأنّ هذا الدّين هو الدّين الكامل الذي يجب بقاءه واستمراره الى يوم القيامة وأنّه يوجب فيه تعيين من يحفظه الى يوم الدّين، لذلك نرى أنّ الله ﷻ يأمر نبيّه الكريم بطلب المودّة للقريبى من النّاس وأنّ يعتبرها أجراً على تبليغه لكي يرسم لهم الطريق الصحيح والواضح للهداية ويرشدهم الى السير فيه لينالوا رضاه في الدنيا والآخرة.

- إنّ الأجر الذي طلبه الرسول ﷺ يعود نفعه لنفس المسلمين بمقتضى الآية المباركة: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^٢.

- إنّ المودّة المطلوبة من النّاس من قبل الرسول ﷺ هي المودّة الحاصلة عن طريق القربى، لوجود «في» في هذه الآية المباركة، يعني أنّ الله ﷻ جعل للمودّة محلاً وهو القربى، وهذه المودّة التي هي في الأصل الحبّ في الله والله، نراها تتجلى بمودّة القربى، يعني تصبح مودّة القربى هنا وسيلتنا الى الوصول لحبّ الله ﷻ.

وملخص القول هنا هو أنّ امتداد القيادة بعد النّبيّ ﷺ سوف يكون في شكل الإمامة، لا في شكل النبوة، لذا، من أجل استمرار طريق النّبيّ ﷺ واستمرار قيادته يجب الإرتباط بذوي القربى المقصودين في الآية، ومودتهم وقبول قيادتهم وإمامتهم؛ وهذا تصبح المودّة في قربى رسول الله ﷺ استمراراً لخط رسالة وقيادة النّبيّ ﷺ، والتي تعتبر في الحقيقة استمراراً للولاية الإلهية، من ناحية، ووسيلة لقبول إمامة الأئمّة المعصومين عليهم السلام، والتي تعتبر قبول لنبوة النّبيّ ﷺ من ناحية أخرى لأنّ المحبة لها أثر في الاتّباع كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾^٣.

ونتيجة المودّة هو استحقاق شفاعت أهل البيت عليهم السلام، فقد أخرج الطبراني عن أبي ليلى عن

١. سورة المائدة، آية ٦٧.

٢. سورة سبأ آية ٤٧.

٣. سورة آل عمران، آية ٣١.

الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا»^١.
ومن آثار المودة للقربى هي الزيادة في الحسنات كما ذكر أصحاب التفسير ذلك، فقد أخرج الثعلبي في تفسيره: «عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، قال: المودة لآل محمد ﷺ»^٢.

١١. آية الولاية

آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^٣ هي نص في الإمامة وهي صريحة وواضحة الدلالة على إمامة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لما دللت عليه المصادر في أنه كان هو عليه السلام من تصدق بخاتمته في الصلاة، ونحن بدورنا نستعرض هنا مجموعة مما جاء في تلك المصادر.

شأن نزول آية الولاية

لقد أجمع الشيعة والسنة على أن هذه الآية نزلت في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عندما تصدق بخاتمته في الصلاة وهو راكع فقد ذكر كبار علماء الكلام من أهل السنة إجماع مفسريهم على أن هذه الآية نزلت في تصدق الإمام علي عليه السلام بخاتمته في الصلاة، ونذكر النصوص الواردة عن أربعة من كبار هؤلاء العلماء في هذا الموضوع:

الأول: يقول القاضي الإيجي في كتابه المواقف: «وأجمع المفسرون أن المراد علي، وللإجماع على أن غيره غير مراد»^٤.

الثاني: يقول سعد الدين التفتازاني في كتابه شرح المقاصد: «نزلت باتفاق المفسرين في علي

١. المعجم الأوسط، للطبراني، ج ١، ص ٦٠٦.

٢. الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٨، ص ٣١٤.

٣. سورة المائدة، الآية ٥٥.

٤. المواقف، ص ٤٠٥.

ابن أبي طالب رضي الله عنه حين أعطى السائل خاتمه وهو راعٍ في صلاته»^١.

الثالث: يقول القاضي الجرجاني في كتابه شرح المواقف: «أجمع أئمة التفسير على (أنّ المراد) بالذين يقيمون الصلاة الى قوله وهم راعون (علي)، فإنّه كان في الصلاة راعياً فسأله سائل فأعطاه خاتمه فنزلت الآية (وللإجماع على أن غيره) كأبي بكر مثلاً (غير مراد) فتعيّن أنّه المراد»^٢.

الرابع: يقول الفاضل القوشجي في كتابه شرح التجريد: «أجمع المفسرون على أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ نزل في علي عليه السلام لما تصدّق بخاتمه في الصلاة»^٣.
وأما الأحاديث الواردة في شأن نزول هذه الآية في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فهي كثيرة^٤ ونكتفي هنا بذكر بعضها، فقد قال الطبري في تفسيره:

حدّثنا عتبة بن أبي حكيم في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: عليّ بن أبي طالب.

حدّثنا غالب بن عبيد الله قال: سمعت مجاهدًا يقول في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، الآية، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب، تصدّق وهو راعٍ^٥.

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده في التفسير: «عن عقبه بن أبي حكيم، في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: عليّ بن أبي طالب»^٦.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن كثير بسندهما عن سلمة بن كهيل قال: «تصدّق عليّ بخاتمه وهو راعٍ، فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾»^٧.

١. شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٧٠.

٢. شرح المواقف، ج ٤، ص ٣٩١.

٣. شرح التجريد، ص ٣٦٨.

٤. تفسير مقاتل، ج ١، ص ٤٨٥؛ التحرير والتنوير، ج ٦، ص ٢٤٠؛ البحر المديد، ج ٢، ص ١٩٠؛ تفسير البيضاوي،

ج ٢، ص ٣٣٩؛ أسباب نزول القرآن، ص ٣٤٨.

٥. تفسير الطبري، ج ١٠، ص ٤٢٦.

٦. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٤، ص ١١٦٢.

٧. المصدر السابق، ج ٥، ص ١٥؛ تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٦٠٦.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير عن عون بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال:

دخلت على رسول الله ﷺ وهو نائمٌ أو يوحى إليه، وإذا حية في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فأوقظه فاضطجعت بينه وبين الحية فإن كان شيء كان بي دونه فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.....﴾ الآية قال: «الحمد لله» فرآني إلى جانبه فقال: «ما أضجعك ههنا؟ قلت: لكان هذه الحية قال: «قم إليها فاقتلها» فقتلتها فحمد الله ثم أخذ بيدي فقال: «يا أبا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً، حقاً على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه فمن لم يستطع بلسانه فقلبه ليس وراء ذلك شيء»^١.

وأخرج السمرقندي في كتاب بحر العلوم عن ابن عباس قال:

وذلك أن بلالاً لما أذن، وخرج رسول الله ﷺ، والناس في المسجد يصلون بين قائم وراجع وساجد، فإذا هو بمسكين يسأل الناس، فدعاه رسول الله ﷺ وقال: «هَلْ أَعْطَاكَ أَحَدٌ شَيْئاً؟» قال: نعم. قال: «مَاذَا؟» قال: خاتم فضة. قال: «وَمَنْ أَعْطَاكَ؟». قال: ذلك المصلي. قال: «فِي أَيِّ حَالٍ أَعْطَاكَ؟» قال: أعطاني وهو راجع. فنظر، فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقرأ رسول الله ﷺ على «عبد الله بن سلام» ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ يعني: يتصدقون في حال ركوعهم حيث أشار بخاتمه إلى المسكين حتى نزع من أصبعه وهو في ركوعه.^٢

وأخرج البغوي في التفسير عن السدي أنه قال: «قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أراد به: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرّ به سائل وهو راجع في المسجد فأعطاه خاتمه»^٣.

١. المعجم الكبير للطبراني، ج ١، ص ٢٥٢.

٢. بحر العلوم، ج ١، ص ٤٠٠.

٣. تفسير البغوي، ج ٢، ص ١٦٢.

وأخرج الثعلبي في التفسير كالتالي:

قال ابن عباس، وقال السدي، وعتبة بن حكيم، وثابت بن عبد الله: إنهما يعني بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ علي بن أبي طالب عليه السلام مرّبه سائل وهو راعع في المسجد وأعطاه خاتمه.^١

وأخرج الحسكاني في شواهد التنزيل عن ابن عباس قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.^٢

وقال الألوسي في التفسير: «والآية عند معظم المحدثين نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه».^٣

ويقول السيوطي في الدر المنثور:

وأخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتمه وهو راعع، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للسائل: «من أعطاك هذا الخاتم»؟ قال: ذاك الراعع، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾.^٤

المراد من «إنهما» في الآية

«إنهما» تدل على الحصر كما ذكرنا ذلك في آية التطهير، ولم ينكر هذا القول أحد من علماء السنة. وهذا الحصر ووجود أنواع التقييد في الآية مثل إعطاء الزكاة وإقامة الصلاة وحالة الركوع وغيرها، يؤيد لنا أن المراد من الولي لا يمكن أن يكون النصرة أو المحبة لأن الله سبحانه لا يخصّص المحبة ويحصرها من بعده ورسوله بشخص معين أو شيء معين، لأن اقتضاء المحبة هو التعدد.

١. الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٤، ص ٨٠.

٢. شواهد التنزيل، للحسكاني، ج ١، ص ٢٠٩.

٣. تفسير الألوسي، ج ٦، ص ٤٩٥.

٤. الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٥٩.

يقول السعدي في التفسير في كلمة «إنّا»: «فأداة الحصر في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ تدلّ على أنّه يجب قصر الولاية على المذكورين والتبري من ولاية غيرهم»^١.

ويقول الفتازاني في شرح المقاصد في كلمة «إنّا»: «وكلمة «إنّا» للحصر بشهادة النقل والاستعمال»^٢.

معنى كلمة «وليّ» في الآية

كلمة الولاية المأخوذة من «وليكم» في هذه الآية لها معاني كثيرة كما بيّن ذلك علماء اللغة، فبعض هذه المعاني يشير بشكل مباشر إلى معنى القيام بالأمر والأحقية والألوية بالأمر التي يشير إليها الشيعة، وبعضها يدلّ في المضمون على هذا المعنى؛ ونلقي نظرة هنا على ما جاء في كتب اللغة من هذه المعاني:

يقول الخليل بن أحمد في معنى كلمة «وليّ» في كتاب العين: «وكلّ من وليّ من قومٍ أمراً فهو راعِيهم والقوم رَعِيَّتُهُ»^٣.

ويقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: «وكلّ من وليّ أمرٍ آخر فهو وليُّه. وفلانٌ أولى بكذا، أي أحرى به وأجدر»^٤.

ويقول الفيروزآبادي في كتاب القاموس المحيط:

وَالْوَلِيُّ: الْأَسْمُ مِنْهُ وَالْمُحِبُّ وَالصَّدِيقُ وَالنَّصِيرُ. وَوَلِيَ الشَّيْءَ عَلَيْهِ وَوَلَايَةٌ وَوَلَايَةٌ أَوْ هِيَ الْمَصْدَرُ وَبِالْكَسْرِ: الْخُطَّةُ وَالْإِمَارَةُ وَالسُّلْطَانُ. وَأَوْلَيْتُهُ الْأَمْرَ: وَوَلَيْتُهُ إِيَّاهُ. وَالْوَلَاءُ: الْمِلْكُ وَالْمَوْلَى: الْمَالِكُ وَالْعَبْدُ وَالْمُعْتَقُ وَالْمُعْتَقُ وَالصَّاحِبُ وَالْقَرِيبُ، كَابْنِ الْعَمِّ وَنَحْوِهِ وَالْجَارُ وَالْحَلِيفُ وَالْإِبْنُ وَالْعَمُّ وَالنَّزِيلُ وَالشَّرِيكُ وَابْنُ الْأُخْتِ وَالْوَلِيُّ وَالرَّبُّ وَالنَّاصِرُ وَالْمُنْعَمُ وَالْمُنْعَمُ عَلَيْهِ وَالْمُحِبُّ وَالتَّابِعُ وَالصَّهْرُ. وَفِيهِ مَوْلَوِيَّةٌ أَيْ: يُشْبَهُ الْمَوْلَى. وَهُوَ يَتَمَوَّى: يَتَشَبَّهُ

١. تفسير السعدي، ج ١، ص ٤٨٥.

٢. شرح المقاصد، ج ٥، ص ٢٧٠.

٣. كتاب العين، ج ٢، ص ٢٤٠.

٤. معجم مقاييس اللغة، ص ١١٠٤.

بلسادة. وتَوْلَاهُ: اتَّخَذَهُ وَلِيًّا وَالْأَمْرَ: تَقَلَّدَهُ. وَإِنَّ لَبِيئُ الْوَلَاءِ وَالْوَلِيَّةِ وَالْوَلِيَّ وَالْوَلَاءِ وَالْوَلَايَةَ وَيُبْكَسَرُ^١.

ويقول ابن منظور الأفريقي في لسان العرب:

وهو اسم يقع على جماعة كثيرة فهو: الرَّبُّ وَالْمَالِكُ وَالسَّيِّدُ وَالْمُنْعِمُ وَالْمُعْتَقُ وَالنَّاصِرُ وَالْمُحِبُّ وَالتَّابِعُ وَالجَارُ وَابْنُ الْعَمِّ وَالْحَلِيفُ وَالْعَقِيدُ وَالصَّهْرُ وَالْعَبْدُ وَالْمُعْتَقُ وَالْمُنْعَمُ عليه، قال: وأكثرها قد جاءت في الحديث فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكلُّ من وَلِيَ أَمْرًا أَوْ قَامَ بِهِ فَهُوَ مَوْلَاهُ وَوَلِيُّهُ،... وَالْوَلَايَةُ بِالْكَسْرِ فِي الْإِمَارَةِ... وَالمُوَالَاةُ مِنَ وَالى الْقَوْمِ، قال ابن الأثير: وقوله: «من كنت مَوْلَاهُ فعليُّ مَوْلَاهُ»، يحمل على أكثر الأسماء المذكورة. وقال الشافعي: يعني بذلك ولاء الإسلام كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ قال: وقول عمر لعلي، رضي الله تعالى عنهما: أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَيِ وَلِيٍّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَقِيلَ: سبب ذلك أَنَّ أُسَامَةَ قَالَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْتَ مَوْلَايَ إِنَّمَا مَوْلَايَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فقال ﷺ: «من كنت مَوْلَاهُ فعليُّ مَوْلَاهُ»؛ وكلُّ من وَلِيَ أَمْرًا وَاحِدٍ فَهُوَ وَلِيُّهُ.^٢

وبها أنَّ الولاية المطلقة لله ﷻ وهو المتصرّف في شؤون عباده، فالوليّ هنا استناداً إلى المعاني الواردة لكلمة «وليّ» يكون هو من يتولّى أمور الناس، ولا يمكن أن يكون بمعنى المحبّ أو غيره من المعاني الأخرى، لأنّ هذا لا يستقيم لله ﷻ بسبب العطف الموجود في الآية، فالمعنى من الوليّ هنا إذن هو المتصرّف في شؤون الغير، وهي الإمامة والخلافة المطلقة، فتكون ثابتة في الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون، وبها أنّ الآية نزلت في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام باتفاق أهل السنة والشيعة، لذا يكون هو الوليّ المقصود فيها من بعد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولو ألقينا نظرة على أقوال بعض علماء أهل السنة مثل الفضل بن روزهان حيث يقول إنّ

١. القاموس المحيط، ج ٤، ص ٤٦٤.

٢. لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٠٣.

معنى الولاية هنا هي النَّصرة، فعلى رغم أن معنى النَّصرة هو أحد معاني الولاية كما أشرنا في بداية البحث في كتب اللغة، لكن الروايات والنصوص الواردة تنفي أن تكون الولاية هي النَّصرة، فقد جاء في جملة من الاحاديث الواردة حول هذه الآية أن الرسول ﷺ أراد أن يكون لعلي مقاماً أعلا من ذلك، مثلاً أن يكون وزيراً له، وقد أخرج الثعلبي روايةً حول هذا المعنى في تفسيره بسنده عن عبادة بن الربيعي قال:

بيننا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم إذ أقبل رجل متعمّم بالعمامة فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله، إلّا قال الرجل: قال رسول الله؟ فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه، وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جُنْدُب بن جنادة البصري، أبو ذرّ الغفاري: سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلّا صمّتا ورأيت بهاتين وإلّا فعميتا، يقول: عليّ قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره مخذول من خذله، أما إنّي صليت مع رسول الله يوماً من الأيام صلاة الظهر فدخل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرجع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنّي سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّ راکعاً فأومأ إليه بخصره اليمنى وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خصره وذلك بعين النبي ﷺ، فلما فرغ النبي ﷺ من الصلاة فرجع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إنّ أخي موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي * يَقْفَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي *﴾ الآية، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وََجَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا﴾ اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشد به ظهري». قال أبو ذر: فوالله ما استتم رسول الله الكلمة حتى أنزل عليه جبرئيل من عند الله، فقال: يا محمد اقرأ، فقال: «وما أقرأ؟» قال: اقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، إلى ﴿رَاكِعُونَ﴾^١

١. الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٤، ص ٨٠.

ونلاحظ أنه لم يناقش في صحة انطباق هذه الآية على هذه الروايات الواردة في شأن نزولها فحول الأدب من المفسرين كالزنجشيري في الكشف، وأبي حيان في تفسيره، ولا الرواة النقلة وهم أهل اللسان.

دلالة لفظ «الذين» في الآية

أما القول في لفظ «الذين» وهو لفظ للجماعة وأنه لا يمكن أن يصدق لرجل واحد وهو الإمام علي عليه السلام وأنه قد أجمع المسلمون على أن الخلافة والإمامة لا تتعقد الا لشخص واحد في وقت واحد، يعني لا يجوز أن يكون هناك إمامان في وقت واحد لاستلزامه الفساد، فهو قول مردود، وقد وضّحه الزنجشيري في تفسيره قائلاً:

فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعلي عليه السلام واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبّه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرّ والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها.^١

ومما يؤيد كون لفظ «الذين» لشخص واحد وهو الإمام علي عليه السلام، مجيء آيات كثيرة في القرآن الكريم بلفظ الجمع وإرادة المفرد منها، وكذلك مجيء آيات أخرى قد نزلت في شأن شخص واحد مثل ذكر لفظ «نساءنا وأنفسنا»^٢ في آية المباهلة ولكن بلفظ الجمع. وإرادة المفرد من هذا اللفظ هو ما تشير إليه التفاسير والروايات بأن المقصود من نساءنا هي فاطمة الزهراء عليها السلام، ولفظ أنفسنا يتشكل من قسمين: الأول: «أنفس» والمقصود منه هو علي عليه السلام والثاني ضمير «نا» والمقصود منه هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكل منهما شخص واحد.

وقد جاء في هذا المعنى أيضاً في شأن نزول الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ

١. تفسير الكشف، ج ٢، ص ٢٥٩؛ تفسير البضاوي، ج ٢، ص ٣٣٩.

٢. سورة المائدة، آية ٥٥.

قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^١ في كتب التفاسير، في تفسير الكشاف والكشف والبيان للثعلبي والوسيط لسيد طنطاوي وتفسير الألوسي وتفسير البغوي وتفسير الثعالبي وتفسير الرازي وغيرها من الكتب أن المراد من النَّاس في «قال لهم النَّاس» هو شخص واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعي، ونكتفي بذكر قول واحد من هذه الاقوال كنموذج، وهو ما قاله الشنقيطي بسنده في أضواء البيان:

قال جماعة من العلماء: المراد... نعيم بن مسعود الأشجعي، ... ويدل لهذا توحيد المشار إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ﴾^٢ قال صاحب الإقتان^٣، قال الفارسي: ومما يقوي أن المراد به واحد قوله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ﴾ فوقعت الإشارة بقوله: ذلكم إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى جمعاً لقال: إِنَّمَا أَوْلَتْكُمْ الشَّيْطَانَ، فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ.^٤

وكذلك ماجاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾^٥ أن القائل فيها حسب ما فسرهُ ووافق عليه علماء أهل السنة هو عبد الله بن أبي؛ وعلى هذا فقد وافق علماء أهل السنة بأن يكون لفظ «يقولون» في هذه الآية للمفرد ولكنهم رفضوا أن يكون لفظ «الذين» في آية الولاية للمفرد أيضاً، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذه الآية واقعة بين الآيات التي يدعي علماء أهل السنة أمتها في نفس سياق آية الولاية، وهذا من أعجب العجب أنهم يرفعون تارة راية تطبيق السياق في آيات نساء النبي ﷺ مع آية التطهير^٦ ويرفضونه تارة أخرى في آية الولاية مع ما قبلها من الآيات!

وهكذا نشاهد وجود هذا المعنى في كثير من الآيات الأخرى وبالأخص الآيات التي جاء

١. سورة آل عمران، آية ١٧٣.

٢. سورة آل عمران، آية ١٧٥.

٣. الدر المشور، ج ١٢، ص ٦٤٢.

٤. أضواء البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٣٤.

٥. سورة المائدة، آية ٥٢.

٦. سورة الاحزاب، آية ٣٣.

فيها لفظ «الَّذِينَ آمَنُوا»، ولمن اراد المزيد عليه مراجعة التفاسير في ذلك، ونحن نكتفي هنا بذكر ما بيّنه لنا الطبري بوضوح في تفسيره للآية ١٩٩ من سورة البقرة في انطباق كلمة «الناس» في هذه الآية على إبراهيم عليه السلام إذ يقول:

فإن قال لنا قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه: «والناس» جماعة «وإبراهيم عليه السلام» واحد، والله تعالى ذكره يقول: «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ؟» قيل: إن العرب تفعل ذلك كثيراً، فتدل بذكر الجماعة على الواحد. ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» والذي قال ذلك واحد، وهو فيما تظاهرت به الرواية من أهل السير «نعيم بن مسعود الأشجعي»، ومنه قول الله عزّ وجلّ: «بِأَيِّهَا الرُّسُلُ كَلَّمَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا»^١ قيل: عنى بذلك النبي صلى الله عليه وآله ونظائر ذلك في كلام العرب أكثر من أن تحصى.^٢

نوع الصلاة التي قام بها الإمام علي عليه السلام

تبين لنا الرواية المنقولة في المعجم الأوسط نوع الصلاة التي قام بها الإمام علي عليه السلام بأتمها كانت صلاة تطوّع، فقد أخرج الطبراني بسنده عن الحسن بن زيد عن أبيه زيد بن الحسن عن جده قال:

سمعت عمّار بن ياسر يقول وقف على عليّ بن أبي طالب سائل وهو راکع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعلمه ذلك فنزلت على النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».^٣

ويذكر السيوطي في الدرّ المنثور رواية تبين أن نزول هذه الآية كان قبل أذان الظهر مما

١. سورة المؤمنون، آية ٥١.

٢. تفسير الطبري، ج ٤، ص ١٩١.

٣. الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٦١؛ المعجم الأوسط، للطبراني، ج ٤، ص ٣٥٧.

يؤيد لنا أن هذه الصلاة لم تكن صلاة فريضة، فقد أخرج بسنده عن ابن عباس أنه قال: أتى عبد الله بن سلام ورهط معه من أهل الكتاب نبي الله ﷺ عند الظهر، فقالوا: ...، فيبيناهم يشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ، إذ نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ونودي بالصلاة صلاة الظهر، وخرج رسول الله ﷺ فقال: «أعطاك أحد شيئاً؟» قال: نعم. قال: «من؟» قال: ذاك الرجل القائم. قال: «على أي حال أعطاك؟» قال: وهو راكع. قال: «وذلك علي بن أبي طالب»، فكبر رسول الله ﷺ عند ذلك وهو يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^١.

وأضاف الألوسي إلى هذا الحديث قول حسان بن ثابت في الإمام علي عليه السلام إذ قال:

فكبر النبي ﷺ ثم تلا هذه الآية، فأنشأ حسان رضي الله تعالى عنه يقول:^٢
 أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكل بطيء في الهدى ومسارع
 أيذهب مدحيك المحبر ضائعاً و ما المدح في جنب الإله بضائع
 فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً زكاة فدتك النفس يا خير راكع

ونظراً لما جاء في الروايات الأخرى من ألفاظ، «الناس ما بين ساجد وراكع وقائم»، أو «بلال يؤذن»، أو ما دلّت عليه بعض الروايات في نزول هذه الآية على النبي ﷺ وهو في بيته، أو ما ذكره السيوطي من نزول هذه الآية وكان جمع من المسلمين مثل عبد الله بن سلام عند رسول الله ﷺ إذ يخرج الرسول ﷺ آنذاك ويسأل من السائل، هل أعطاك أحد شيئاً ومن الذي أعطاك؟ ولم يكن للرسول ﷺ إن كانت الصلاة واجبة أن يتخلف عنها، وكذلك ما نستنبطه من استطاعة السؤال للسائل الذي لا يمكن أن يكون في الصلاة لأن المسلمين كانوا دائماً يصلون الجماعة خلف رسول الله ﷺ وفي ذلك يتعذر السؤال منهم، أن هذه الصلاة لم تكن صلاة فريضة وأنها كانت صلاة تطوع.

١. سورة المائدة، آية ٥٦.

٢. تفسير الألوسي، ج ٦، ص ٤٧١.

التفات الإمام علي عليه السلام في الصلاة

وفي جواب من قال كيف لعلي بن أبي طالب عليه السلام أن ينصرف لأمر دنيوية في الصلاة وكان معروف عنه أنه دائماً منشغلاً في الله ﷻ وبالأخص في الصلاة، نقول: إن هذا الالتفات لم يكن من أمير المؤمنين عليه السلام إلى أمر دنيوي، وإنما كان عبادة في ضمن عبادة، وتصديق الإمام بالخاتم كان إيتاء للزكاة، والزكاة هي واحدة من العبادات سواء أكانت واجبة كانت أم مستحبة؛ وقد أجاب على هذه الشبهة ابن الجوزي (وهو جد سبط بن الجوزي) بشعر ذكره الألويسي في تفسيره قائلاً:

وبلغني أنه قيل لابن الجوزي رحمه الله تعالى: كيف تصدق علي كرم الله تعالى وجهه بالخاتم وهو في الصلاة والظن فيه، بل العلم الجازم أن له كرم الله تعالى وجهه شغلاً شاغلاً فيها عن الالتفات إلى ما لا يتعلق بها، وقد حكى مما يؤيد ذلك كثير؟ فأنشأ يقول^١:

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ولا يلهو عن الناس
أطاعه سكره حتى تمكن من فعل الصحة فهذا واحد الناس

ويقصد هو بذلك أن الإمام علي عليه السلام كان دائماً غارقاً في الله في كل لحظة من وجوده، وأنه كان في نفس الوقت لا يغفل ولا لحظة واحدة عما يدور حوله فيما يتعلق برضى الله ﷻ. بالإضافة إلى استنتاجنا هذا في نوع تلك الصلاة، فإن الشواهد من الروايات تدل على أنها كانت صلاة تطوع ولم تكن صلاة فريضة.

وحتى لو كانت هذه الصلاة صلاة فريضة فإن هذه الآية تدل أيضاً على أن العمل القليل في الصلاة لا يقطع الصلاة، وقد أشار الزمخشري إلى ذلك في تفسيره قائلاً: «إمّا نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه، كأنه كان مرجأً في خنصره، فلم يتكلف لخلعه كثير عما تفسد بمثله صلاته»^٢.

١. تفسير الألويسي، ج ٦، ص ٤٧٤.

٢. الكشاف، للزمخشري، ج ٢، ص ٢٥٨.

وأيضاً قال الخازن في تفسيره بأن العمل القليل في الصلاة لا يفسدها مستنداً إلى العمل الذي قام به عليٌّ عليه السلام في الصلاة: «قال السدي: مرّ بعلي سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه، فعلى هذا قال العلماء: العمل القليل في الصلاة لا يفسدها»^١.

احتجاج الإمام علي عليه السلام بهذه الآية

ويوجد هناك من يعترض ويقول: لماذا لم يحتج الإمام علي عليه السلام بهذه الآية على أحقيته بالإمامة؟ بينما استند إلى شرعية خلافته حينما أراد أخذ البيعة من معاوية وهو ممتنع عنها، بما حدث للخلفاء قبله من مبايعة الناس لهم ومبايعة الناس له عليه السلام، كما جاء في الكتاب رقم ٦ في نهج البلاغة عنه عليه السلام قائلاً:

إنه يابيعني القوم الذين يابيعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما يابيعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى.^٢

فالجواب عن هذا الاعتراض، هو أنّ استناده هنا في أخذ البيعة، بما حدث للخلفاء قبله، كان بناءً على قاعدة «الزموهم بما التزموا» لاستدعاء المقام لذلك، وأيضاً إن لم يحتج الإمام علي عليه السلام بهذه الآية فهذا ليس دليل على عدم دلالة الآية على إمامته، فالإمام عليه السلام لم يكن ملزماً لا عقلياً ولا شرعياً بالاحتجاج، وبكفي ما احتج به في حديث الغدير لإتمام الحجّة على الناس.

ولكن وعلى الرغم من هذا كلّهُ فإننا نجد أنّ الإمام علي عليه السلام قد استشهد بها في يوم الشورى قائلاً^٣:

فأنشدكم الله أتعلمون حيث نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ

١. تفسير الخازن، ج ٢، ص ٥٦.

٢. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٣٥.

٣. ينابيع المودة، الباب الثامن والثلاثون، ج ١، ص ٣٤٢.

أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ^١ وحيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^٢.

والآن وفي ختام المطاف في بحث الإمامة، نتطرق إلى الموضوع الذي يثير دائماً البحث والجدل بين طوائف المسلمين، وهو:

سكوت الإمام علي عليه السلام عن حقه

إنَّ الجميع يعلمون بأنَّ الإمام علي عليه السلام كان سالكاً في طريق مرضاة الله، وكان أحرص النَّاسِ على حفظ الدين وإبقاء شريعة النَّبِيِّ ﷺ، ونعلم أيضاً أنَّ الإسلام كان في ذلك الوقت حديث عهد ولم ينفذ إلى قلوب بعض المسلمين بعد، بل كانوا مسلمين باللسان فقط ومن السهل ارتدادهم، فخاف هو بدوره عليه السلام آنذاك على الإسلام من الصَّياع ورجوع النَّاسِ إلى الجاهليَّة، واختار عليه السلام السَّكوت عن حقه في الخلافة بعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ مباشرة لهذا السَّبب، وقد بيَّن سبب سكوته هذا للنَّاسِ في مناشدته يوم الشورى التي أقامها عمر والتي سنوردها لاحقاً؛ والشَّاهد على ذلك أنَّنا نراه عندما طلب منه أبو سفيان بعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ وقبل دفن جسده الشريف أن يقوم بالسيف لأخذ حقه وأوعده أن يحميه، لم يوافق هو عليه السلام على ذلك لعلمه بسوء نيَّة القوم وقلَّة النَّاصر والموالي، فبادر حينئذٍ بنصيحتهم بدل متابعتهم وفضَّل السَّكوت على القيام بالسَّيف من أجل حقن دماء المسلمين؛ وقد جاء ردّه على طلب أبي سفيان ذلك في الخطبة رقم ٥ من نهج البلاغة، حيث قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ وَعَرَّجُوا عَن طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَصَعُوا تَيْجَانَ الْمَفَاخِرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بَجَنَاحٍ أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ، مَاءً آجِنٌ وَلُقْمَةً يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا، وَمُجْتَنِي النَّمْرَةَ لِعَيْرٍ وَقَتٍ إِنْبَاعِهَا كَالزَّرَاعِ بَعِيرٍ أَرْضِهِ.

فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا: حَرَّصَ عَلَى الْمَلِكِ وَإِنْ أَسْكُتُ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتِيَا

١. سورة النساء، آية ٥٩.

٢. سورة المائدة، آية ٥٥.

وَالَّتِي! وَالله لَابن أَبِي طَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِبَدْيِ أُمِّهِ بَلِ اِنْدَجَتْ عَلَيَّ مَكْنُونٍ
عَلِمَ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِأَضْطَرَبْتُكُمْ اضْطَرَابَ الْأَرُشِيِّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ.^١

ولكنه عليه السلام لم يسكت بشكل مطلق عن سلب حقه وكان يتنهم كل فرصة ما دام ذلك لم يكن يضر بمصلحة المسلمين، فقد ثبت في المصادر المختلفة وجود مناشدات متعددة للإمام علي عليه السلام تبين أنه ذكر الناس بأحقية بالخلافة، منها مناشدته بعد وفاة عمر في يوم الشورى التي عينها عمر للخلافة، وهذه المناشدة المذكورة في خطبة له عليه السلام في نهج البلاغة رقمها ٧٣ إذ يقول فيها عليه السلام:

أنشدكم الله، أفيكم أحد أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري؟! فقالوا: لا، فقال: «أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فهذا مولاه غيري؟! فقالوا: لا، فقال: «أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غيري؟! قالوا: لا، قال: «أفيكم من أؤمن على سورة براءة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني غيري؟! قالوا: لا، قال: «ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فروا عنه في ماقط الحرب في غير موطن وما فررت قط؟! قالوا: بلى، قال: «ألا تعلمون أي أول الناس إسلاماً؟! قالوا: بلى، قال: «فأينا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسباً؟ قالوا: أنت. قطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه وقال: يا علي قد أبى الناس إلا على عثمان فلا تجعل على نفسك سبيلاً، ثم قال: يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر؟ قال: أن أقتل من شق عصا الجماعة، فقال عبد الرحمن لعلي: بايع إذن وإلا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين وأنفذنا فيك ما أمرنا به فقال: «لقد علمتم أي أحق بها من غيري والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه».^٢

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢١٣.

٢. المصدر السابق، ج ٦، ص ١٦٧.

ويعلق ابن أبي الحديد على هذه الخطبة قائلاً:

يقول لأهل الشورى: «إنكم تعلمون أنني أحقّ بالخلافة من غيري وتعطلون عني»، ثم أقسم ليسلمنّ وليركنّ المخالفة لهم إذا كان في تسليمه ونزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين ولم يكن الجور والحيف إلا عليه خاصة... وكفّ يده حراسة للإسلام من الفتنة.^١

وأخرج ابن عساكر تفاصيل هذه المناشدة في يوم الشورى التي عيّنها عمر، في كتاب تاريخ دمشق بسنده عن أبي الطفيل قال:

كنت واقفاً على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت علياً يقول: «بايع الناس لأبي بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقّ منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم بايع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحقّ منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذا أسمع وأطيع، وإنّ عمر جعلني في خمسة نفرٍ أنا سادسهم لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي كلنا فيه شرع سواء وأيم الله لو أشاء أن أتكلم ثم لا يستطيع عربيهم ولا عجميهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك أن يردّ خصلةً منها لفعلت»، ثم قال: «نشدتكم بالله أيها النفر جميعاً أفيكم أحد أخى رسول الله ﷺ غيري؟!»، قالوا: اللهم لا، ثم قال: «نشدتكم بالله أيها النفر جميعاً، أفيكم أحد له عم مثل عمي حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء؟!»، قالوا: اللهم لا، فقال: «أفيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر ذو الجناحين الموشى بالجوهر يطير بهما في الجنة حيث يشاء؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أفيكم أحد له مثل سبطي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أفيكم أحد له مثل زوجي فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أفيكم أحد كان أقتل لمشركي قريش عند كل شديدة تنزل برسول الله مني؟!»، قالوا: اللهم لا، قال:

١. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٦٧.

«أفيكم أحد كان أعظم غناء عن رسول الله ﷺ حين اضطجعت على فراشه ووقته بنفسي وبذلت له مهجة دمي؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أفيكم أحد كان يأخذ الخمس غيري وغير فاطمة؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر وسهم في الغائب؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أكان فيكم أحد مطهر في كتاب الله غيري حين سدّ النبي ﷺ أبواب المهاجرين وفتح بابي فقام إليه عمه حمزة والعباس فقالا: يا رسول الله سدّدت أبوابنا وفتح باب عليّ فقال رسول الله ﷺ: ما أنا فتحت بابيه ولا سدّدت أبوابكم، بل الله فتح بابيه وسدّ أبوابكم؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أفيكم أحد تمم الله نوره من السماء غيري حين قال ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أفيكم أحد ناجاه رسول الله ﷺ ثنتي عشرة مرة غيري حين قال الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَةً﴾؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أفيكم أحد تولى غمض رسول الله ﷺ غيري؟!»، قالوا: اللهم لا، قال: «أفيكم أحد اخر عهد برسول الله ﷺ حتى وضعه في حفرة غيري؟!»، قالوا: اللهم لا.^١

وأخرج ابن عساكر في مكان آخر في نهاية الحديث أنه عليه السلام قال: «وقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾».^٢

وهناك مناشدة^٣ أخرى يذكرها القندوزي في ينابيع المودة لذوي القربى في زمان خلافة عثمان، نقلاً عن الجويني في فرائد السمطين بسنده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي عليه السلام أنه قال:

فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يعلمهم ولاة أمرهم وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحبهم، فنصّبتني للناس بغدير خم ثم خطب وقال: أيها الناس إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذبي فأوعدني لأبلغها أو

١. تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٤٣٤.

٢. المصدر السابق، ص ٤٣٣.

٣. جاء نصّ هذه المناشدة في هذا الكتاب.

ليعذبني!! ثم أمر فوندي بالصلاة جامعة ثم خطب فقال: أيها الناس اتعلمون أن الله ﷻ مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: قم يا علي. فقامت فقال: من كنت مولاه فعلي هذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فقام سلمان فقال: يا رسول الله ولاء كماذا؟ فقال: ولاء كولايتي من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه. فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَآمَنْتُمْ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^١ فكبر النبي ﷺ قال: الله اكبر تمام نبوتي وتمام دين الله ولاية علي بعددي.^٢

ونقرأ في نهج البلاغة أنه ﷺ بين احتجاجه على غضب حقه وبين أيضاً فيها سبب سكوته عن حقه، في مواطن متعددة، في مسيره الى البصرة وفي كتابه لأهل مصر، الذي بعثه مع مالك الأشر، وكذلك في خطبة له بعد مقتل محمد بن أبي بكر وفي خطبته المعروفة بالشفقية. وقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي خطبة للإمام ﷺ لما أراد المسير الى البصرة، عن الكلبي أنه ﷺ قام فخطب وقال:

إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثو عهد بالإسلام والدين يمحض محض الوطب يفسده أدنى وهن ويعكسه أقل خلف، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ثم انتقلوا إلى دار الجزاء والله ولي تمحيص سيئاتهم والعضو عن هفواتهم.^٣

وأما كتابه ﷺ الذي أرسله مع مالك الأشر لأهل مصر فقد جاء فيه:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَمُهَيِّمًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ فَلَمَّا مَضَى تَنَارَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَوَ اللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنْ الْعَرَبَ

١. سورة المائدة، آية ٣.

٢. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣١٢؛ ينابيع المودة، الباب الثامن والثلاثون، ج ١، ص ٣٤٢.

٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٠٨.

تُزْعَجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنْتُمْ مُنَحُوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ فَمَا رَاعِنِي إِلَّا
إِنْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فَلَانٍ يَبَايَعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ بِيَدِي يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ
رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَحَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ
أَرَى فِيهِ نَلْمًا أَوْ هَدْمًا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَغْظَمَ مِنْ فَوْتٍ وَلَا يَتَكَمُّ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ
فَلَا تَلْ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ وَأَوْ كَمَا يَتَّقَشُّعُ السَّحَابُ.^١

وجاء في خطبته المعروفة بالمشقشمية: «أما والله لقد تَقَمَّصَهَا ابن أبي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي
مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى».^٢

وكذلك نقل ابن أبي الحديد المعتزلي خطبة للإمام في أول أيام خلافته في المدينة المنورة،
عن أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن عبد الله بن جنادة عنه عليه السلام قال:

لما قبض الله نبيه ﷺ قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا سلطانه
أحد ولا يطمع في حقنا طامع إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة
غيرنا وصرنا سوقة يطعم فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل.. وأيم الله لولا مخافة
الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه.^٣

وكذلك مناشدته التي ثبتت له بحديث الغدير في زمان خلافته والتي سبق وأن ذكرناها
في مكانها، حتى ولو افترضنا أنها كانت المناشدة الوحيدة، فهي كانت تكفي لإيقاض الضمائر
الحية، لأن قول الرسول ﷺ بأن علياً عليه السلام ولي كل مؤمن ومؤمنة بعده، كان على نحو الإطلاق،
ولم يكن يتعلق بزمن معين حتى يوجب على الإمام علي عليه السلام أن يناشد بحقه في زمن معين.

وإنما جاءت هذه المناشدة للإمام علي عليه السلام بحديث الغدير متأخرة وفي أيام خلافته بسبب
بعد الناس عن زمان الرسول ﷺ واحتمال نسيانهم لأقوال وسنة النبي ﷺ، لذا أراد الإمام
علي عليه السلام بذلك أن يُذكّرهم بما كانوا قد نسوا، وبما أن حديث الغدير كان قد صدر من

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الكتاب رقم ٦٢، ج ١٧، ص ١٥١.

٢. المصدر السابق، ج ١، ص ١٥١.

٣. المصدر السابق، ص ٣٠٧.

الرَّسُولَ ﷺ قبل حدود ثمانين يوم من وفاته، واحتمال نسيان الصحابة لهذا الحديث ضعيف جداً آنذاك، فإنه ﷺ لم يكن يرى ضرورةً للمناشدة بعد وفاة النبي ﷺ مباشرةً لقربهم من زمان حياته حيث كان بعض الصحابة يحفظون كل القرآن وكذلك يحفظون أعداداً هائلةً من الأحاديث أيضاً، فكيف كانوا ينسون إذن حديث لم يكن يصدر إلا قبل زمن قليلٍ وأيام معدودةٍ؟! لذا فعدم عملهم بالحديث بعد وفاة النبي ﷺ يكون دالاً على عدم خضوعهم لوصيته وعدم عملهم بسنته الشريفة ولا تأثير للمناشدة فيهم حينئذٍ، فأخرها هو ﷺ لوقتها المناسب.

ومناشدة الإمام ﷺ بالإضافة إلى أنها كانت بمثابة إلقاء الحجّة على الأمة فهي تنصبّ في مصلحة الأمة في أي وقت كانت قد وقعت، فالإمام هو من يؤتّى إليه ولا يأتي، يعني أنّ الأمة هي المكلفة بأن تتجه نحو الإمام وتآتم به لأنّه بمثابة الحياة لها، والأمة بدون إمام كالجسد بلا روح. وفي النهاية نقول إنّ الإمام ﷺ ناشد القوم، سواء كانت روايات موجودة في ذلك أم لم تكن.

أما اعتزال الإمام علي ﷺ عن الأمة في قضية السقيفة وامتناعه عن البيعة لأبي بكر، وكذلك تحصّنه في بيته، ومن ثم إجباره على البيعة حسب ما روته كتب أهل السنة، فهو خير دليل على عدم سكوته ووقوفه في وجه الظلم وإبراز حقّه، وفي ذلك أخرج البيهقي في السنن الكبرى: «قَالَ مَعْمَرٌ قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: كَمْ مَكَثَتْ فَاطِمَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ لِلزُّهْرِيِّ: فَلَمْ يُبَايِعْهُ عَلِيٌّ ﷺ حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ ؓ، قَالَ: وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^١.

وجاء في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري: «فلم يبايع عليّ كرم الله وجهه حتى

ماتت فاطمة ؓ»^٢.

وفي رواية رواها البخاري في الصحيح أنّ فاطمة ﷺ وجدت عليّ أبي بكر، فقد أخرج

بسنده عن عائشة أنّها قالت:

١. السنن الكبرى، للبيهقي، كتاب قسم الفء والغنمة، ج ٩، ص ٤٣٤.

٢. الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٧.

فَوَجَدَتْ فَاطِمَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ فَهَجَرَتْهُ، فَلَمْ تُكَلِّمُهُ حَتَّى تُوفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا تُوفِّيَتْ، دَفَنَهَا رُوجُهَا عَلِيٌّ لَيْلًا وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا... وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ الْأَشْهُرَ،... فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ أَبُو بَكْرٍ، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ فَقَالَ: «وَلَكِنَّكَ اسْتَبَدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ»^١.

ونلاحظ مجيء هذا اللفظ نفسه في حديث آخر عن عائشة: «فَعَضَبَتْ فَاطِمَةَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوفِّيَتْ وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ»^٢.

وعلى هذا فكيف يغضب أبو بكر فاطمة عليها السلام وكيف يشتري لنفسه غضب الرسول ﷺ بلا مهابة ويدعي أنه خليفة رسول الله ﷺ وهو يعلم هذا الحديث الذي أخرجه البخاري في الصحيح بسنده عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَعْضَبَهَا أَعْضَبَنِي»^٣.

وأيضاً الحديث الآخر الذي أخرجه البخاري في الصحيح والذي يبين منزلة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هو أن النبي ﷺ قال: «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^٤.

والحديث المشابه لذلك والذي أخرجه البخاري في الصحيح أيضاً عن الرسول ﷺ بسنده عن مسروق قال: «حَدَّثَنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ... قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ»^٥.

ونلاحظ في رواية البخاري عن وجادة فاطمة عليها السلام على أبي بكر إن علياً عليه السلام قال لأبي بكر: «ولكننا استبددت علينا» وهذا الكلام يبين اعتراض الإمام علي عليه السلام على أبي بكر؛ وكما جاء في نهاية الحديث فإن أبي بكر أخذ يكي متأثراً من كلام الإمام علي عليه السلام وكانها فهم شدة الفاجعة

١. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج ٣، ص ١٠٣٦.

٢. المصدر السابق، كتاب الخمس، باب فرض الخمس، ج ٢، ص ٧٥٦.

٣. المصدر السابق، كتاب فضائل الصحابة، مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ج ٢، ص ٩١٠.

٤. المصدر السابق، ص ٩٠٩.

٥. المصدر السابق، كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس، ج ٤، ص ١٥٨٩.

التي ارتكبتها من غضب الخلافة من الإمام علي عليه السلام!! ولقد كانت وجادة فاطمة عليها السلام لأبي بكر في الحقيقة هي من أجل غضب الخلافة من علي عليه السلام!! ولعلّ مقولة أبي بكر المعروفة: «أقيلوني فلست بخيركم»^١ دالة على ندمه وعلمه بعدم صلاحيته لأمر الخلافة!! وقد عبّر عمر عن خلافة

أبي بكر بأنها كانت فلتةً، كما أخرج البخاري ذلك في الصحيح عن ابن عباس، حيث قال:

فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَدِّثُونَ قَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، قَالَ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ وَاللَّهِ لَوْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فَلَانًا. فَلَا يَغْتَرَّنَ أَمْرُؤُا أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فِلْتَةً وَتَمَّتْ أَلَا وَإِنَّمَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا...^٢

وما يؤيد عدم بيعة الإمام علي عليه السلام لأبي بكر وموقفه من البيعة هو كلام معاوية بن أبي سفيان للإمام علي عليه السلام عندما تخلف عن بيعة الإمام عليه السلام وطاعته في زمان خلافته وعندما أعلن استعداده لقتاله وهو خليفة المسلمين آنذاك، فإنه كان يسخر من الإمام علي عليه السلام لعدم بيعته لأبي بكر ويستهزئ به لسحبه من بيته مجبراً على تلك البيعة، وقد جاء هذا الكلام في إحدى الرسائل التي كتبها معاوية للإمام علي عليه السلام قبل حرب صفين قائلاً: «... عرفنا ذلك منك في نظرك الشزر وقولك الهجر وتنفسك الصعداء وإبطائك عن الخلفاء في كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع وأنت مكره»^٣.

فأجاب الإمام علي عليه السلام عليه برسالة ذكرت في نهج البلاغة تحت عنوان الكتاب رقم ٢٨ مضمونها ما يلي:

وقلت إني كنتُ أفاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تدم فمدحت وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة إلا أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه.^٤

وبيّن لنا كلام معاوية هذا أن الإمام علي عليه السلام كان قد احتج على الظلم بعدم البيعة منذ

١. تفسير الألوسى، سورة الحديد، ذيل الآية ١٦.

٢. صحيح البخاري، كتاب المحاربين، ج ٤، ص ١٧١٣.

٣. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، ج ١، ص ٣٥٧.

٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٨٣.

البداية، ولكن بأسلوب هادئ خوفاً من وقوع الفتن وتشتت الأمة الإسلامية.

ويتبين لنا من جواب الإمام علي عليه السلام معاوية أنه عليه السلام لم ينكر موقفه ذلك أمام الظلم، ولكن بالعكس كان يؤيده ويفتخر به ويعتبر كلام معاوية فيه مديحاً له عليه السلام وفي المقابل فضيحة لمن سلبه حقه واعترافاً منهم على أنفسهم، وياله من جواب دامغ! فمعاوية كشف بكلامه ذلك أمراً بنفع الإمام علي عليه السلام، وكشف الغطاء عن أمر ينتهي بالفضيحة لنفسه وأعوانه، وهو كيفية أخذ البيعة من علي عليه السلام لخلافة أبي بكر، ونقول إنه عليه السلام لو كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله راضياً بتلك الأعمال وكان يرى لأبي بكر حقاً في الخلافة لما كان يخالف البيعة، ولماذا يخالف وهو أتقى الأتقياء وأشدّهم في الله؟! إذن فهذه المخالفة تبين اعتراضه عليه السلام على البيعة لعلمه بأحقيته بها وعدم سكوته على الظلم.

وعلى هذا وبناءً على ما عرفته الأمة من روح التقوى والزهد والبعد عن الدنيا التي كان يعيشها الإمام علي عليه السلام، ذلك الإنسان العظيم الذي يشهد له التاريخ بالبطولات والمواقف الجليلة من أجل حفظ وإحياء الدين وتقويم قواعده وأأسسه، نراه في نفس الوقت الذي كان هو أرف الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله على الأمة الإسلامية وأحرصهم على مصلحتها وثباتها واستقامتها وبقائها، يكون أشدّهم في الحق وفي مواجهة الظلم والوقوف في وجه الطغاة، وبما أنه لم يكن يريد الخلافة لنفسه بل كان يريد لها حفظ الدين، لذلك نجده ينتهز أقل فرصة لإحياء الضائير الميتة وتوعية النفوس الغافلة وتبيين مكانته من الخلافة ومحورته لها، ويرفض أن يقف مكفوف اليدين أمام سلب حقه، ويصرخ بصوت عالٍ تسمعه كل أذن واعية أنّ الحق يجب أن يعود الى مكانه وأنه لا بد أن تطلع شمس الحقيقة يوماً ما.

موقف الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله

عند مطالعتنا للتاريخ والروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله نلاحظ وجود مجموعة روايات تبين لنا أنّ بعض الصحابة لم يقفوا موقفاً مشرفاً أمام الله ورسوله صلى الله عليه وآله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وأتهم كانوا قد قاموا بأعمال أثارت غضب النبي صلى الله عليه وآله، فقد أخرج البخاري في الصحيح بسنده عن

أبي هريرة أنه قال:

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمِرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: هَلُمَّ. فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمِرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: هَلُمَّ. قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلٍ نَعَم»^١.

وأخرج البخاري حديثاً آخر بسنده عن أبي هريرة قال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلِّتُونَ عَنِ الْخَوْضِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى»^٢.

وأخرج البخاري أيضاً حديثاً آخر بسنده عن سهل بن سعد قال:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمُ عَلَى الْخَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَبِعَرْفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ». قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتُ مِنْ سَهْلِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتَهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: «فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سُحْقًا بَعْدًا، يُقَالُ سَحِيقٌ بَعِيدٌ، وَأَسْحَقُهُ أَبْعَدُهُ»^٣.

ويوجد في صحيح البخاري حديث آخر عن سهل بن سعد يبين أن الرسول ﷺ بالإضافة الى أنه كان يعرف هؤلاء المرتدين فإنهم هم أيضاً كانوا يعرفونه، مما يدل على أنهم كانوا من الصحابة، والحديث هو: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمُ عَلَى الْخَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ

١. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الخوض، ج ٤، ص ١٦٥٦.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق.

لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيْرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»^١.

ونلاحظ في مسند أحمد حديثاً أخرجه بسنده عن علي عليه السلام أنه قال:

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ يُؤَمَّرُ بَعْدَكَ؟ قَالَ: إِنَّ تُؤَمَّرُوا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَجِدُوهُ أَمِينًا
رَاهِدًا فِي الدُّنْيَا رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ تُؤَمَّرُوا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَجِدُوهُ قَوِيًّا أَمِينًا لَا يَخَافُ
فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَإِنْ تُؤَمَّرُوا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا أَرَاكُمْ فَاعِلِينَ تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا
يَأْخُذُ بِكُمْ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ.^٢

ومن خلال هذه الروايات نفهم أنّ فئة من الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فعلت ما لم يصحح لها
أن تفعل وكسبت بذلك سوء العاقبة، وكان الرسول صلى الله عليه وآله يعلم بأن بعض صحابته سوف
يفعلون ذلك، وفي ذلك أخرج الحاكم في المستدرک حديثاً نلاحظ فيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعليّ
بأنّ الأمة ستغدر بك من بعدي فقد أخرج بسنده عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «إنّ ما عهد إليّ
النبي صلى الله عليه وآله: أنّ الأمة ستغدر بي بعده»، هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.^٣

وأخرج البوصيري عن ثعلب بن يزيد الحماني أنّه قال: سمعت عليّاً يقول: «والله إنه لعهد
النبي صلى الله عليه وآله الأُمِّيَّ إِلَيَّ: إنّ هذه الأمة (ستغدرك) من بعدي».^٤

وهنا نلفت النظر الى حديث عن النبي صلى الله عليه وآله يذكر فيه عاقبة من غصب حق أهل بيته صلى الله عليه وآله
وأذا هم، فقد أخرج النيسابوري والزنجشيري والثعلبي في التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:
«حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي وَأَذَانِي فِي عَتْرَتِي».^٥

ونحن نسأل الله أن نكون ممن عرف قدرهم صلى الله عليه وآله وأعطاهم حقهم وكسب بذلك رضاهم
ونال جنة الخلد بشفاعتهم.

١. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الخوض، ج ٤، ص ١٦٥٦.

٢. مسند أحمد بن حنبل، مسند علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ١، ص ١٠٩.

٣. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١١٥.

٤. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، كتاب المناقب، فضائل علي عليه السلام، ج ٩، ص ٢٤٧.

٥. تفسير النيسابوري، ج ٦، ص ٧٤؛ تفسير الكشاف، ج ٥، ص ٤٠٥؛ تفسير الثعلبي، ج ٨، ص ٣١٢.

مناشدة الإمام علي عليه السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله أيام خلافة عثمان

أخرج القندوزي الحنفي في نيايح الموّدة والجويني في فرائد السمطين بسنده عن سليم بن قيس الهلالي أنّه قال:

رأيت علياً عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في خلافة عثمان رضي الله عنه وجماعة يتحدّثون ويتذاكرون العلم والفقه، فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها وما قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل، مثل قوله: «الأئمة من قريش». وقوله: «الناس تبع لقريش وقريش أئمة العرب». وقوله: «لا تسبوا قريشاً». وقوله: «إنّ للقرشي قوّة رجلين من غيرهم». وقوله: «من أبغض قريشاً أبغضه الله». وقوله: «من أراد هوان قريش أهانه الله». وذكروا الأنصار وفضلها وسوابقها ونصرتها وما أثنى الله عليهم في كتابه وما قال فيهم النبي صلى الله عليه وآله، وذكروا ما قال في سعد بن عباد وغيل الملائكة، فلم يدعوا شيئاً من فضلهم حتى قال كلّ حيٍّ: منا فلان وفلان. وقالت قريش: منّا رسول الله صلى الله عليه وآله ومنّا حمزة ومنّا جعفر ومنّا عبيدة بن الحرث وزيد بن حارثة وأبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة وابن عوف. فلم يدعوا من الحيين أحداً من أهل السابقة إلا سموه. وفي الحلقة أكثر من مئتي رجلٍ فيهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير والمقداد وأبو ذر وهاشم بن عتبة وابن عمر والحسن والحسين عليهما السلام وابن عباس ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن جعفر. وكان في الحلقة من الأنصار أبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو أيوب الانصاري وأبو الهيثم بن التيهان ومحمد بن مسلمة وقيس بن سعد بن عباد وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وعبد الله بن أبي أوفى وأبو ليلٍ ومعه ابنه عبد الرحمن قاعد بجنبه غلام صبيح الوجه أمرد، فجاء أبو الحسن البصري ومعه ابنه الحسن غلام أمرد صبيح الوجه معتدل القامة. قال سليم: فجعلت أنظر إليه والى عبد الرحمن بن أبي ليلٍ فلا أدري أيهما أجمل غير أنّ الحسن أعظمها وأطولها. فأكثر القوم وذلك من بكرة إلى حين الزوال، وعثمان في داره لا يعلم بشيء مما هم فيه، وعلي بن أبي طالب ساكت لا ينطق هو ولا أحد

من أهل بيته. فأقبل القوم عليه فقالوا: يا أبا الحسن ما يمنحك أن تتكلم؟ فقال: «ما من الحيين إلا وقد ذكر فضلاً وقال حقاً، فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار بمن أعطاكم الله هذا الفضل بأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم؟» قالوا: بل أعطانا الله ومنّ علينا بمحمد ﷺ وعشيرته لا بأنفسنا وعشائرتنا ولا بأهل بيوتاتنا. قال: «صدقتم يا معشر قريش والأنصار أستم تعلمون أنّ الذي نلتهم من خير الدنيا والآخرة منا أهل البيت خاصّةً دون غيرهم؟ وأن ابن عمي رسول الله ﷺ قال: إني وأهل بيتي كنّا نوراً يسعى بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله تعالى آدم ﷺ بأربعة عشر ألف سنة، فلما خلق الله تعالى آدم ﷺ وضع ذلك النور في صلبه وأهبطه إلى الأرض، ثم حمّله في السفينة في صلب نوح ﷺ، ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم ﷺ، ثم لم يزل الله تعالى ﷻ ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الارحام الطاهرة، ومن الارحام الطاهرة إلى الاصلاب الكريمة من الآباء والأمهات، لم يلق واحد منهم على سفاح قطّ». فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدر وأهل أحد: نعم قد سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ. ثم قال عليّ ﷺ: «أنشدكم الله أن تعلمون أنّ الله عزّ وجلّ فضل في كتابه السابق على المسبوق في غير آيةٍ وأني لم يسبقني إلى الله عزّ وجلّ والى رسوله ﷺ أحد من هذه الأمة؟» قالوا: اللهم نعم. قال: «فأنشدكم الله أن تعلمون حيث نزلت: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ﴾^١ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^٢ سئل رسول الله ﷺ فقال: أنزلها الله تعالى ذكره في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعليّ بن أبي طالب وصيّي أفضل الأوصياء». قالوا: اللهم نعم. قال: «فأنشدكم الله أن تعلمون حيث نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^٣، وحيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

١. سورة التوبة، آية ١٠.

٢. سورة الواقعة، آية ١١.

٣. سورة النساء، آية ٥٩.

الرَّكَاءَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^١، وحيث نزلت: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ^٢، قال الناس: يا رسول الله خاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم؟ فأمر الله ﷺ نبيه ﷺ أن يعلمهم ولاية أمرهم وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجهم، فنصّبني للناس بغدير خم، ثم خطب وقال: أيها الناس إن الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس مكذّبي فأوعدي لأبلغها أو ليعذبني!! ثم أمر فتودي بالصلاة جامعة ثم خطب فقال: أيها الناس أتعلمون أن الله ﷺ مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: قم يا عليّ. فقام فقال: من كنت مولاه فعليّ هذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فقام سلمان فقال: يا رسول الله ولاء كماذا؟ فقال: ولاء كولايتي، من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه. فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا^٣، فكبر النبي ﷺ قال: الله اكبر تمام نبوتي وتمام دين الله وولاية عليّ بعدي. فقام أبو بكر وعمر فقالا: يا رسول الله هؤلاء الآيات خاصة في عليّ؟ قال: بل فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. قالوا: يا رسول الله بينهم لنا. قال: عليّ أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد ابني الحسين واحداً بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض». فقالوا كلهم: اللهم نعم، قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت وشهدنا كما قلت سواء. وقال بعضهم: قد حفظنا جلّ ما قلت ولم نحفظه كلّ، وهؤلاء الذين حفظوا أختيارنا وأفاضلنا.

فقال عليّ عليه السلام: «صدقتم ليس كل الناس يستونون في الحفظ، أنشد الله ﷺ من حفظ ذلك

١. سورة المائدة، آية ٥٥.

٢. سورة التوبة، آية ١٦.

٣. سورة المائدة، آية ٣.

من رسول الله ﷺ لما قام فأخبر به؟. فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار، فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول النبي ﷺ وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه وهو يقول: «يا أيها الناس إن الله ﷻ أمرني أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي والذي فرض الله ﷻ على المؤمنين في كتابه طاعته فقرنه بطاعته وطاعتي وأمركم بولايته وإني راجعت ربي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدي لأبلغها أو ليعذبني!! يا أيها الناس إن الله أمركم في كتابه بالصلاة فقد بيتها لكم، وبالزكاة والصوم والحج فبيتها لكم وفسرتها، وأمركم بالولاية، وإني أشهدكم أنها لهذا خاصة» - ووضع يده على علي بن أبي طالب (عليه السلام) - «ثم لابنيه بعده ثم للأوصياء من بعدهم من ولدهم لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم القرآن حتى يردوا عليّ حوضي. أيها الناس قد بينت لكم مفرعكم بعدي وإمامكم ودليلكم وهاديكم، وهو أخي علي بن أبي طالب وهو فيكم بمنزلي فيكم فقلدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم فإنّ عنده جميع ما علمني الله من علمه وحكمته فسلوه وتعلموا منه ومن أوصيائه بعده، ولا تعلموهم ولا تتقدموهم ولا تحلفوا عنهم فإتّهم مع الحقّ والحقّ معهم لا يزيألوهم ولا يزيألهم». ثم جلسوا، قال سليم: ثم قال علي (عليه السلام): «أيها الناس أتعلمون أنّ الله أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^١ فجمعني وفاطمة وابني الحسن والحسين ثم القى علينا كساءً وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي ولحمي، يؤلني ما يؤلهم ويؤذيني ما يؤذيهم ويخرجني ما يخرجهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت إلى خير، إنّما نزلت فيّ وفي ابنتي وفي أخي علي بن أبي طالب وفي ابنه وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها لأحد شرك». فقالوا كلهم: نشهد أنّ أم سلمة حدثتنا بذلك فسألنا رسول الله ﷺ فحدثنا كما حدثتنا أم سلمة. ثم قال علي (عليه السلام): أنشدكم الله أتعلمون أنّ الله

أنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^١ فقال سلمان: يا رسول الله عامة هذا أم خاصة؟ قال: أما المؤمنون فعامة المؤمنين أمروا بذلك، وأما الصادقون فخاصة لأخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة، قالوا: اللهم نعم. قال: «أنشدكم الله أتعلمون أنني قلت لرسول الله ﷺ في غزوة تبوك: لم خلفتني؟ فقال: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وأنت متي بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي».

قالوا: اللهم نعم. فقال: أنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^٢، فقام سلمان فقال: يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج وهم على ملة أبيكم إبراهيم؟ قال: عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصةً دون الأمة، قال سلمان: بينهم لنا يا رسول الله؟ فقال: أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي». قالوا: اللهم نعم. فقال: «أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قام خطيباً لم يخطب بعد ذلك، فقال: يا أيها الناس إنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعتري أهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلوا فإن اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض. فقام عمر بن الخطاب شبه المغضب فقال: يا رسول الله أكُلُّ أهل بيتك؟ قال: لا، ولكن أوصيائي منهم أولهم أخي ووزير ووارثي وخليفتي في أمتي ووليّ كلِّ مؤمنٍ بعدي هو أولهم ثم ابني الحسن ثم ابني الحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد حتى

١. سورة التوبة، آية ١١٩.

٢. سورة الحج، آية ٧٧ و ٧٨.

يردوا عليّ الخوض، هم شهداء الله في أرضه وحقته على خلقه وخزان علمه ومعادن حكمته، من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله». فقالوا كلهم: نشهد أنّ رسول الله ﷺ قال ذلك. ثم تبادى لعلّي السؤال فما ترك شيئاً إلا ناشداهم الله وسألهم عنه حتى أتى على آخر مناقبة؛ وما قال له رسول الله ﷺ كثيراً (وكانوا في) كل ذلك يصدقونه ويشهدون أنّه حقٌّ.^١

١. ينابيع المودة، الباب الثامن والثلاثون، ج ١، ص ٣٤٢؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣١٢.

الفصل الثالث:

الإمامة والنبوة

في بداية هذا البحث نتطرق الى بيان ثلاث مصطلحات، هي: «النّبوة» و«الرّسالة» و«الإمامة»، ونقارنها مع بعض؛ فالأنبياء تنحصر مسؤوليتهم في إبلاغ الوحي الذي يصل اليهم من الله ﷻ بطرق مختلفة، وقد بين لنا القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^١؛ والرّسل هم الأنبياء الذين تكون لديهم مسؤولية إبلاغ رسالة سماوية من جانب الله ﷻ بالإضافة إلى إبلاغ الوحي، وقد بين لنا ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^٢؛ فالأنبياء ماداموا لم يتجاوزوا مقام النّبوة والرّسالة تكون مسؤوليتهم إبلاغ الوحي وتبيين الحلال والحرام والشرائع السّماوية للنّاس، وأما إذا ارتقوا الى مقام الإمامة، وهو المقام الأعلى رتبة من النّبوة والرّسالة بناءً على الآية المباركة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^٣، وهو الذي حصل لإبراهيم عليه السلام بعد نجاحه في الامتحان الذي امتحنه الله تعالى في ذبح ابنه إسماعيل، سوف ترتقي مسؤوليتهم الى ما هو أكبر من التبليغ، فتكون بالإضافة الى استلام الوحي وتبليغه وتبليغ الرسالة، مشتملة على قيادة المجتمع وتنظيم شؤون الأُمَّة وهدايتهم الى السّير في الطريق الصحيح للوصول الى الكمال المطلوب؛ وعلى هذا تصبح النّبوة هداية للمجتمع والإمامة قيادة للمجتمع.

ومن هنا نستطيع القول إنّ أكثر الرسل كانوا أنبياء ولم يكونوا أئمّة، كما أنّ الأئمّة ليسوا

١. سورة البقرة، آية ٢١٣.

٢. سورة المائدة، آية ٩٢.

٣. سورة البقرة، آية ١٢٤؛ راجع فصل الخلافة والإمامة من هذا الكتاب.

بأنبياء؛ ولكن نبي الله إبراهيم عليه السلام ونبينا محمد صلى الله عليه وآله كانوا أئمةً بالإضافة إلى أنهم كانوا أنبياء. ومن الأقوال التي تؤيد أنّ الإمامة تختلف عن الرسالة وتكون أعلى رتبة من الرسالة هو ما قاله القشيري في تفسيره:

ورتبة الإمامة أن يفهم عن الحق ثم يفهم الخلق؛ فيكون واسطةً بين الحق والخلق، يكون بظاهرة مع الخلق لا يفتر عن تبليغ الرسالة، وبباطنه مشاهداً للحق، لا يتغير له صفاء الحالة، ويقول للخلق ما يقوله له الحق.^١

ومما يؤيد علو رتبة الإمامة أيضاً، قول السعدي في تفسيره: «وهذه - لعمر الله - أفضل درجة، تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام، شمر إليه العاملون».^٢

ويعبر الألوسي في تفسيره عن الإمامة قائلاً: «الإمامة أي الزعامة الكبرى».^٣

إذن، الإمامة هي مقام أعلى من النبوة، ولكنها لا تنحصر في أن تكون في الأنبياء فقط، وقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم في قصة بني إسرائيل، إذ إنهم طلبوا من نبيهم أن يعث لهم شخصاً غيره يتولى زمام أمورهم في أن يقاتلوا في سبيل الله في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّنَا أَلَمْ نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟﴾، وقد عبر القرآن الكريم في هذه الآية عن ذلك الشخص بالملك، والملك هو من يدبر أمور المجتمع ويوصل كل شخص إلى كماله اللائق به ويدفع عنه كل ما يانع ذلك، ونستنتج أيضاً من جواب الله ﷻ لهم في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^٤ أن هذا الملك هو الشخص الذي يتحقق ملكه بشرطين بينها قوله تعالى في الآية، وهما الإحاطة العلمية بكل شيء والقدرة الجسمية

١. تفسير القشيري، ج ١، ص ١٠٦.

٢. تفسير السعدي، ج ١، ص ٧٠.

٣. تفسير الألوسي، ج ٢٥، ص ٤٥.

٤. سورة البقرة، آية ٤٦.

٥. سورة البقرة، آية ٢٤٧.

اللَّذان لا يحصلان إلا بعطاء من الله لقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، وأن هذا الشَّخص المنصوب من جانب الله تعالى له تفضيل من الله على سائر النَّاس لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾.

وأخيراً نستطيع القول بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَخْتَلِفُ عن الفائد الذي يقود المجتمع، يعني الملك بتعبير القرآن في هذه الآية، وأنَّ النَّبُوَّةَ والقيادة من الممكن أن تجتمعان في شخص واحد وفي آنٍ واحدٍ أيضاً.

وبالالتفات الى آخر الآية وهو: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُهُ مَن يَشَاءُ﴾، نفهم أنَّ الإمامة لا تنحصر في أمور الحرب وإنَّما تشمل أموراً أوسع في إدارة الشؤون الاجتماعية وذلك يتحقق بواسطة ما أعطاه الله للإمام من حقِّ التَّصرف وما أعطاه له من ملكه تعالى الواسع والشامل، فالله ﷻ هو الحاكم المطلق والإمام هو خليفته في الأرض.

وقد كان نبيِّنا محمد ﷺ يمتلك مقام الإمامة بالإضافة الى مقام النَّبُوَّة، كما بيَّنته لنا الآيات القرآنية في فرض إطاعته بعد إطاعة الله وإعطائه حقَّ الولاية المطلقة على المؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وقوله تعالى: ﴿التَّيُّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

وقبل الدخول في هذا البحث نبادر أولاً الى إثبات أفضليَّة نبيِّنا محمد ﷺ على سائر الانبياء ﷺ. فقد ذكر مسلم وأحمد عن أبي هريرة عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ»، قِيلَ مَا هُنَّ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ»^١.

وفي حديث آخر أخرجه البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ

١. صحيح مسلم، كتاب المساجد، ج ٢، ص ٦٤؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ٤١٢.

رَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ^١ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ^١.

وفي شفاة النبي ﷺ للناس يوم القيامة ذكر البخاري وأحمد عن قتادة عن أنس عنه ﷺ

قال:

يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَأْتُونَ أَدَمَ يَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِإِيدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. يَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي - أَتُّوا نُوْحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَهُ يَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ سُؤَالَ رَبِّهِ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَيَسْتَحِي، يَقُولُ أَتُّوا حَلِيلَ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَهُ يَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، أَتُّوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَةَ. فَيَأْتُونَهُ يَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ يَقُولُ أَتُّوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ. يَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، أَتُّوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ [لِي] فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُقَالُ اذْغِعْ رَأْسَكَ وَاسْلُ تَعَطُّهُ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ^٢.

وحدیث السیادة^٣ المذكور فی جملة من المصادر هو خیر دلیل علی أفضلیة النبی ﷺ علی

سائر الأنبیاء ﷺ.

وأما فی خصوص تأیید القول بأن الإمامة أرقی مرتبة من النبوة، سوف نذكر فی هذا الفصل آیات من القرآن الکریم وأحادیث من السنة النبویة الشریفة ونبیحتها من الناحیة السندیة والموضوعیة إن شاء الله تعالی، وهي: آیه المباهلة وحديث النور وحديث الأشباه وحديث السیادة وآیه الابتلاء وحديث مدینة العلم.

١. صحیح البخاری، ج ٢، ص ٨٦٨؛ صحیح مسلم، ج ٧، ص ٦٤؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ٣٩٨.

٢. صحیح البخاری، ج ٣، ص ١٠٩٢؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ١١٦.

٣. لاحظ حدیث السیادة من هذا الكتاب.

مايستدل به في تفضيل الإمامة علي النبوة في القرآن والحديث

١. آية المباهلة

الآية المباركة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبَّهْهُمْ فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^١، تسمى بآية المباهلة، ونستدل بها ورد فيها من لفظ «وأنفسنا» أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله. وبما أننا أثبتنا أفضلية نبينا محمد صلى الله عليه وآله على سائر الأنبياء عليهم السلام نبدأ أولاً بالبحث حول آية المباهلة وما ورد عنها في الروايات من أجل التدرج في البحث إلى تفضيل الإمام علي عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام ما عدا رسول الله صلى الله عليه وآله.

معنى المباهلة

معنى الابتهاال في الدعاء هو التضرع وتفويض الأمر الى الله تعالى ومعنى البهلة هو ما ذكره الزمخشري في تفسيره للآية ٦١ من سورة آل عمران، حيث قال: «والبهلة بالفتح والضم: اللعنة. وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك «أبهله» إذا أهمله»^٢.

ومفهوم المباهلة الذي جاء في هذه الآية هو الملاعنة بين شخصين، بأن يجتمع طرفا الحوار حول مسألة دينية مهمة في مكان واحد ثم يتضرعان الى الله أن يفضح الكاذب منها ويعاقبه.

شأن نزول آية المباهلة

الروايات الواردة في شأن نزول هذه الآية كثيرة^٣ و نقتصر هنا على ذكر بعض منها مما يبين تفاصيل القضية التي نزلت فيها الآية. فقد أخرج السيوطي في الدر المنثور نقلاً عن أبي نعيم الأصبهاني في الدلائل^٤ بإسناده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إن وفد نجران من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وهم أربعة عشر رجلاً من

١. سورة آل عمران، آية ٦١.

٢. تفسير الكشاف، للزمخشري، ج ١، ص ٢٨٣.

٣. المصدر السابق، ص ٥٦٤؛ الكشف والبيان، للثعلبي، ج ٣، ص ٨٥؛ تفسير الرازي، ج ٤، ص ٨٩.

٤. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ذكر ما روي من قصة السيد والعاقب، ص ٢٩٨.

أشرفهم، منهم السيد وهو الكبير، والعاقب وهو الذي يكون بعده، وصاحب رأيهم، فقال رسول الله لها: «أسلما» قالوا: أسلمنا. قال: «ما أسلمتما». قالوا: بلى، قد أسلمنا قبلك. قال: «كذبتما، يمنعكم من الإسلام ثلاث فيكما، عبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير وزعمكما أن الله ولدًا». ونزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الآية. فلما قرأها عليهم قالوا: ما نعرف ما تقول. ونزل: ﴿فَبِمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يقول: من جادلك في أمر عيسى من بعد ما جاءك من العلم من القرآن ﴿فقل تعالوا﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ نَبِّئَهُ﴾ يقول: نجتهد في الدعاء أن الذي جاء به محمد هو الحق، وإن الذي يقولون هو الباطل، فقال لهم: «إن الله قد أمرني إن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم» فقالوا: يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك. فخلا بعضهم ببعض وتصادقوا فيما بينهم، قال السيد للعاقب: قد والله علمتم أن الرجل نبيٌّ مرسلٌ، ولأن لا عتموه إنه ليستأصلكم، وما لآعن قومٌ قطُّ نبياً فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم. فإن أتمتم لم تتبعوه وأبيتم إلا إلف دينكم، فوادعوه وارجعوا إلى بلادكم. وقد كان رسول الله ﷺ خرج ومعه عليّ والحسن والحسين وفاطمة، فقال رسول الله ﷺ: «إن أنا دعوت فأمنوا أتمتم». فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية.^١

وأخرج السيوطي عن البيهقي في دلائل النبوة^٢ بإسناده من طريق سلمة بن يشوع عن أبيه عن جدّه قال:

إن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه «طس» سليمان: «بسم الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، من محمد رسول الله ﷺ إلى أسقف نجران وأهل نجران: إن أسلمتم فإني أحمد إليكم الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد أدتكم بالحرب، والسلام». فلما قرأ الأسقف الكتاب فطع به وذعر ذعراً

١. الدر المنثور، ج ٣، ص ٦٠٨.

٢. دلائل النبوة، للبيهقي، باب وفد نجران، ج ٥، ص ٤٨٥.

شديداً، فبعث إلى رجلٍ من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة، فدفع إليه كتاب النبي ﷺ فقرأه فقال له الأسقف: ما رأيك...؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا الرجل! ليس لي في النبوة رأي، لو كان رأي من أمر الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك.

فبعث الأسقف إلى واحدٍ بعد واحدٍ من أهل نجران، فكلهم قال مثل قول شرحبيل، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة، وعبدالله بن شرحبيل، وجبار بن فيض، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ، فانطلق الوفد حتى أتوا رسول الله ﷺ فسألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى بن مريم؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما عندي فيه شيءٌ يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى صباح الغد». فأنزل الله هذه الآية ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ إلى قوله ﴿فَنَجَعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فأبوا أن يقرّوا بذلك. فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميلة له، وفاطمة تمشي خلف ظهره للملاعنة، وله يومئذٍ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه: إني أرى أمراً مقبلاً، إن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلاعنا لا يبقى على الأرض منّا شعراً ولا ظفرٌ إلا هلك، فقالا له: ما رأيك؟ فقال: رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً. فقالا له: أنت وذاك. فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعتك، قال: «وما هو»؟ قال: حكمك اليوم إلى الليل، وليتتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز. فرجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم وصالحهم على الجزية.^١

من هم المدعوون في قوله: ﴿نُدْعُ...﴾

لقد دلّت الروايات الواردة في تفسير هذه الآية على أن النبي ﷺ قال: «تعالوا ندعوا نحن ابناءنا ونساءنا وأنفسنا وتدعون أئمة ابناءكم ونساءكم وأنفسكم»، فدعا هو ﷺ علياً وفاطمة والحسن

والحسين عليه السلام الى المباهلة، فأصبح هؤلاء الخمسة هم المقصودين في قوله تعالى ﴿نَدْعُ...﴾.

وفي ذلك أخرج مسلم في الصحيح في باب فضائل علي بن أبي طالب وابن حجر في فتح الباري بإسنادهما عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:

أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال أما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ... ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^١.

وأخرج أحمد في المسند والترمذي في السنن في باب سورة آل عمران، بإسنادهما عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:

لما أنزل الله هذه الآية ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، رضوان الله عليهم، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^٢.
قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.
قال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد.

وأخرج ابن جرير الطبري في التفسير بإسناده عن علباء بن أحمري الشكري أنه قال:
لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ﴾، الآية، أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة وبنيهما الحسن والحسين، ودعا اليهود ليلاعنهم، فقال شاب من اليهود: ويحكم! أليس عهدكم بالأمس إخوانكم الذين مسخوا قردهً وخنازير؟! لا تلعنوا! فانتهوا^٣.

وأخرج الطبري أيضاً في التفسير بسنده عن ابن زيد أنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله:

١. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٠؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، باب مناقب علي بن أبي طالب، ج ٢، ص ٣٧٠٧.

٢. مسند أحمد بن حنبل، مسند سعد بن أبي وقاص، ج ٣، ص ١٦٠؛ جامع الترمذي، ص ١٩٥٣، حديث ٢٩٩٩.

٣. تفسير الطبري، ج ٦، ص ٤٨٢.

«لولا عنت القوم، بمن كنت تأتي حين قلت «ابناءنا وابتناءكم»؟ قال: «حسن وحسين»^١.

وقال أبو حيان الأندلسي في تفسيره للآية:

﴿نَدُّعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءِكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءِكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: يدعُ كل منا ومنكم ابتناه ونسائه ونفسه إلى المباهلة... وفسر على هذا الوجه: الابناء بالحسن والحسين، ونسائه: فاطمة، والأنفس: بعلي^٢.

وأخرج السيوطي في الدر المنثور وابن كثير في التفسير والواحد في أسباب النزول

بإسنادهم عن جابر أنه قال:

قدم على النبي ﷺ العاقب والسيد، فدعاهما إلى الإسلام فقالا: أسلمنا يا محمد، قال: «كذبتما، إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام». قالوا: فهات. قال: «حب الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير»، قال جابر: فدعاهما إلى الملاعنة، فوعدها إلى الغد، فغدا رسول الله ﷺ، وأخذ بيد عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيباه، وأقراله، فقال: «والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهما نارا». قال جابر: فيهم نزلت ﴿تَعَالَوْا نَدُّعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءِكُمْ...﴾ الآية. قال جابر: ﴿أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسِكُمْ﴾ رسول الله ﷺ وعلي، ﴿وابناءنا﴾ الحسن والحسين، ﴿ونساءنا﴾ فاطمة^٣.

وقال البغوي في التفسير: «قيل: (أبناءنا) أراد الحسن والحسين، و(نساءنا) فاطمة. و(أنفسنا)

عنى نفسه وعلياً رضي الله عنه»^٤.

المراد من لفظ «أنفسنا» وتكرار استعماله

لقد استخدم رسول الله ﷺ لفظ «نفسى» بعد قضية المباهلة مرات عديدة وستخدمه في مواضع أخرى في بيان منزلة وشأن أمير المؤمنين علي عليه السلام أيضاً، وصرح مراراً أن علياً عليه السلام هو

١. تفسير الطبري، ج ٦، ص ٤٨٢.

٢. تفسير البحر المحيط، ج ٢، ص ٥٠٢.

٣. الدر المنثور، ج ٣، ص ٦٠٧؛ تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٣٧؛ أسباب نزول القرآن، ص ٢٢٧.

٤. تفسير البغوي، ج ١، ص ٢٩٧.

كنفسه صلوات الله وسلامه عليه ويبيّن مكانته منه، وكأنّها أراد بذلك أن يؤكّد هذا المفهوم في أذهان المسلمين ويهيّئ الأرضية لإرجاع الأمة الى عليّ عليه السلام في جميع الأمور من بعده عليه السلام، وفي ذلك أخرج ابن أبي شيبة في الصحيح بسنده عن عبد الله بن شدّاد قال:

قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وفد أبي سرح من اليمن فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «لتقيمنّ الصلاة ولتؤتننّ الزكاة ولتسمعننّ ولتطيعننّ أو لأبعثننّ إليكم رجلاً لنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم، اللهم أنا أو كنفسى، ثم أخذ بيد عليّ»^١.

وأخرج ابن أبي شيبة في الصحيح بإسناده عن عبد الرحمن بن عوف أنّه قال:

افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة، ثم انصرف إلى الطائف فحاصرهم ثمانية أو سبعة، ثم أوغل غدوة أو روحة، ثم نزل ثم هجر، ثم قال: «أيها الناس، إنّي لكم فرط، وإنّي أوصيكم بعترتي خيراً، موعدكم الحوض، والذي نفسي بيده، لتقيمننّ الصلاة، ولتؤتننّ الزكاة، أو لأبعثننّ عليكم رجلاً منّي، أو كنفسى فليضربننّ أعناق مقاتليهم، وليسبين ذراريهم»، قال: فرأى الناس أنه يعني أبا بكر أو عمر، فأخذ بيد عليّ فقال: «هذا»^٢.

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

وأخرج النسائي في السنن بسنده عن أبي ذر أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليتتهين بنو وليعة أو لأبعثننّ إليهم رجلاً كنفسى ينفذ فيهم أمرى فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية»^٣.
وأخرج المحبّ الطبري في الرياض النضرة عن المطلب بن عبد الله أبي حيطب أنّه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو فد ثقيف حين جاؤوه: «لتسليمننّ أو لأبعثننّ عليكم رجلاً منّي» - أو قال مثل نفسي - «فليضربننّ أعناقكم وليستبيننّ ذراريكم وليأخذننّ أموالكم». قال عمر:

١. مصنف ابن أبي شيبة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٧، ص ٤٩٩.

٢. وجاء مثله في تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٣٤٢.

٣. مصنف ابن أبي شيبة، فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٧، ص ٤٩٨.

٤. السنن الكبرى للنسائي، ج ٥، ص ١٢٧.

فو الله ما تمتت الإمارة إلا يومئذٍ، فجعلت أنصب صدري رجاء أن يقول هو هذا، قال:
فالتفت إلى عليٍّ فأخذه بيده وقال: «هو هذا».^١

وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن جابر بن عبد الله أنه قال:

بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني وليعة وكان بينهم شحناء في الجاهلية، فلما بلغ بني وليعة استقبلوه لينظروا ما في نفسه فخشى القوم فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني وليعة أرادوا قتلي ومنعوني الصدقة فلما بلغ بني وليعة الذي قال الوليد عند رسول الله ﷺ، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله لقد كذب الوليد ولكن كان بيننا وبينه شحناء فخشينا أن يعاقبنا بالذي كان بيننا. فقال رسول الله ﷺ: «ليتهين بني وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسى يقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم، وهو هذا» ثم ضرب بيده على كتف علي بن أبي طالب رضي الله عنه.^٢

شبهة في استعمال لفظ الجمع

استعمال لفظ الجمع في «أنفسنا» و«نساتنا» وتطبيقه على المفرد، هو من المواضيع التي أثارَت النقاش حول هذه الآية المباركة، فقد أشار علماء التفسير إلى أن مصداق كلمة «نساءنا» وكلمة «أنفسنا» يشمل مجموعة من النساء والأنفس ولكنه لا يصدق إلا على فاطمة وعليّ عليهما السلام، إذ لم يكن أحد غيرهما يمتلك شروط المبالغة، فانطبق هذا المصداق في الواقع على فاطمة وعليّ عليهما السلام دون غيرهما؛ وبهذا أصبح المراد من لفظ «نساءنا» هو فاطمة عليها السلام، و«أنفسنا» هو عليّ عليه السلام، و«ابناءنا» هو الحسن والحسين عليهما السلام؛ ونقول إن صحَّ اعتراض البعض على استعمال لفظ «نساءنا» وهو جمع في فاطمة عليها السلام وهي مفرد، فكيف صدق هذا اللفظ على النَّصارى إذن ولم تكن بينهم حتى امرأة واحدة في المبالغة ولم يوجد بينهم ابناء أيضاً، وكذلك لم يعترض أحد من الطرفين آنذاك على عدم حضور نساء وبناء من النَّصارى أو رجال ونساء

١. الرياض النَّضرة، ج٢، ص٢١٦.

٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٧، ص٢٤٠.

غير عليّ وفاطمة عليهما السلام من جانب الرسول صلى الله عليه وآله في المباهلة.

والقول في عدم استعمال لفظ الجمع للمفرد فهو باطل، وقد أشرنا الى ذلك في بحث آية الولاية^١ من هذا الكتاب وأثبتنا امكان استعمال لفظ الجمع وإرادة المفرد عند العرب وكذلك مجيئه في عدد من الآيات القرآنيّة. ولو دققنا في تحقق مصداق «ابناءنا» في الحسن والحسين عليهما السلام وهما بصيغة المثني، لوجدنا تحقق صيغة المثني في صيغة الجمع، وهو مما لا يجوز في لغة العرب. ولأجل تحقق صيغة المثني في الجمع هذه واستناداً إلى ما تكرر ذكره في الروايات الواردة والتأكيد على هؤلاء الخمسة، نستدلّ أنّ الهدف ليس هو معنى لفظ «نساءنا» و «ابناءنا» و «أنفسنا» وإنما الهدف هو المراد من هذه الألفاظ وهذا المراد هو الخاصّة من الأهل، وبما أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن معه من الأهل إلاّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقد تحقق هذا المصداق في هؤلاء الخمسة وأصبحوا هم المراد من هذه الألفاظ.

وقوله صلى الله عليه وآله في الروايات الواردة: «اللهم هؤلاء أهلي» يبيّن لنا أنّ الدّعوة في لفظ «ندع» هي لمن يتمكن من كلا الطرفين أن يأتي به من خاصة أهله ويشاركه في المباهلة، ولم يشارك الرسول صلى الله عليه وآله آنذاك إلاّ هؤلاء الخمسة في المباهلة.

وبهذا تسقط كل الشبهات المطروحة في هذا الخصوص، وتأييداً لقولنا هذا نشير الى ما ذكره الزمخشري في تفسيره حول هذه الآية مما يؤكد فضل هؤلاء الخمسة وأهميّة حضورهم، حيث قال: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام. وفيه برهان واضح على صحّة نبوة النبي صلى الله عليه وآله لأنّه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك»^٢.

احتجاج أمير المؤمنين علي عليه السلام بالآية

لعلّ أول من استدللّ بهذه الآية هو أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، وذلك عندما احتجّ في الشورى التي فرضها عمر على الحاضرين بجملة من فضائله ومناقبه، فكان من ضمن ذلك احتجاجه

١. راجع آية الولاية من هذا الكتاب.

٢. تفسير الكشاف، ج ١، ص ٥٦٦.

بآية المباهلة، وقد أقرّ الحاضرون بما قال عليه السلام، فقد أخرج في ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن عباد بن عبد الله الأسدي وعن عمرو بن وائلة قالاً:

قال عليّ بن أبي طالب يوم الشورى: «والله لأحتجّنّ عليهم بما لا يستطيع قرشيهم ولا عربيهم ولا عجميهم رده»... قال: «نشدتكم بالله هل فيكم أحدٌ أقرب إلى رسول الله ﷺ في الرحم ومن جعله رسول الله ﷺ نفسه وابناه وبنساءه ونساءه غيري؟! قالوا: اللهم لا...^١

وبالنهاية نستنتج أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بما أنّه هو نفس رسول الله ﷺ والرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء وأفضلهم، فعليّ عليه السلام أيضاً له أفضليّة على سائر الانبياء.

٢. حديث النور

هذا الحديث من الأدلّة على أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو نفس رسول الله ﷺ حيث نستطيع أن نستفيد نعتمد على هذا الحديث في إثبات أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على الأنبياء ومن ثم أفضلية الأئمة من بعده، الى جانب أحاديث أخرى، فقد أخرج هذا الحديث جمع من أصحاب الحديث من أهل السنّة في مصادرهم نذكر منهم هنا مايلي:

أخرج هذا الحديث أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة والمحّبّ الطبري في الرياض النضرة بسنده عن سلمان أنّه قال:

سمعت جيبّي رسول الله ﷺ يقول: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله ﷻ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين، فجزء أنا وجزء عليّ عليه السلام».^٢

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن ابن عباس أنّه قال:

قال النبي ﷺ: «خلق الله قضيباً من نورٍ قبل أن يخلق الله الدنيا بأربعين ألف عام، فجعله

١. تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٤٣١.

٢. فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٨٢٣، حديث ١١٣٠؛ الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٠٣.

أمام العرش حتى كان أول مبعني فشقّ منه نصفاً فخلق منه نبيكم والنصف الآخر
عليّ بن أبي طالب»^١.

وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق أيضاً والكنجي الشافعي في كفاية الطالب بسنده عن
سلمان أنّه قال:

سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله مطيعاً يسبح الله
ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ركّز ذلك
النور في صلبه؛ فلم نزل في شيءٍ واحدٍ حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزءٌ أنا
وجزءٌ عليّ»^٢.

وأخرج الخوارزمي في المناقب بسنده عن سلمان أنّه قال:

سمعت حبيبي المصطفى محمدًا ﷺ يقول: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ
مطبقاً يسبح الله ذلك النور ويقدّسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر الف عام، فلما خلق الله
تعالى آدم ركّب ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيءٍ واحدٍ، حتى افترقنا في صلب
عبد المطلب فجزءٌ أنا وجزءٌ عليّ»^٣.

ونستدلّ أخيراً أنّ الإمام عليّ عليه السلام والرسول ﷺ خلقا من نورٍ واحدٍ.

٣. حديث الأشباه

هذا الحديث أيضاً من الأحاديث المهمّة لإثبات أفضليّة الإمام عليّ عليه السلام على الأنبياء، إذ أنّ
النبيّ ﷺ شبه علياً عليه السلام في هذا الحديث بالأنبياء عليهم السلام وبالأخصّ أولي العزم، ويبيّن فيه أنّ الإمام
عليّ عليه السلام جامع لصفاتهم، يعني أنّه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم، ولذلك نستطيع أن نستدلّ
نحن من هذا التشبيه على وجود فضل وكرامة خاصّة لعليّ عليه السلام ووجود مكانة له كمكانة

١. تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٦٧.

٢. المصدر السابق، ص ٦٧؛ كفاية الطالب، ص ١٧٦.

٣. مناقب الخوارزمي، ص ٨٨.

الأنبياء ﷺ بشهادة الرسول ﷺ له.

وقد أخرج هذا الحديث أبو نعيم الأصبهاني في فضائل الخلفاء الأربعة بسنده عن أبي الحمراء مولى رسول الله ﷺ حيث قال: كُنَّا حول النَّبِيِّ ﷺ فطلع عليّ بن أبي طالب ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في خلقه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب»^١.

ونلاحظ القندوزي في يتابع المودة ينقل هذا الحديث بألفاظ مختلفة، فقد أخرج عن أبي الحمراء قوله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في عزمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في هيئته وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب»^٢.

وينقل أحمد بن عبد الله الطبري في ذخائر العقبى حديثاً يشابه ما أخرجه القندوزي، مما يؤكد لنا هذا المفهوم، فقد نقل عن ابن عباس أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه وإلى نوح في حكمه وإلى يوسف في جماله، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب»، أخرجه الملا في سيرته^٣.

وأخرج أحمد بن عبد الله الطبري أيضاً عن أبي الحمراء أنّه قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب»^٤.
رضى الله عنه، أخرجه أبو الخير الحاكمي.

وإذا أمعنا النظر في مفهوم هذا الحديث نجده يعرض نفسه بشكل أوضح في كلام أمير المؤمنين عليّ ﷺ عندما حضره جمع من الأصحاب وهو على فراش الموت وكان فيهم

١. فضائل الخلفاء الأربعة، ص ٥٩.

٢. يتابع المودة لذوي القربى، الباب الاربعون، ج ١، ص ٣٦٣؛ شواهد التنزيل، للحسكاني، ج ١، ص ١٠٠ (أخرجه بألفاظ متعددة وأسانيد متعددة).

٣. ذخائر العقبى، ص ٩٤؛ يتابع المودة لذوي القربى، الباب السادس والخمسون، ج ٢، ص ١٨٣؛ وجاء ما يقارب هذا الحديث في كفاية الطالب، ص ٤٦.

٤. ذخائر العقبى، ص ٩٣.

صعصعة بن صوحان، فقد أخرج هذا الحديث السيّد محمد كاظم القزويني بسنده من كتاب الأنوار النعمانية والمناقب أنّ صعصعة بن صوحان سأل في ذلك الموقف من الإمام عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم آدم أبو البشر؟ قال عليه السلام: «تزكية المرء نفسه قبيح، لكن قال الله تعالى لآدم: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^١ وأنا أكثر الأشياء أباها الله لي وتركتها وما قاربتهما؛ ثم قال: أنت أفضل يا أمير المؤمنين أم نوح؟ قال علي: «إن نوحاً دعا على قومه، وأنا ما دعوت على ظالمي حقي، وأيضاً فإن ابن نوح كان كافراً، ولكن ابناي سيدي شباب أهل الجنة»؛ وقال: أنت أفضل أم موسى؟ قال عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أرسل موسى إلى فرعون فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾ حتى قال الله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾^٢ قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾^٣ وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله بتبليغ سورة البراءة أن أقرأها على قريش في الموسم مع أنّي كنت قتلت كثيراً من صناديدهم، فذهبت بها وقرأتها عليهم وما خفتهم»؛ ثم قال: أنت أفضل أم عيسى بن مريم؟ قال عليه السلام:

عيسى كانت أمه في بيت المقدس فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: أخرجني، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وأنا أمي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم فانشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول: أدخلي فدخلت في وسط البيت، وأنا ولدت فيه، وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي.^٤

وكل ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الحديث هو صحيح، فقد ثبت في المصادر لا يحصى عدده من زهده وابتعاده عن الدنيا وزخرفها وتكريس مساعيه في مساعدة الفقراء والعيش كما يعيشون لمواساتهم، وكذلك صبره على ما لقيه من الأذى وغضب حقه بعد

١. سورة البقرة، آية ٣٥.

٢. سورة النمل، آية ١٠.

٣. سورة القصص، آية ٣٣.

٤. عليه السلام من المهدي إلى اللحد، ص ٣٢٠.

النبي ﷺ واحتسابه في ذلك سواء قبل خلافته أو بعدها، وما ورد في المصادر أيضاً من أن ولديه الحسن والحسين ﷺ هما سيّدا شباب أهل الجنة حيث سيأتي ذكره لاحقاً، وقد ورد من مناقبه في كتب الحديث من الفريقين أيضاً إرساله ﷺ من جانب الرسول ﷺ لتبليغ سورة البراءة، وفي ذلك أخرج الطبري في التفسير بسنده عن عليّ ﷺ أنه قال:

بعثني النبي ﷺ حين أنزلت: «براءة» بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهدٌ فهو إلى مدته، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.^١

وأخرج الطبري في تفسير سورة البراءة حديثاً آخرًا بسنده عن السديّ أنه قال:

لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية، بعث بهنّ رسول الله ﷺ مع أبي بكر وأمره على الحجّ. فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة، أتبعه بعليّ فأخذها منه، فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، بأي أنت وأمي أنزل في شأنٍ شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يبلغ عني غيري، أو رجل مني، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار، وأنتك صاحبي على الحوض؟» قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر على الحجّ، وعليّ يؤذن براءة، فقام يوم الأضحى، فقال: «لا يقربنّ المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوفنّ بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهدٌ فله عهده إلى مدته، وإن هذه أيام أكلٍ وشربٍ، وإنّ الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً». فقالوا: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب! فرجع المشركون، فلام بعضهم بعضاً وقالوا: ما تصنعون، وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا.^٢

وأخرج البخاري في الصحيح في باب ما يستر العورة وفي كتب التفسير أخرج البغوي

والثعلبي أيضاً بإسنادهم عن أبي هريرة قال:

بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحُجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ نُؤَذِّنُ بِمَنَى أَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ

١. تفسير الطبري، ج ١٤، ص ١٠٦.

٢. المصدر السابق، ص ١٠٨.

مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثُمَّ أَرَدَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ بِرَاءَةَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَأَدَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مَنْى يَوْمَ النَّحْرِ لَا يَحْجُجُ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ^١.

وأخرج الترمذي هذا الحديث في السنن في باب ومن سورة التوبة عن أنس بن مالك أنه قال: بعث النبي ﷺ براءة مع أبي بكر ثم دعاه فقال: «لا ينبغي لأحدٍ أن يبلغ هذا إلا رجلٌ من أهلي»، فدعا علياً فأعطاه إياه.^٢

قال الشيخ الألباني: حسن الإسناد.

وأخرج النسائي في السنن الكبرى عن سعد قال:

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر براءة حتى إذا كان ببعض الطريق أرسل علياً فأخذها منه، ثم سار بها فوجد أبو بكر في نفسه فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجلٌ مني».^٣

ونستنتج من هذا الحديث أن الرسول ﷺ كان لا يكلف أحداً باداء مسؤولياته الرسالية إلا علياً عليه السلام لأنه منه، وهذا خير دليل على تفويض مسؤولياته ﷺ بعد وفاته لعليٍّ أيضاً. وأما ما ورد في ولادته عليه السلام في بيت الله الحرام فهو مما تواترت أخباره عند الفريقين، فقد أخرج الكنجي في كفاية الطالب والحاكم في المستدرک عن مصعب بن عبد الله أنه قال: «فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة».^٤

وأخرج الكنجي الشافعي في كفاية الطالب بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد علي بن أبي طالب فقال: «فلما كان الليلة التي ولد

١. صحيح البخاري، ج ٣، ص ١١٤٨؛ تفسير البغوي، ج ٣، ص ٥؛ الكشف والبيان، للنعلبي، ج ٥، ص ١٠.

٢. سنن الترمذي، ص ١٩٦٣، حديث ٣٠٩٠.

٣. السنن الكبرى، للنسائي، ج ٥، ص ١٢٩.

٤. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، مناقب حكيم بن حزام القرشي، ج ٤، ص ٦١١؛ كفاية الطالب،

فيها عليٌّ، أشرقت الأرض فخرج أبو طالب وهو يقول أيها الناس ولد في الكعبة ولي الله عزَّوَجَلَّ.^١

وأما ما ورد في المصادر من أنَّ ولديه الحسن والحسين عليهما السلام سيِّدا شباب أهل الجنة فسوف يأتي ذكره لاحقاً في هذا الكتاب.

ويتَّضح لنا أنَّ عليّاً عليه السلام بالإضافة إلى أنه كان جامعاً لصفات الأنبياء أولي العزم فهو يرقى عليهم مرتبة بشهادته عليه السلام على نفسه بذلك.

٣. حديث السيادة

رُوي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أنا سيِّد ولد آدم».

ورد هذا الحديث في كتب الحديث المعتمدة بألفاظ مختلفة، فقد أخرج البخاري في الصحيح بسنده عن أبي هريرة أنَّه قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعْوَةٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً وَقَالَ: «أنا سيِّد النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^٢

وأخرج مسلم في الصحيح في باب تفضيل النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسنده عن أبي هريرة قوله: قال رسول الله: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشَقُّ عنه القبر وأول شافعٍ وأول مشفع».^٣

وأخرج أحمد في المسند بسنده عن ابن عباس أنَّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ، وَلَا فَخْرَ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي، وَلَا فَخْرَ».^٤

وأخرج الترمذي في السنن في باب ومن فضل النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسنده عن أبي سعيد أنَّه قال:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وببيدي لواء الحمد ولا فخر،

١. كفاية الطالب، ص ٢٦٠.

٢. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨١٥.

٣. صحيح مسلم، ج ٧، ص ٥٩.

٤. مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، ج ١، ص ٢٨١.

وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائه، وأنا أول من ينشق عنه الأرض ولا فخر»^١.

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن أبي هريرة قال: «سيد ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وخيرهم محمد ﷺ»^٢.

وبما أن الإمام علي عليه السلام هو نفس رسول الله ﷺ كما دلت عليه آية المباهلة، واستناداً إلى هذا الحديث وحديث النور، الذي تم ذكره في الصفحات السابقة، يصبح علي عليه السلام أيضاً سيد ولد آدم، وبهذا سوف يصبح أفضل من جميع الانبياء عليهم السلام من بعد رسول الله ﷺ.

وبعد أن أثبتنا أن النبي ﷺ هو سيد ولد بني آدم وأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو نفس الرسول ﷺ، نتناول ما جاء بلفظ «سيد» حول علي عليه السلام من التصوص الواردة في المصادر المختلفة، فقد أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد والطبراني في المعجم الأوسط بسنده عن أنس ابن مالك قال: «إن رسول الله قال: «من سيد العرب؟» قالوا: أنت يا رسول الله. قال: «أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب»^٣.

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک عن جابر قوله: «قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي سيد العرب» فقالت عائشة رضي الله عنها: ألسنت سيد العرب يا رسول الله؟ فقال: «أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب»^٤.

وكذلك أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک بسنده عن ابن عباس أنه قال: «نظر النبي ﷺ إلي فقال: «يا علي، أنت سيد في الدنيا، سيد في الآخرة، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي»^٥.

صحيح على شرط الشيخين: و أبو الأزره بإجماعهم ثقةً وإذا تفرّد الثقة بحديث فهو على

١. جامع الترمذي، ص ٢٠٢٤، حديث ٣٦١٥.

٢. دلائل النبوة، للبيهقي، ج ٥، ص ٤٨٥.

٣. مجمع الزوائد، للهيثمي، ج ٩، ص ١٥٢؛ المعجم الأوسط، للطبراني، ج ١، ص ٤٠١.

٤. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٩٢.

٥. المصدر السابق، ص ٩٨.

أصلح صحيح.

ومن هذا نستنتج أنّ الإمام علي عليه السلام له السيادة على الناس كما هي لرسول الله ﷺ عليهم.

استعمال لفظ «سيد» للحسن والحسين عليه السلام

والآن نذكر ما ورد في الحسن والحسين عليه السلام من لفظ «سيد» أو ألفاظ أخرى مما يدل على أفضليتهم على سواهم من المسلمين، إذ نجد ذلك في مختلف المصادر الحديثية، فقد أخرج البخاري في الصحيح بسنده عن أبي بكر أنه قال: «أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال: «ابني هذا سيدٌ ولعلّ الله أن يُصلح به بينَ فئتين من المسلمين»^١.

وأخرج الحاكم في المستدرک بسنده عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قوله:

كنا مع أبي هريرة ف جاء الحسن بن علي بن أبي طالب علينا، فسلم فردنا عليه السلام ولم يعلم به أبو هريرة، فقلنا له: يا أبا هريرة، هذا الحسن بن علي قد سلم علينا، فلحقه وقال: وعليك السلام يا سيدي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيدٌ»^٢.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ونقل الألباني في السلسلة الصحيحة حديثين، هما:

الأول: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، وبالجملة فالحديث صحيح بلا ريب بل هو متواتر كما نقله المناوي وكذلك الزيادات التي سبق تخرجها، فهي صحيحة ثابتة.^٣
الثاني: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسياط»^٤.

وهناك حديث آخر يبين أنّ النبي ﷺ كان قد استخدم هذا اللفظ في المهدي بالاضافة إلى الحسن والحسين عليه السلام، فقد أخرج ابن ماجة في السنن في باب خروج المهدي عن أنس بن

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨٨٧.

٢. المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، من فضائل الحسن بن علي عليه السلام، ج ٣، ص ١٨٥.

٣. السلسلة الصحيحة، للألباني، ج ٢، ص ٤٢٣.

٤. المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٢٩.

مالك أنه قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ وَلَدُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَا وَحَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرٌ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْمُهْدِيُّ»^١.

وعلى هذا الأساس نرى أنّ لفظ السيادة هذا يستخدم في أهل البيت عليهم السلام تبعاً للرَسُولِ صلى الله عليه وآله، ونحن نستدلّ بذلك على أفضليتهم على سائر الناس؛ ومما يؤيد هذا الكلام حديث الطير^٢ وما جاء في إسناده، فأمر المؤمنين عليهم السلام بما أنّه أحبّ الخلق إلى الله فهو يكون أفضل الخلق من بعد النبي صلى الله عليه وآله.

٤. آية الإبتلاء

الآية المباركة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^٣ تدلّ على أنّ النبي إبراهيم عليه السلام نال مقام الإمامة بعد مدّة طويلة من نبوّته ورسالته، وبعد خضوعه عليه السلام لابتلاءٍ شديدٍ وخروجه منه بموقفيّة ونجاح كما قال ابن عجيبة في البحر المديد في تفسيره لهذه الآية:

إذا أراد الله تعالى أن يجعل ولياً من أوليائه إماماً يُقتدى به وداعياً يدعو إليه، ابتلاه، فإن صبر ورضي اصطفاه وحضرته اجتباه، فيكون إماماً يُقتدى به وداعياً يُهتدى به، وهذه سنة الله تعالى في أصفياه بيتليهم الله تعالى بتسليط الخلق عليهم بأنواع من البلاء، فإذا نقوا من البقايا وتكلمت فيهم المزايا، أظهرهم للخلق داعين إلى الله ومرشدين إلى طريق الله، وقد تبقى الإمامة في ذريتهم إن ساروا على هديهم، ومن لم يسلك به هذا المسلك فلا يصلح للإمامة، وإن توجه إليها كان ناقصاً في الدعوة، ولذلك قال بعضهم: «من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال، فرفضه فإنه دجال»^٤.

فالإمامة إذن مقام لا يناله كلّ شخصٍ حتى لو كان نبياً إلا بإذن الله صلى الله عليه وآله.

١. سنن ابن ماجه، ص ٢٧٢٥، حديث ٤٠٨٧.

٢. راجع حديث الطير من هذا الكتاب.

٣. البقره، آية ١٢٤.

٤. البحر المديد، لابن عجيبة، ج ١، ص ١٣٨.

٥. صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي عليه السلام

وهي من الأدلة على أفضلية الائمة عليهم السلام على الأنبياء عليهم السلام ما عدا رسولنا محمد صلى الله عليه وآله، حيث إن اقتداء نبي الله عيسى عليه السلام، وهو من الأنبياء أولي العزم، بالإمام المعصوم وصلاته خلفه تؤكد لنا ذلك، فقد قال السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوى: «فإن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة بإخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الصادق المصدق الذي لا يخلف خبره»^١.

ويؤيد ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ما قاله السيوطي قائلاً:

... الأحاديث الصحيحة السابقة أن المهدي من ولد فاطمة، لأن المراد بالمهدي فيها الآتي

آخر الزمان الذي يأتي به عيسى صلى الله عليه وآله وعلي نبينا وسلم^٢.

المهدي من ولد فاطمة، المذكور في الأحاديث التي هي أصح وأكثر^٣.

وقد روى أحمد في المسند في صلاة المهدي عليه السلام بسنده عن جابر بن عبد الله أنه قال:

«فَيُطَلِّقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام فَتَقَامُ الصَّلَاةُ فَيُقَالُ لَهُ تَقَدَّمَ يَا رُوحَ اللَّهِ فَيَقُولُ لِيَتَقَدَّمَ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ»^٤.

وأخرج مسلم في الصحيح وأبو يعلي الموصلي وأحمد في المسند عن جابر قال:

عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى

ابن مريم فيقول إمامهم: تقدم، فيقول: أنتم أحق بعبادكم أمراء بعض، أمر أكرم الله به

هذه الأمة»^٥.

وأخرج ابن ماجة في السنن عن أبي أمامة الباهلي قال:

حَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَكَانَ أَكْثَرَ حُطْبَتَيْهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَا عَنْ الدَّجَالِ... فَبَيَّنَّا إِمَامَهُمْ قَدْ

١. الحاوي للفتاوى، للسيوطي، ج ٢، ص ١٦٧.

٢. الصواعق المحرقة، الباب الحادى عشر، ص ١٦٦.

٣. المصدر السابق، باب خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم، ص ٢٣٧.

٤. مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٣٦٨.

٥. صحيح مسلم، باب نزول عيسى بن مريم، ص ٩٤، حديث ٢٨٦؛ مسند أبي يعلي الموصلي، ج ٢، ص ٢٩٦؛ مسند

أحمد، ج ٢٣، ص ٣٣٤.

تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَتَكُصُّ
يَمْشِي الْفَهْرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ تَقَدَّمَ
فَصَلِّ فَإِنَّمَا لَكَ أُقِيمَتْ^١.

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة في سبب صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي عليه السلام:
«... القصد بإمامة المهدي لعيسى إنما هو إظهار أنه نزل تابعاً لنا نبينا حاكماً بشريعته غير مستقل بشيء
من شريعة نفسه...»^٢.

وقد بين لنا الطبراني في المعجم الأوسط وابن حجر في الصواعق المحرقة سبب صلاة
عيسى عليه السلام خلف المهدي عليه السلام وهو إكرام هذه الأمة من جانب الله تعالى، فقد أخرج الطبراني في
المعجم الأوسط بسنده عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ثم ينزل عيسى بن
مريم فيقول أميرهم: تقدم فصل لنا، فيقول: لا إن بعضكم لبعض أميرٍ ليكرم الله هذه
الأمة.^٣

وصح مرفوعاً: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول:
لا إن بعضكم أئمة على بعض، تكرمه الله هذه الأمة»^٤.
فهذه الصلاة هي خير دليل على أفضلية أهل البيت عليهم السلام على سائر الناس.

٦. حديث مدينة العلم

لقد ذكرنا في بداية هذا الفصل ونظراً للآية المباركة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي
الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^٥ والتي جاءت في جواب القوم من بني إسرائيل الذين طلبوا من أن يبعث لهم

١. سنن أبن ماجه، ص ٢٧٢٣، حديث ٤٠٧٧.

٢. الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٦٧.

٣. المعجم الاوسط، للطبراني، ج ٦، ص ٣٦١.

٤. الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٦٥.

٥. سورة البقرة، آية ٢٤٧.

ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله، بأن الإمام منتخب من جانب الله ﷻ وأنه مفضّل على باقي الناس لأمرين، أولهما العلم والثاني القدرة والقوّة الجسميّة، وهذين الأمرين وُضعا في الإمام بإرادة الله ﷻ ومشيتته؛ إذن فالإحاطة العلميّة على كل شيء هي موهبة من الله ﷻ ومن الأمور التي تجعل صاحب العلم يكون مفضّل على باقي الأشخاص؛ ونرى هذا العلم يتجسّد في الإمام عليّ عليه السلام استناداً إلى قول الرسول ﷺ فيه وهو الحديث المعروف بحديث مدينة العلم، فهو الشخص الذي تربّى وترعرع في حجر رسول الله ﷺ ورُزق العلم من الرسول ﷺ زقاً، وقد ورد حديث مدينة العلم عن رسول الله ﷺ بأسانيد وطرق معتبرة وألفاظ مختلفة عند الفريقين مما يؤيد صدوره عن النبيّ ﷺ، ونذكر رواية هذا الحديث من كتب أهل السنّة كما يلي:

أخرج أحمد في فضائل الصحابة والجلويني في فرائد السمطين بسنده عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»^١.

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بسنده عن جابر بن عبد الله والقندوزي في ينابيع المودّة بسنده عن ابن عباس وعن جابر أنّه قال:

عن عبد الرحمن بن بهان قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو أخذ بيد عليّ يقول: «هذا أمير البرة وقاتل الفجرة منصورٌ من نصره مخذولٌ من خذله»، يمدّها صوته: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد البيت فليأت الباب»^٢.

وأخرج الحديث الطبراني في المعجم الكبير والطبري في تهذيب الآثار بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد العلم فليأت من بابه»^٣.

وأخرج الصالحى الشامي في كتاب سبل الهدى والرشاد في باب ذكر العشرة في بعض فضائل أمير المؤمنين أبي الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام بسنده عن ابن عباس أنّه قال: «إنّ

١. فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٧٨٧، حديث ١٠٨١؛ فرائد السمطين (بسنند أطول)، ج ١، ص ٩٩.

٢. تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١٨١؛ ينابيع المودة، الباب الرابع عشر، ج ١، ص ٢١٩.

٣. المعجم الكبير، للطبراني، ج ٥، ص ٢٦٣؛ تهذيب الآثار، للطبري، ج ٤، ص ١٠٥.

رسول الله ﷺ قال: «أنا دار الحكمة» وفي لفظ: «مدينة العلم، وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب» وفي لفظ: «فليأتها من بابها»^١.

صحة حديث مدينة العلم

لقد نصّ على صحة هذا الحديث جماعة من علماء أهل السنة، حيث أخرجه وصحّحه الطبري في تهذيب الآثار بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: «إن النبي ﷺ قال: «أنا دار الحكمة، وعليٌّ بابها»... وهذا خبر صحيح سنه^٢.

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد والمزي في تهذيب الكمال بسنده عن ابن عباس قوله: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العلم فليأت بابها»، قال القاسم: سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث فقال: هو صحيح^٣.

التصدّي للطعن في صحة حديث مدينة العلم

وطعن بعض علماء أهل السنة في صحّة هذا الحديث وتصدّي لهم البعض الآخر من هذا الفريق بالبحث والاستدلال لبيّتوا صحّته، فأصبح معركةً للآراء، فمنهم من قال إنّه حديث صحيح، ومنهم من قال إنّه حديث حسن، وضعفه البعض لأجل وجود أبو الصلت الهروي وهو من رجال الشيعة في سنده، ونذكر هنا جزء من هذه المناقشات، فقد قال السخاوي فيه: أشار إلى هذا ابن دقيق العيد بقوله: هذا الحديث لم يثبتوه، وقيل إنه باطل، وهو مشعّر بتوقّفه فيما ذهبوا إليه من الحكم بكذبه، بل صرح العلائي بالتوقّف في الحكم عليه بذلك، فقال: وعندي فيه نظرٌ... فمن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب، فقد أخطأ، قال: وليس هو من الألفاظ المنكرة التي تأبأها العقول^٤.

١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ١، ص ٢٩٢.

٢. تهذيب الآثار، للطبري، ج ٤، ص ١٠٤.

٣. تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٤٩؛ تهذيب الكمال، للمزي، باب العين، من اسمه عبد السلام، ج ١٨، ص ٧٧.

٤. المقاصد الحسنة، للسخاوي، ص ١٢٤.

وقال الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في هذا الحديث:

وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات من طرق عدة وجزم ببطلان الكل وتابعه الذهبي وغيره... قال الحافظ ابن حجر: والصواب خلاف قولها معاً، يعني ابن الجوزي والحاكم وأن الحديث من قسم الحسن لا يرتقي إلى الصحة ولا ينحط إلى الكذب، انتهى. وهذا هو الصواب، لأن يحيى بن معين والحاكم قد خولفا في توثيق أبي الصلت ومن تابعه، فلا يكون مع هذا الخلاف صحيحاً، بل حسناً لغيره لكثرة طرقه كما بيناه.^١

وأما قول السيوطي فيه فهو: «وقال ابن جرير: هذا خبر صحيح سنده وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيماً».^٢

وقال المناوي في فيض القدير:

وتعقبه جمع أئمة، منهم الحافظ العلائي فقال: من حكم بوضعه فقد أخطأ والصواب أنه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف وليس هو من الألفاظ المنكرة الذي تأبأها العقول وقال الزركشي: الحديث ينتهي إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن كونه موضوعاً، وفي لسان الميزان هذا الحديث له طرق كثيرة في المستدرک أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل، فلا ينبغي إطلاق القول عليه بالوضع. قال القاسم: سألت ابن معين عنه فقال: هو صحيح.^٣

وقال العجلوني في كشف الخفاء:

في الدرر نقلاً عن أبي سعيد العلائي، الصواب أنه حسن باعتبار تعدد طرقه لا صحيح ولا ضعيف، فضلاً أن يكون موضوعاً وقال في اللآلئ بعد كلام طويل: والحاصل أن الحديث ينتهي بمجموع طريقي أبي معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به.

١. الفوائد المجموعة، للشوكاني، ج ٢، ص ٤٤١.

٢. جامع الأحاديث، للسيوطي، مسند علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٣١، ص ١١٥.

٣. فيض القدير، للمناوي، ج ٣، ص ٦١.

وقال في شرح الهمزية لابن حجر المكي عند قولهما: أنه حسن خلافاً لمن زعم ضعفه.
وقال في الفتاوى الحديثية: رواه جماعة وصححه الحاكم وحسنه الحافظان العلائي
وابن حجر.^١

والسبب في نقاش القوم حول صحة هذا الحديث، هو أنه من الأدلة الصريحة في المعنى
على أعلمية الإمام علي عليه السلام وأفضليته على سائر الصحابة، لأنه يحتوي على الشروط التي تجعل
له عليه السلام الصلاحية في الخلافة والإمامة؛ ولكن الذي حدث بعد النبي صلى الله عليه وآله كان هو العكس تماماً
بعد أن غضب حق الإمام علي عليه السلام في الخلافة.

وأما مضمون هذا الحديث في دلالة لفظ «باب» فهو يبين أهمية علم الإمام علي عليه السلام حيث
إننا نعلم أنه لا يمكن الدخول الى الخزائن إلا من الباب، والدخول الى خزائن مدينة علم
النبي صلى الله عليه وآله يكون من الباب أيضاً وهذا الباب هو الذي يمثلها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بما
يملكه من علم علمه له ذو علم، وفي ذلك قال الكنجي في كفاية الطالب:

وقد تكلم العلماء في معنى هذا الحديث أنّ علياً عليه السلام باب العلم واكثروا حتى قالت طائفة
إنما أراد النبي صلى الله عليه وآله: «انا مدينة العلم» اي انا معدن العلم وموضعه... قلت والله اعلم أنّ
وجه الحديث عندي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» أراد صلى الله عليه وآله أنّ الله تعالى
علمني العلم وأمر بي بدعاء الخلق إلى الإقرار بوحدانيته... فأنا مدينة العلم وعليّ بن
أبي طالب بابها، أي هو أول من يقا تل أهل البغي بعدي من أهل بيتي وسائر أمتي؛ ولولا
أنّ علياً عليه السلام سنّ للناس قتال أهل البغي وشرع الحكم في قتلهم وإطلاق الأسارى منهم
وتحريم سلب أموالهم وذراريهم، لما عرف ذلك،... فقد قال العلماء من الصحابة
والتابعين وأهل بيته بتفضيل عليّ عليه السلام وزيادة علمه وغزارة وحدّة فهمه ووفور حكمته
وحسن قضاياه وصحة فتواه... وليس هذا الحديث في حقه بكثير لأنّ رتبته عند الله
وعند رسوله صلى الله عليه وآله وعند المؤمنين من عباده أجلّ وأعلا.^٢

١. كشف الخفاء، للعجلوني، ج ١، ص ١٨٥.

٢. كفاية الطالب، للكنجي، ص ١٠٢.

وقال المناوي في فيض القدير:

فإنَّ المصطفى ﷺ المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلها ولا بد للمدينة من باب، فأخبر أنَّ بابها هو عليٌّ كرم الله وجهه، فمن أخذ طريقه دخل المدينة ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف والمعادي والمخالف.^١

وكان رسول الله ﷺ قد هيأ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من قبل، منذ قام بتربيته في حجره وتعليمه، فقد أخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي البخترى عن علي عليه السلام أنه قال:

بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: «يا رسول الله بعثتني وأنا شابُّ أفضي بينهم ولا أدري ما القضاء! فضرب صدري بيده ثم قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه! فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين».^٢

ويشهد التاريخ والروايات الواردة في كتب الحديث على مدى أعلمية الامام علي عليه السلام ودوره في زمان الخلفاء قبله، في الحكم في المسائل المعضلة والقضايا المستعصية عليهم، وقد قال عمر حينما نهاه علي عليه السلام عن رجم من ولدت لسته أشهر ورجم الحاملة: «لولا عليٌّ هلك عمر»^٣، وفي مواقف أخرى قال يحيى بن عقيل: كان عمر إذا سأله (سأل علياً) ففرج عنه يقول: «لا أبقي الله بعدك يا علي»^٤، وعن سعيد بن المسيب قال: «كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن».^٥

١. فيض القدير، للمناوي، ج ٣، ص ٦٠.

٢. طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٢٥٧.

٣. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، ج ١، ص ١٩٥؛ المناقب الخوارزمي، الفصل السابع، ص ٣٩.

٤. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، ج ١، ص ٢٠٠؛ ذخائر العقبى، ص ٨٢؛ كنز العمال، ج ٥، ص ٣٣٠.

٥. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، ج ١، ص ١٩٥، الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٣٩.

الفصل الرابع:

المردودية

الآن، وبعد أن عرفنا معنى الإمامة ومقامها والشواهد التي تدلّ على وجوبها في القرآن والحديث من حيث كون الدين الإسلامي هو الدين الكامل ويجب بقاؤه ودوامه الى يوم القيامة، ولا بدّ من وجود شخص يقود المجتمع وأنّ وجود الإمام لازم للبشريّة، ندخل في بحث المهدي عليه السلام والروايات الواردة فيه؛ فأصل فكرة وجود شخص موعود يخرج في آخر الزمان لينقذ البشريّة من الظلم والطغيان، متّفق عليه في جميع الأديان، ولكن كون هذا الموعود هو المهدي المنتظر عليه السلام فهذا ما اتّفق عليه جميع المسلمون، وكون المهدي المنتظر عليه السلام هو الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام وآخرهم، فهو مما اتّفقت عليه الشيعة الامامية. وبما أنّ الأئمّة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، هم الذين حملوا مسؤوليّة قيادة الأُمّة في حياتهم، فالإمام المهدي عليه السلام سوف يقود المجتمع ويجاهد من أجل عزّة الدّين الإسلامي ورفعته وتطبيق نظام العدالة الحقيقيّة بين النّاس. وقد ألّف علماء السنّة فضلاً عن علماء الشيعة كتباً كثيرة تبحث حول المهدي عليه السلام من كل الجوانب، عن ولادته ونسبه وعلائم ظهوره والأحاديث الواردة فيه وطريقة حكمه ما إلى ذلك ونحن نركز البحث هنا على الأحاديث الواردة حول الإمام المهدي في مصادر أهل السنّة.

المهدي عليه السلام في الروايات

الأحاديث الواردة في المهدي عليه السلام في كتب أهل السنّة كثيرة، ومصادرها أيضاً كثيرة، ونركز نحن النظر في ثلاثة أقسام من هذه الأحاديث، وهي:

الأول: ما يبيّن لنا إسم الإمام المهدي عليه السلام وكنيته وقد جاء لفظ «اسمه اسمي» في هذا

النوع من الحديث وفي عدد كبير من كتب الحفاظ من أهل السنة، وكذلك نقله آخرون بطرق كثيرة بنفس هذا اللفظ، فقد أخرج أحمد في المسند بإسناده عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «لا تذهب الدنيا - أو قال لا تنقضي الدنيا - حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي، ويواطئ اسمه اسمي»^١.

وأخرج الحديث أبو داود والترمذي في باب ما جاء في المهدي عن سفيان حيث قال: «لَا تَذْهَبُ - أَوْ لَا تَنْقُضِي - الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمَهُ اسْمِي»^٢.
[قال أبو عيسى]: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرج الترمذي وصححه في السنن في باب ما جاء في المهدي بإسناده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطول الله ذلك اليوم حتى يلي»^٣.
[قال أبو عيسى]: هذا حديث حسن صحيح.

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.
وكذلك أخرج الحديث الترمذي في السنن وابن الأثير في جامع الأصول في باب ما جاء في المهدي بإسنادهما عن النبي ﷺ أنه قال: «يلي رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»^٤.
[قال أبو عيسى]: هذا حديث حسن صحيح.

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.
وأخرج الحديث الطبراني في المعجم الصغير وابن الأثير في جامع الأصول بإسنادهما عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^٥.

الثاني: ما يبين لنا نسب الإمام المهدي عليه السلام وأنه من ذرية النبي ﷺ ومن ولد فاطمة

١. مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن مسعود، ج ٧، ص ١٧٤.

٢. سنن أبي داود، كتاب المهدي عليه السلام، ج ٤، ص ٨٧؛ جامع الترمذي، ص ١٨٧٦، حديث ٢٢٣٠.

٣. جامع الترمذي، ص ١٨٧٦، حديث ٢٢٣١.

٤. المصدر السابق، ص ١٨٧٦، حديث ٢٢٣١؛ جامع الأصول، ج ٧، ص ٣٥٥.

٥. المعجم الصغير، للطبراني، ج ٢، ص ٢٨٩؛ جامع الأصول، ج ٧، ص ٣٥٥.

الزهراء عليها السلام، فقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنّف وأحمد في المسند وابن ماجة في السنن في باب خروج المهدي بإسناده عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن علي عليه السلام أنّه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصَلِّحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»^١.

وأخرج ابن ماجة في السنن في مسند هند بنت أبي أمية بسنده عن سعيد بن المسيّب قال: كُنَّا عِنْدَ أُمِّ سَلْمَةَ، فَتَذَاكِرُنَا الْمُهْدِيَّ، فَقَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُهْدِيُّ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ»^٢.

وأخرج أبو داود في المسند والبغوي في شرح السنّة بسنده عن سعيد بن المسيّب عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُهْدِيُّ مِنْ عِزَّتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ»^٣.

وأخرج الحاكم في المستدرک بسنده عن سعيد بن المسيّب قال: سَمِعْتُ أُمَّ سَلْمَةَ، تَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْمُهْدِيَّ، فَقَالَ: «نَعَمْ، هُوَ حَقٌّ وَهُوَ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ»^٤.

وأخرج البغوي في شرح السنّة وأبو داود في السنن بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظِلْمًا وَجورًا وَيَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»^٥.

وقال الألباني في السلسلة الصحيحة أنّه حديث صحيح^٦، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنّف عن علي عليه السلام أنّه قال: «الْمُهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصَلِّحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»^٧.

وفي خروج المهدي عليه السلام ونسبه وأنّه ليس عيسى بن مريم عليها السلام، قال السيوطي:

لا يزداد الأمر إلا شدةً، ولا الدنيا إلا إدياراً، ولا الناس إلا سُحْحاً، ولا تقوم الساعة إلا

١. مصنف ابن أبي شيبة، مذكر في فتنة الدجال، ج ٨، ص ٦٧٨؛ مسند أحمد بن حنبل، مسند علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٢، ص ٧٤؛ سنن ابن أبي ماجة، ص ٢٧٢٥، حديث ٤٠٨٥.

٢. سنن ابن أبي ماجة، ص ٢٧٢٥، حديث ٤٠٨٦.

٣. سنن أبي داود، كتاب المهدي عليه السلام، ج ٤، ص ٨٨؛ شرح السنّة، للبغوي، ج ٨، ص ٣٥٤.

٤. المستدرک على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، ج ٤، ص ٦٠٠.

٥. شرح السنّة، للبغوي، ج ٨، ص ٣٥٥؛ سنن أبي داود، كتاب المهدي عليه السلام، ج ٤، ص ٨٨.

٦. السلسلة الصحيحة، للألباني، ج ٥، ص ٤٨٥.

٧. مصنف ابن أبي شيبة، ج ٨، ص ٦٧٨.

على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم... إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه.^١

الثالث: ما يبين لنا الهدف الذي يظهر من أجله المهدي عليه السلام، وهو أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه لا بد من ظهوره ليؤدّي الأمر الذي قدره الله ﷻ للبشرية، وفي ذلك فقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنّف وأبو داود في السنن وابن الأثير في جامع الأصول وأحمد في المسند والبخاري في شرح السنة بإسنادهم عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمَ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلُؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا». قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: «رَجُلًا مِنِّي».^٢

وأخرج أحمد في المسند بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله ﷺ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمُهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَرَلَازِلَ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا وَبِرَضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ وَيَمْلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ غَنَى فَلَا يَخْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ...».^٣

تواتر أحاديث المهدي عليه السلام

لقد صرح جمع غفير من علماء أهل السنة بتواتر أحاديث المهدي عليه السلام، منهم القرطبي وابن حجر العسقلاني وابن حجر الهيتمي والمتقي الهندي، وآخرون غيرهم، فقد أخرج ابن حجر في الصواعق المحرقة بسنده قال:

قال أبو الحسن الآجري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها على

١. العرف الوردى في أخبار المهدي، ص ١٦١.

٢. مصنف ابن أبي شيبة، ج ٨، ص ٦٧٨؛ سنن أبي داود، كتاب المهدي عليه السلام، ج ٤، ص ٨٧؛ جامع الأصول، كتاب القيامة، ج ٧، ص ٣٥٥؛ مسند أحمد بن حنبل، مسند علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٢، ص ١٦٣؛ شرح السنة، للبخاري، ج ٨، ص ٣٥٣.

٣. مسند أحمد بن حنبل، مسند أبي سعيد الخدري، ج ١٨، ص ٦٢.

المصطفى ﷺ بخروجه وإنه من أهل بيته وإنه يملأ الأرض عدلاً وإنه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وإنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه.^١

ويقول ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: «وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْخُسَعِيُّ الْأَبْدِيُّ فِي مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ: تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الْمُهْدِيَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَنَّ عَيْسَى يُصَلِّي خَلْفَهُ».^٢

ولادة المهدي ﷺ

هناك من يقول إن المهدي ﷺ لم يولد لحد الآن وإنه ﷺ سوف يولد في آخر الزمان ومن ثمّ يظهر بعدها، ولكن هذا كلام غير مقبول حيث جاء في الروايات بأن المهدي من عترة رسول الله ﷺ ومن ولد فاطمة ﷺ وهو التاسع من ولد الحسين ﷺ، لذا فلا بدّ من أن يكون قد ولد من قبل، وفي هذا فقد اعترف علماء كثيرون من أهل السنّة بولادة المهدي ﷺ، وذكر السيّد ثامر العميدي في كتابه دفاع عن الكافي، مائة وثمانية وعشرين شخصاً من أهل السنّة، من الذين اعترفوا بولادة المهدي ﷺ مع ترتيبهم، فقال في كتابه:

بلغت اعترافات الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمؤرخين والمحققين والأدباء والكتّاب من أهل السنّة، أكثر من مائة اعتراف صريح بولادة الامام المهدي ﷺ، وقد صرح ما يزيد على نصفهم بأنّ الإمام محمّد بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، هو الامام الموعود بظهوره في آخر الزمان.^٣

ونذكر هنا بعضاً من تلك المتون مع مصادرهما، حيث يوجد فيها ما يبيّن نسبه ﷺ أيضاً، فقد قال ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان:

أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد...، ثاني عشر

١. الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٦٧.

٢. فتح الباري، ج ٢، ص ١٥٩١.

٣. راجع حديث الخلفاء الإثني عشر من هذا الكتاب.

٤. دفاع عن الكافي، ج ١، ص ٥٦٨.

الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه... كان عمره خمس سنين... وذكر ابن الأزرقي في «تاريخ ميفارقين» أن الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح.^١

وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة: «ومحمد الحجة هذا إنما ولد بسرّاً من رأى سنة خمس وخمسين ومائتين».^٢

وقال الصفدي في الوافي بالوفيات في باب محمد بن الحسن بن علي:

الحجة المنتظر محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، الحجة المنتظر ثاني عشر الأئمة الاثني عشر، هو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر القائم المهدي...، ولد نصف شعبان سنة خمس وخمسين...، وذكر ابن الأزرقي في تاريخ ميفارقين أنه ولد تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح.^٣

وأيضاً فقد عدّد القندوزي في ينابيع المودة مجموعة من الشعراء الذين ذكروا المهدي (عليه السلام) في أشعارهم، وهم:

شيخ المشايخ العظام أعني حضرة شيخ الاسلام أحمد الجامي النامقي، والشيخ عطار النيشابوري، وشمس الدين التبريزي، وجلال الدين مولانا الرومي، والسيد نعمة الله الولي، والسيد النسيمي، وغيرهم قدس الله أرواحهم ووهب لنا عرفانهم وبركاتهم، ذكروا في أشعارهم في مدائح من أهل البيت الطيبين (رضي الله عنهم) مدح المهدي في

١. وفيات الأعيان، أبو القاسم المنتظر، ج ٤، ص ١٧٦.

٢. الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٦٧.

٣. الوافي بالوفيات، للصفدي، ج ٢، ص ٣٣٦.

آخرهم متصلًا بهم؛ فهذه أدلّة على أنّ المهدي ولد أولاً، ومن تتبع آثار هؤلاء الكاملين العارفين يجد الأمر واضحاً عياناً.^١

المهدي عليه السلام ليس عيسى عليه السلام

يعتقد جمع من المسلمين بأنّ المهدي عليه السلام هو عيسى بن مريم عليه السلام، ولكن المتفق عليه من الروايات هو أنّ المهدي عليه السلام من سلالة رسول الله ﷺ ومن ولد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، إذن فهو شخص آخر غير المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وفي ذلك يقول القرطبي في تفسيره:

وقيل: المهدي هو عيسى فقط، وهو غير صحيح لأنّ الأخبار الصحاح قد تواترت على أنّ المهدي من عتره رسول الله ﷺ، فلا يجوز حمله على عيسى؛ والحديث الذي ورد في أنّه لا مهدي إلاّ عيسى، غير صحيح... والأحاديث التي قبله في التنصيص على خروج المهدي وفيها بيان كون المهدي من عتره رسول الله ﷺ أصحّ إسناداً. قلت: قد ذكرنا هذا وزدناه بياناً في كتابنا (كتاب التذكرة) وذكرنا أخبار المهدي مستوفاة والحمد لله.^٢

ويقول ابن حجر في الصّواعق المحرقة: قال أبو الحسن الآجري: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواياتها على المصطفى ﷺ وأنّه من أهل بيته».^٣

وقال المقدسي الشافعي في مقدمة عقد الدرر عند ذكر الأحاديث الواردة في المهدي عليه السلام: «فقد اتضح لمن أنصف من جملة هذا الكلام، أنّ المهدي من ولد الزهراء فاطمة، لا ابن مريم عليه السلام».^٤

وتبيّن لنا الرواية الواردة في الصحيحين، البخاري ومسلم في باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام، أنّ عيسى عليه السلام حينما ينزل من السماء، إنّما هو شخص آخر غير الإمام الذي كان متولياً لأمور المسلمين، فقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين بإسنادهما عن

١. ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، الباب السادس والثمانون، ج ٣، ص ٣٤٨.

٢. تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ١٧٩.

٣. الصّواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٦٧.

٤. عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر عليه السلام، ص ٢٨.

أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».^١ كما ثبت أيضاً في الروايات عند الفريقين أن عيسى عليه السلام ينزل ويصلي خلف المهدي عليه السلام، وقد جاء في حديث نقله مسلم في الصحيح لفظ «أميرهم»، وفي هذا الحديث يقول هذا الأمير، يعني أمير أمة رسول الله ﷺ، لعيسى عليه السلام: «تعال أنت صل بنا» وعيسى يرفض ذلك إعلاءً للدين الإسلامي، ولرسالة النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء، وقد جاء ذكر الأحاديث الواردة في هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل السابق.^٢

ويقول ابن حجر في المهدي عليه السلام في الصواعق المحرقة: «... (المهدي) ... وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه».^٣ ومن هنا نستطيع أن نستدل أيضاً على أفضلية الإمام المهدي على نبي الله عيسى عليه السلام بسبب اهتمام عيسى عليه السلام به، ومن ثم نستدل من ذلك على أفضلية سائر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على الأنبياء لما لهم من مقام مماثل للمهدي عليه السلام. وإذا أذعنا إلى أن المهدي عليه السلام طبقاً للروايات الواردة كان قد ولد في سنة خمس وخمسين ومائتين، ولا بد من ظهوره عليه السلام في آخر الزمان، فلا بد وأن يكون موجوداً وحيّاً يرزق بقدرة الله ﷻ وسوف يظهر يوماً ما ليملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا ما تعتقد به الشيعة الإمامية.

الأدلة على حياة المهدي عليه السلام

الأدلة النقلية التي تدل على وجوب حياته وبقائه الى زمان ظهوره عليه السلام هي:

اولاً: الآيات الواردة في القرآن الكريم، وهي:

- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^٤، حيث يبين لنا أنه لا بد أن يكون لكل قوم الى يوم القيامة إمام يقتدون به ويُدعون به يوم الحساب، فقد أخرج السيوطي في الدر المنثور

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٨٥٠؛ صحيح مسلم، ص ٩٤، حديث ٢٨٣.

٢. راجع تفضيل الأئمة على الأنبياء، صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي عليه السلام من هذا الكتاب.

٣. الصواعق المحرقة، الباب الحادي عشر، ص ١٦٧.

٤. سورة الإسراء، آية ٧١.

في تفسير هذه الآية بإسناده عن عليّ عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ»، قال: يدعى كلّ قوم بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم^١.
- قوله تعالى: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»^٢، حيث تدلّ هذه الآية على وجود إمام بالشروط المفروضة من حيث العلم والعصمة والتنصيب من جانب الله تعالى، في كل عصر وزمان دون تحديد، ليكون خليفة الله في الأرض، فإنّ الأرض يجب أن لا تخلو من خليفة، وما هذا الشخص في زماننا هذا إلا المهدي عليه السلام، الذي يجب أن يكون حياً بمقتضى هذه الآية الكريمة.

- قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^٣؛ فالقصد من الهادي في هذه الآية هو الإمام الذي يقود الأمة، ويجب أن يكون لكلّ قوم، دون تحديد بزمانٍ معيّن، إمام يقود زمام أمورهم؛ فقد أخرج الطبري في شأن نزول هذه الآية، في التفسير والشعبي في التفسير وابن عساکر في تاريخ دمشق بإسنادهم عن ابن عباس أنّه قال: «لما نزلت: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» قال النبي ﷺ: «أنا المنذر وعليّ الهادي، بك يا عليّ يهتدي المهتدون»^٤.

وكذلك أخرج السيوطي في الدرّ المنثور بسنده عن ابن عباس قوله:

لما نزلت: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» وضع رسول الله ﷺ يده على صدره، فقال: «أنا المنذر»، وأومأ بيده إلى منكب عليّ، فقال: «أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي»^٥.
وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ» ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على صدر عليّ ويقول: «لكلّ قوم هادٍ»^٦.

١. الدرّ المنثور، ج ٩، ص ٤٠٤.

٢. سورة البقرة، آية ٣٠.

٣. سورة الرعد، آية ٧.

٤. تفسير الطبري، ج ١٦، ص ٣٥٧؛ الكشف والبيان، للشعبي، ج ٥، ص ٢٧٢؛ تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٣٥٩.

٥. الدرّ المنثور، ج ٨، ص ٣٧٥.

٦. المصدر السابق.

فإذا صدق تعبير الهادي على علي عليه السلام، إذن سوف يصدق على الأئمة عليهم السلام من بعده أيضاً. وبمقتضى هذه الآيات القرآنية نستنتج أن إمام زماننا، وهو الإمام المهدي عليه السلام، يجب أن يكون حياً يرزق .

ثانياً: الروايات الواردة في كتب الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي:

حديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^١.

حديث الثقلين: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا تحلفوني فيها»^٢.

ودلالة هذين الحديثين على حياة المهدي عليه السلام واضحة، لأنهما يشيران إلى أن كل إنسان يجب أن يموت مع معرفة إمام زمانه، وأن عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، لن يفارقوا كتاب الله إلى يوم القيامة، إذن فلا بد من وجود إمام في كل عصر ليقتدي به الناس.

أما الدليل العقلي على حياة المهدي عليه السلام هو أن جسم الإنسان من الناحية العلمية إن توفرت له كل الشروط اللازمة للحياة المادية، يستطيع البقاء لمدة أطول ولا يتلاشى، وقد تحقق هذا للبشر في الأزمنة القديمة بشهادة القرآن الكريم لنبي الله نوح عليه السلام، إذ أنه عاش ما يقارب الألف سنة، وكذلك العبد الصالح الخضر وإلياس عليهما السلام حيث لم تنص الروايات على موتها، ولعل سبب إبقائهما أحياء من جانب الله تعالى، هو للاستدلال على طول حياة المهدي عليه السلام، حيث كان يعلم الله أن الناس سوف تنكرها. ومما يؤيد حياة الإمام المهدي عليه السلام أيضاً هو ما حصل لنبي الله عيسى عليه السلام، إذ أن الله تعالى رفعه إليه وهو الآن لا يزال حياً يرزق. ومن ناحية أخرى فإنه ليس بعزيز على الله سبحانه وتعالى أن يُعطي بعض عباده عمراً طويلاً إلى أمدٍ بعيدٍ، وكذلك أنه لا يوجد برهان عقلي يدل على استحالة ذلك، فإنه عزّ وعلا قال في

١. تم ذكر هذا الحديث بإسناده في هذا الكتاب فراجع.

٢. المصدر السابق.

كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^١

وأخيراً نستطيع القول بأنّ غيبة الإمام المهدي عليه السلام أشبهه بما حدث لنبيّ الله موسى عليه السلام عندما ذهب الى ميقات ربه وتأخّر رجوعه الى القوم، لحكمة أرادها الله تعالى، ولعلها كانت من أجل امتحان العباد وترويضهم للامتحان لقضاء الله تعالى وتمهيدهم للتصديق بغيبة الإمام المهدي عليه السلام.

المصادر والمراجع

✽ القرآن الكريم

- ١ . الإمامة والسياسة، أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، تعليق خليل المنصور، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٢ . أسباب نزول القرآن، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨ هـ، برواية بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الأريغاني، تحقيق وتخريج وتعليق ماهر ياسين الفحل، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، المملكة العربية السعودية، دار الميكان.
- ٣ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ، الطبعة الأولى، ١٣١٧ هـ ١٩٩٦ م، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٤ . إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، المتوفى سنة ٨٤٠ هـ، تحقيق أبي عبد الرحمن وعادل بن سعد وأبي إسحاق والسيد بن محمود ابن إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.
- ٥ . البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني، المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ، تحقيق عمر أحمد الراوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق وتخريج وتعليق رياض عبد الحميد مراد ومحمد حسان عبيد وأكرم عبد اللطيف البوشي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، دمشق - بيروت، دار ابن كثير.
٧. بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧هـ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، بيروت، دار الفكر.
٨. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، دراسة وتحقيق علي شبري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، بيروت، دار الفكر.
٩. تاريخ اصبهان، أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني، تحقيق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٠. تاريخ يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، قم، الشريف الرضي.
١١. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، المتوفى ٥٧١هـ، دراسة وتحقيق علي شبري، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، بيروت، دار الفكر.
١٢. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٣. تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى ٣١٠هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، روائع التاريخ العربي.

١٤. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م، بيروت، دار الكتاب العربي.
١٥. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، مراجعة وتعليق أحمد معبد عبد الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة.
١٦. تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، تحشية الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٧. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥ هـ، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ١٩٩٣ م، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٨. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبو عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المتوفى سنة ٧٩١ هـ، تحقيق عبد القادر عرفان العشا حسونة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، بيروت، دار الفكر.
١٩. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ليبيا، الدار التونسية للنشر.
٢٠. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي، المتوفى سنة ٨٧٥ هـ، حقق أصوله على أربع نسخ وعلق عليه وخرج أحاديثه الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م، بيروت، دار احياء التراث العربي.
٢١. تفسير الخازن المسمى بلباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن المتوفى سنة ٧٢٥ هـ، ضبطه وصححه عبد السلام محمد ابن علي شاهين، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٢. تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الامام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، المتوفى سنة ٦٠٤ هـ، طبعة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م، بيروت، دار الفكر.
٢٣. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق وتعليق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م، بيروت، دار الفكر.
٢٤. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، ضبط وتخريج زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٥. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، طبعة ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م، بيروت، دار الفكر.
٢٦. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي بن أبي حاتم، المتوفى سنة ٣٣٧ ق، تحقيق أسعد محمد الطيب، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م، بيروت، المكتبة العصرية.
٢٧. تفسير القشيري المسمى لطائف الاشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري، المتوفى سنة ٤٦٥ هـ، تحقيق سعيد قطيفة وتقديم منيع عبد الحليم محمود، المكتبة التوفيقية.
٢٨. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م، الرياض، مكتبة العبيكان.
٢٩. تفسير اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، بيروت، دار الكتب العلمية.

٣٠. تفسير مقاتل بن سليمان، دراسة وتحقيق عبد الله محمود شحاتة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٢. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، المتوفى سنة ٧١٠ هـ، تحقيق وتخريج يوسف علي بدوي، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨م، بيروت، دار ابن كثير.
٣٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف المزي، المتوفى سنة ٧٤٢ هـ، تحقيق وضبط وتعليق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م، بيروت، مؤسسة الرسالة.
٣٤. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ، أبو جعفر الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هـ، قراءة وتخريج أبو فهر محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني.
٣٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ، مراجعة علاء السعيد، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز.
٣٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م، بيروت، دار الكتاب العربي.
٣٧. الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والنحو والاعراب وسائر الفنون، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٣٨. جامع الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، الطبعة الثالثة، محرم ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع.

٣٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، القاهرة، دار ابن الجوزي.
٤٠. جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق وتخريج وتعليق عبد القادر الأرنتوط، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، بيروت، دار ابن كثير.
٤١. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، بيروت، مؤسسة الرسالة.
٤٢. جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تخريج وتعليق وضبط خالد عبد الفتاح شبل، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٤٣. جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، شمس الدين أبو البركات محمد ابن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي، المتوفى سنة ٨٧١هـ، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، قم، مجمع إحياء التراث.
٤٤. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، تحقيق حمزة النشري وعبد الحفيظ فرغلي وعبد الحميد مصطفى، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، مصر، مكتبة النشري.
٤٥. دفاع عن الكافي، ثامر هاشم حبيب العميدي، الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، مركز الغدير للدراسات الاسلامية.
٤٦. دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، توثيق وتخريج وتعليق الدكتور عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤٧. دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، مكتبة النهضة، بغداد.
٤٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والاسلامية.
٤٩. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، العلامة محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، المتوفى سنة ٦٩٤هـ، بيروت، دار المعرفة.
٥٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، تحقيق وتخريج السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، القاهرة، دار الحديث.
٥١. رسالة طرق حديث من كنت مولاه فعليّ مولاه، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق وتعليق العلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ١٣٧٩ش، انتشارات دليل.
٥٢. الروض الداني الى المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، بيروت، المكتب الإسلامي.
٥٣. الرياض النضرة، أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، بيروت، دار المعرفة.
٥٤. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحى الشامي، المتوفى سنة ٩٤٢هـ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٥٥. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، تحقيق وشرح وتعليق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دمشق، دار القلم.
٥٦. سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، بيروت، دار الفكر.

٥٧. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجة القزويني، المتوفى سنة ٢٧٣هـ، الطبعة الثالثة، محرم ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع.
٥٨. سنن النسائي، الطبعة الثالثة، محرم ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع.
٥٩. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٦٠. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، الطبعة الأولى، ١٣١٦هـ ١٩٩٦م، بيروت، دار الفكر.
٦١. سلسلة الاحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٦٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ١٣٧٤م، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، بيروت، مؤسسة الرسالة.
٦٣. شرح السنّة، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، المتوفى سنة ٥١٠هـ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، بيروت، دار الفكر.
٦٤. شرح تجريد العقائد، علي بن محمد القوشجي، المتوفى سنة ٨٧٩هـ، الطبعة الحجرية، قم، منشورات الرضي.
٦٥. شرح المواقف، علي بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦هـ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٦٦. شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، المتوفى سنة ٧٩٣هـ، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، منشورات الشريف الرضي.

٦٧. شرح نهج البلاغة، عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني، المتوفى سنة ٦٥٦هـ، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٦٨. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء الحنفي النيسابوري، المتوفى أواخر القرن الخامس، تحقيق محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، طهران، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد.

٦٩. شواهد التنزيل لمن خصّ بالتفضيل، عيدروس بن أحمد السقّاف العلوي الأندونيسي المعروف بابن رويش، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، قم، المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام).

٧٠. صحيح ابن حبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، المتوفى سنة ٧٣٩هـ، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرنتوط، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٧١. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، بيروت، دار الفكر.

٧٢. صحيح مسلم، الإمام الحافظ الحسين بن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، تخريج صدقي جميل، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، بيروت، دار الفكر.

٧٣. صحيح مسلم، الإمام الحافظ الحسين بن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر.

٧٤. الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، المتوفى سنة ٩٧٤هـ، تخريج وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة، مكتبة القاهرة.

٧٥. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٧٦. العرف الوردي في أخبار المهدي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق رشاد الخطيب، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٨ م، دمشق، دار التقوى.
٧٧. علي بن أبي طالب من المهدي إلى اللاحق، السيد محمد كاظم القزويني، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م، الطبعة الثانية، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت.
٧٨. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي التيمي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، تقديم وضبط الشيخ خليل الميس، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٧٩. عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر، يوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي الشافعي السلمي، من علماء القرن السابع، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، تعليق علي نظري منفرد، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، انتشارات نصايح.
٨٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، الرياض، بيت الأفكار الدولية.
٨١. فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبد الله بن علي بن محمد الجويني الخراساني، المتوفى سنة ٧٣٠ هـ، تحقيق وتعليق محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٣٩٨، ١٤٠٠ هـ ١٩٧٨، ١٩٨٠ م، بيروت، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر.
٨٢. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١ هـ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الثانية، ١٣٢٠ هـ ١٩٩٩ م، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي.

٨٣. فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، تحقيق صالح بن محمد العقيل، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، المدينة المنورة، دار البخاري للنشر والتوزيع.
٨٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير من احاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبط وتصحيح احمد عبد السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٨٥. الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، شرح وتحقيق رضوان جامع رضوان، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز.
٨٦. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي، المتوفى سنة ٨١٧هـ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٨٧. الكامل في التاريخ، عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمّد بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، تحقيق خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، بيروت، دار المعرفة.
٨٨. كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة ١٧٠هـ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٨٩. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس، إسماعيل بن محمد ابن عبد الهادي الجراحي العجلوني الشافعي، المتوفى سنة ١١٦٢هـ، ضبط وتصحيح وتحشية محمد عبد العزيز الخالدي، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٩٠. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحق أحمد المعروف بالامام الثعلبي، دراسة وتحقيق الامام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٩١. كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨هـ، ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م، النجف، مطبعة الغري.
٩٢. لسان العرب، ابن منظور الافريقي، المتوفى سنة ٧١١هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٩٣. كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥هـ، تحقيق محمود عمر الدمياطي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٩٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المتوفى سنة ٥٤٦هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٩٥. مسند أحمد، احمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١هـ، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر.
٩٦. مسند أبي يعلى الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المنثى الموصلي، المتوفى سنة ٣٠٧هـ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٣١٨هـ ١٩٩٨م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٩٧. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، المتوفى سنة ٢٠٤هـ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، بيروت، دار الكتب العلمية.
٩٨. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ومعه تلخيص الذهبي وكتاب الدرك بتخريج المستدرک وأحكام الأئمة الحفاظ على أسانيده منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني وشيوخه، وزوائد المستدرک على الكتب الستة، والاستدرک على المستدرک، والمدخل لمعرفة المستدرک، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، بيروت، دار المعرفة.

٩٩. المصنف في الاحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، المتوفى سنة ٢٣٥هـ، ضبط وتعليق سعيد اللحام، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، بيروت، دار الفكر.
١٠٠. معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، المتوفى سنة ٥١٠هـ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، بيروت، دار الفكر.
١٠١. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، بيروت، دار الفكر.
١٠٢. المعجم الكبير، الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، ضبط وتخرّيج أبي محمد الأسيوطي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٠٣. المعجم الاوسط، الامام الحافظ ابو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، الأردن، دار الفكر.
١٠٤. معجم الشيوخ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، المتوفى سنة ٥٧١هـ، تحقيق الدكتورة وفاء تقي الدين، الطبعة الاولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، دمشق، دار البشائر.
١٠٥. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد عبد الرحمن السخاوي، المتوفى سنة ٩٠٢هـ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، الطبعة الاولى، ١٣١٧هـ ١٩٩٦م، بيروت، دار الكتاب العربي.
١٠٦. المناقب للخوارزمي، الموفق بن أحمد الحنفي المعروف بأخطب خوارزم، المتوفى سنة ٥٦٨هـ، تقديم محمد رضا الموسوي الخرساني، طهران، مكتبة نينوى الحديثة.
١٠٧. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمته الله، قم، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

- ١٠٨ . منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي.
- ١٠٩ . المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ، القاهرة، مكتبة المتنبى.
- ١١٠ . النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، الطبعة الأولى، ١٣٢٢هـ ٢٠٠١م، بيروت، دار المعرفة.
- ١١١ . الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، فيسبادن، فرانز شتاينر.
- ١١٢ . الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨هـ، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، دمشق، دار القلم.
- ١١٣ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١هـ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
- ١١٤ . ينابيع المودة لذوي القربى، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٤٩هـ، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، إيران، دار الأسوة للطباعة والنشر.

الفهرس

٥	كلمة الناشر
٧	مقدمة المؤلف
١١	الفصل الأول: الخلافة و الإمامة
١٤	الفرق بين الإمامة والخلافة
١٤	اعتقاد أهل السنة بالإمامة
١٦	شروط الإمام
١٧	أقسام الإمامة
١٧	الأدلة على وجوب الإمامة
٢٢	الإمامة في القرآن
٢٤	الإمامة في الروايات
٢٧	الفصل الثاني: الخلافة والإمامة الخاصة في القرآن والحديث
٢٩	١. آية الإنذار و حديث الدّار
٣٢	دلالة حديث الدّار
٣٥	تعميم لفظ ﴿عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
٣٧	٢. آية أولي الأمر
٣٧	المخاطبون بالطّاعة
٣٨	الأمر بالطّاعة

- ٣٨ حدود الطاعة للرّسول ﷺ
- ٣٩ حدود صلاحيات أولي الأمر
- ٣٩ معنى الأمر في «أولي الأمر»
- ٣٩ سبب تكرار لفظ «أطيعوا»
- ٤٠ إطاعة الرسول ﷺ وأولي الأمر واحدة
- ٤٠ دلالة الآية على العصمة
- ٤١ الطاعة مطلقة وليست مقيدة
- ٤٢ دلالة «فاء» التفريع
- ٤٣ مصداق أولي الأمر
- ٤٨ مصداق أولي الأمر في الروايات
- ٥٠ ٣. آية التبليغ وحديث الغدير
- ٥٢ شأن نزول آية التبليغ
- ٥٤ محل نزول آية التبليغ و يومها
- ٥٥ المقصود من «الناس» في آية التبليغ
- ٥٥ فعل الرسول ﷺ بعد نزول آية التبليغ
- ٥٧ دلالة حديث الغدير
- ٦٣ صحّة حديث الغدير
- ٦٥ معنى كلمة «مولى»
- ٦٧ ألفاظ أخرى تؤيد معنى الولاية
- ٦٨ أحداث ما بعد الغدير
- ٦٩ عاقبة كتمان حديث الغدير
- ٧٠ أسباب كتمان الصحابة لحديث الغدير
- ٧٤ فضل يوم الغدير
- ٧٥ نزول آية الإكمال
- ٧٥ المناشدة بحديث الغدير

- ٧٩..... شبهة في الاحتجاج
- ٧٩..... ٤. آية التطهير
- ٨٠..... المراد من «إتما»
- ٨٠..... مفهوم الإرادة في كلمة «يريد»
- ٨٠..... المراد من «الرجس»
- ٨٢..... أهل البيت عليهم السلام هم أصحاب الكساء الخمسة
- ٨٥..... اشتمال الآية على الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام
- ٨٧..... عدم اشتمال الآية على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٨٩..... عدم اختصاص الآية بأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٩١..... اصطلاح «أهل البيت» عليهم السلام
- ٩٢..... ٥. حديث الثقلين
- ٩٢..... ألفاظ حديث الثقلين
- ٩٨..... ٦. حديث الخلفاء الاثني عشر
- ٩٨..... ألفاظ حديث الخلفاء الاثني عشر
- ٩٨..... الف) اثنا عشر خليفة
- ١٠٠..... ب) اثنا عشر أميراً
- ١٠٠..... ج) اثنا عشر رجلاً
- ١٠١..... د) اثنا عشر وصياً
- ١٠٢..... هـ) اثنا عشر قيماً
- ١٠٢..... دلالة الحديث
- ١٠٣..... أسماء الخلفاء الاثني عشر في الروايات
- ١٠٥..... ٧. حديث السفينة
- ١٠٧..... دلالة الحديث
- ١٠٨..... ٨. حديث الطير
- ١١٠..... دلالة حديث الطير

٩. حديث المتزلة ١١١
- ألفاظ الحديث ١١١
- دلالة الحديث ١١٤
- شبهة في الحديث ١١٤
١٠. آية المودة ١١٩
- القربي المقصودون في الآية ١٢٠
- آية المودة مدنية ١٢٢
- عدم نسخ الآية ١٢٣
- نوع الاستثناء في الآية ١٢٤
- أجر الرسالة ١٢٦
١١. آية الولاية ١٣٢
- شأن نزول آية الولاية ١٣٢
- المراد من «إتّما» في الآية ١٣٥
- معنى كلمة «وليّ» في الآية ١٣٦
- دلالة لفظ «الذين» في الآية ١٣٩
- نوع الصلاة التي قام بها الإمام عليّ عليه السلام ١٤١
- التفات الإمام عليّ عليه السلام في الصلاة ١٤٣
- احتجاج الإمام عليّ عليه السلام بهذه الآية ١٤٤
- سكوت الإمام عليّ عليه السلام عن حقّه ١٤٥
- موقف الأمة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ١٥٤
- مناشدة الإمام عليّ عليه السلام في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله أيام خلافة عثمان ١٥٧
- الفصل الثالث: الإمامة والنبوة ١٦٣**
- مايستدل به في تفضيل الإمامة علي النبوة في القرآن والحديث ١٦٩
١. آية المباهلة ١٦٩
- معنى المباهلة ١٦٩

- ١٦٩..... شأن نزول آية المباهلة.....
- ١٧١..... من هم المدعوون في قوله: ﴿تَدْعُ﴾.....
- ١٧٣..... المراد من لفظ «أنفسنا» وتكرار استعماله.....
- ١٧٤..... حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.....
- ١٧٥..... شبهة في استعمال لفظ الجمع.....
- ١٧٦..... احتجاج أمير المؤمنين علي عليه السلام بالآية.....
- ١٧٧..... ٢. حديث النور.....
- ١٧٨..... ٣. حديث الأشباه.....
- ١٨٣..... ٣. حديث السيادة.....
- ١٨٥..... استعمال لفظ «سيد» للحسن والحسين عليهما السلام.....
- ١٨٦..... ٤. آية الإبتلاء.....
- ١٨٧..... ٥. صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي عليه السلام.....
- ١٨٨..... ٦. حديث مدينة العلم.....
- ١٩٠..... صحة حديث مدينة العلم.....
- ١٩٠..... التصدي للطعن في صحة حديث مدينة العلم.....
- ١٩٥..... **الفصل الرابع: المهديّة**.....
- ١٩٧..... المهدي عليه السلام في الروايات.....
- ٢٠٠..... تواتر أحاديث المهدي عليه السلام.....
- ٢٠١..... ولادة المهدي عليه السلام.....
- ٢٠٣..... المهدي عليه السلام ليس عيسى عليه السلام.....
- ٢٠٤..... الأدلة على حياة المهدي عليه السلام.....
- ٢٠٩..... **المصادر والمراجع**.....